يُسرا الكيلاني

رَايُـــوس

اسم الكتاب: رايـــوس
تأليف: يسرا الكيلاني
الإخراج الداخلي: القسم الفني بالدار
تدقيق لغوي: أ. نسمة سامي
تصميم الغلاف: وحيد محمد
الطبعة الأولى: 2023
رقم الإيداع: 2022/23317
الترقيم الدولي: 978-977-6953-96-3

القاهرة
دار القاهرة اليوم

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339

❤ إهداء

إلى مُصباح قلبي أُمي الغالية، وبلسم الدهر أبي، وقُرة العين إخوتي..

إهداء إلى كُل من قابل السيئة بالحسَنة، وخالقَ الناس بخُلقٍ حسن.

وِلِدت رحمة كالبدر المُنير، جمالاً لا مثيل لهُ، من رآها سُحر بجمَاِل خِلقتها، وملامحها الفاتنة. انشغل بها الأهل والأقارب ونسوا أن يؤذن في أُذنها! كانت ذات شعرٍ حرير، تُمشطهُ لها والدتها فيصبحُ مُنسدلاً براقًا وكأنها حُورية من الجنة! كُل من رآها حدقَ وشردَ مُتعجبًا من جمالِها! ولكنَ الحسد أصابَ جمال شعرِها الحرير، فاستيقظ الوالدان؛ ليجدوا شعر ابنتهما قد تحول مُجعدًا فجأةً، ولِم يعرف أحد السبب! غير أن والدها رأى رؤية؛ أن الشيطان قد قذف على شعرِها جمرةً، فمسها بسوء وتحول شعرها مُجعدًا خشنًا، فلام والدها الأهل جميعهم؛ لأنهُم لم يؤذنوا في أُذنها، ولهذا مَسها الشيطان. حيث كان والدها مُسافرًا وقت ولادتها، فحمد الله أن الشيطان لم يمس شيئًا فيها غير شعرِها، وأنها بخير، وأن الله بارك في جمال وجهها وإشراقتهُ الطيبة.

كبُرت رحمة، ونشأت نشأةً صالحة، وظل الأذان في مسامِعها، يُصاحبها أينما كانت، وإن لم يكُن هذا وقت أذانُ أو صلاة! تسمعُه دائمًا يُطمئن قلبها، وكأن القدر يُخبر والد رحمة أن ما أصابها لم يكُن إلا بمشيئة الله، وأن الأذان كرامة من الله لمن يشاء.

....

الفصـــل الأول

في ليلةٍ عاصفة شديدة السواد، رعد يُذهب الأسماع، وبرقِ يخطف الأبصار، الساعة الواحدة صباحًا رعشة أيقظت رحمة من نومِها الهادئ مع عرقٍ غزير، شهيق وزفير، دقات قلبها تزداد تكادُ أن تموت، تُحاول جاهدة أن تقًف فلا تستطيع، حاولت مُجددًا لا تستطيع، تُريد أن تصل إلى الثلاجة؛ لتلتهم كُل ما هو حلو؛ شيكولاتة، تمر، مربى.. حتى يرتفع السُكر! كادت تدخُل في غيبوبة انخفاض السُكر، لكنها قاومت مرة أُخرى، بدأت بالحبو نحو الثلاجة حتى وصلت، فتحتها فالتقطت الشيكولاتة، التهمتها كالأسد على فريستهُ! بعدها بدأت تشعر بالقليل من التحسن، حتى استطاعت الوقوف وأحضرت كوبًا من اللبن، وأضافت إليه ثلاث ملاعق من السكر، بعدها أحضرت الجُبن، والزيتون، والفُلفل، وأكلت حتى تحسنت تمامًا، نظرت إلى الساعة فوجدتها الواحدة وثلاثة وعشرين دقيقةً، ذهبت إلى الحمام، توضأت وبدأت صلاة قيام الليل، وبعدما انتهت من صلاتِها جلست على الأريكة تستغفر الله فغلبَها النُعاس؛ فنامت وإذ بأذان الفجر يملأُ الأرجاء، استيقظت والدتها، وحينما اقتربت منها؛ لإيقاذها إذ برحمة تقوم فزعة!

- بسم الله مالك يا رحمة؟ كُنت لسه هصحيكي للفجر..!

- رحمة والفزع على وجهها: أُمي.. نفس الثُعبان الأسود الضخم اللي بشوفه دايمًا في الحلم كُل فترة وفترة!

- تاني يا بنتي الثُعبان الأسود! اشربي مايه واستهدي بالله.

- رحمة بخوف وفزع تُجيب: قصدك خامس، أو سابع، أو عاشر يا أمي.. بس المرة دي مُختلفة!

- والدة رحمة: مُختلفة إزاي؟!

- شيء غريب يا أمي! كان بالقرب من راس الثعبان الأسود الضخم ده ختم أزرق دائري، كان واضح جدًا، فيه ضوء كدة، وكان الثُعبان جوة قصرغاية في الجمال، أرضه من زجاج! ممكن نقول مراية تقدري تشوفي نفسك فيها من كتر لمعانها! الغريب إن الثعبان مش بيقرب مني، ولا بيأذيني! والختم اللي على راسه مرسوم على كل جدران القصر! وكان في صوت عزف على الناي له سحر خاص كدة أول ما سمعته وقفت مكاني وما قدرتش أتحرك! وفجأة اسودت الدنيا قدامي وبقيت لوحدي، وصحيت.

- ربنا يستُرها يا رحمة، استعيذي بالله من الشيطان الرجيم.

- أُمي بستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في كُل وقت الحمد لله، وبقول الأذكار الصُبح وبالليل، وبقرأ سورة المُلك قبل النوم، وسورة البقرة كُل يوم، وبصلي قيام الليل، ليه بشوف الحلم ده باستمرار ليه؟!

وضعت والدتها يدها عليها بحنان قائلة: لعلهُ خير يا بنتي.

- إن شاء الله يا أُمي.

قامت رحمة توضأت وفرشت سجادة الصلاة، صلت الفجر، وأطالت السجود، وبعد أن أنهت صلاتها وقالت الأذكار جهزت ملابسها، وكُتُبِها للذهاب إلى الجامعة، فرحمة في الفِرقة الرابعة من كُلية التجارة جامعة الإسكندرية، محبوبة بين الزملاء، والأصدقاء، والمُعيدين، وأساتذة الجامعة العُظماء، وأيضًا عميد الكُلية؛ فهي مُميزة بذكائها، وتواصلهَا الاجتماعي، وبهجتها التي تُدخلها في صدور الجميع، ولا سيما مُحاضرات التنمية البشرية التي تُعطيها بلا مُقابل مادي، بل تُعطيها بكُل محبةٍ أملاً في تغيير حياة

ومُعتقدات الكثيرين، بالطبع ليس بالصعب عليها؛ فهم يلقبونها ملكةِ التفاؤل، لا تجلس مجلِسًا إلا وعمَ فيه السرور، والضحك، والسعادة، والعلم، ما قصدها إنسان إلا وكانت نعم الناصحة الخلوقة.

دخلت رحمة مُدرج المُحاضرة وقد غابت ثلاث مُحاضرات من قبل بحثًا عن عمل مُناسب تُساعد به نفسها؛ لتحمل كافة المصاريف الدراسية، وعندما رآها زُملاؤها فرِحوا كثيرًا، وقاموا جميعهم؛ ليرحبوا بها ويناشدونها بأنهم افتقدوها، وكم كانت المُحاضرات مُملة، وكئيبة بدونها..

- إيهاب: يا رمز التفاؤل.. عايز أتكلم معاكي شوية.

رحبت رحمة بهم جميعًا، ونظرت إلى إيهاب لتجدهُ حزينا يحاول جاهدًا أن يُخفي حُزنه، لكنَ عيناه فضحت حُزنهِ الشديد.

رحمة: طبعًا.. عنيا ليك، ما دام لسه الدكتور مجاش احكيلي ياﻻ لحد مايجي.

- بصي ياستي.. سيبت البلد وجيت هنا للدراسة وأهلي متحملين مصاريف دراستي، وبرغم كده حاسس إني فاشل، مابذاكرش، مش مُهتم، مش عارف أعمل إيه؟ حاسس إني ضعيف وبائس، والصلاة بقطع فيها وكُل حاجة مُملة، ومش عارف أعمل إيه لأهلي؟ أقل حاجة هي إني أرُد معروفهم بإنهم يشفوني ناجح، لا بالعكس أنا فاشل، وطلعت من الترم الأول بثلاثة مواد كمان، حاسس الدنيا خنقاني مكروب، مهموم، حتى شغل مش بشتغل مع إني مش مُهتم بالدراسة وعندي وقت فراغ! كُنت مُمكن أدور على شغل! مش عارف يا رحمة..

- بص يا سيدي كُل اللي أنت فيه وبتمر بيه سببه حاجتين؛ الأولى إنك مابتصليش ودي الأساس؛ لإن ربنا سبحانه وتعالى قال: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا..)**

فالضيق والخنقة اللي أنتَ بتمُر بيهم سببهم إنك بعيد عن الله، وعن الصلاة اللي هي همزة الوصل بينك وبين ربك! تمام؟

- والله عندك حق.

- الشيء التاني.. إنك مش محدد هدف لحياتك أنتَ عايز إيه؟ نفسك تكون إيه؟ حابب إيه؟ عايز تسلُك أنهي مجال؟ إيه الشيء اللي أنتَ شغوف به؟ كُل ده يا إيهاب..

الإنسان من غير هدف في ضياع، في تيه، مش عجيب اللي بتمُر بيه لَما مايكونش ليك هدف! عارف لو ليك هدف مُعين محدده، وعايز توصله! هتلاقي نفسك قايم بنشاط، هتصحى بدري، هتسلُك كُل الطرق اللي توصلك لتحقيق هدفك، كلُنا اتخلقنا لهدف واحد؛ هو عمارة الأرض، وكُل منا بيسلُك طريقه؛ عشان يكون ليه بصمة على الأرض يشهدها أجيال وأجيال.

مش حابب تكون واحد من الناس دي؟ الناس اللي تركوا أثر وأخدناهُم قُدوة في حياتنا في شغفهُم، في علمهُم، في سعيهُم، في توكلهُم على الله وإيمانهُم به! أحسن الظن بالله، اعقلها وتوكل، وأول ما هتحدد هدف وتسعى ليه مُجرد سعيك ليه بالصبر وده أهم شيء، هتلاقي الأمور ميسرة ليك، هتلاقي نفسك بترتقي، وبعدها بتعلى وتنجح وشعور النجاح ده لوحده لا يُوصف، هتلاقي الاحترام في عيون الناس ليك وفي مُعاملاتهم، هيكون ليك هيبة وضعها الله ليك جزاء سعيك، هتلاقي نفسك في سعادة كبيرة، وده اللي بيطمح ليه الإنسان؛ إنه يعيش وسط الناس له كُل الاحترام، وإنه يحقق النجاح ويشعر بالسعادة، وكُله طبعًا مع التقوى والإخلاص لله، والإخلاص في السعي والعمل.

- الله يفتحها عليكي، والله حسيت بانشراح في صدري، الله يباركلك يا دكتورتنا.

- بص هناك كده!

أمسكت رحمة الميكرفون ونظرت إلى الجميع.. أرادت أن تُعطي لهُم جميعهم النُصح بطريقة جميلة..

حزين يائس ومتقدر.. صحح مفهومك أنتَ تقدر

تقدر تغير كُل الكون.. تقدر تصبح تقدر تكون

ابدأ بنفسك في التغيير

حدد هدف واجري وراه .. ولو إيه حصل عافر معاه

خلي الطمُوح يسبق خُطاك .. وكُل جرح ارميه وراك

خليك سعيد

أملأ حياتك بالسعادة، وبحلم منك تبقى عادة

ترجع تنام كده ع الوسادة.. براحة بـــال

ردد كلام الإيجابية

ررد كلام كُله إيجابي.. وامسح خلاص كلمة ده عيبي

بطل تخـــاف

فُك القيود.. عمر بيوت.. خليك شُجاع.. خليك ودود

انسى الألم عيش بالأمل.. بُكرة تقول عملي اكتمل

عيش بالكفاح، حقق نجاح.. وكُن رسولاً باعثًا أمل..

أنهت رحمة كلامها، الذي تخلل وتعمق قلوب الحضور وحَسهُم، صفقَ الجميع لرحمة بحرارةٍ، وحيوها.

كان الأُستاذ الجامعي قد دخل وعندما رأى رحمة تتحدث في الميكروفون جلس وسط الطلاب في المُدرج يستمع لها، ولم تلحظهُ وقتها، وعندما أنهت كلامها وقف الأُستاذ وحياها، وشكرها، ومدحَ فيها قوتها، وثقتها، وجميل كلامها، ونُصحها لزُملائِها، وأُعجب بشخصيتها، وصار يضربُ بِها المثل في كُل مُحاضرةٍ لهُ.

- الأُستاذ الجامعي: ما شاء الله والله، كلِمَاتك وإلقائك أكثر من روعة يا رحمة، اقشعر جسمي من الأداء، كُل مرة قبل المُحاضرة هنبدأ بكلمة منك تنصحينا بها كُلنا.

وكان رد رحمة على أُستاذها بكُل تواضع وبساطة: كلام حضرتك كثير علي يادكتور، والله ما هي إلا مُجرد خواطر وكلمات بصُر بها القلب فتحدثَ بها اللسان.

- ربنا يبارك فيكِ وفي أخلاقك وتواضعك، يارب الدُفعة كُلها تتعلم منك.

لا تُحب رحمة المدح، فخجلت كثيرًا، وسارعت تُغير الكلام قائلة: ياه! آسفة جدًا، أخدت كتير من وقت المُحاضرة يا دكتور.. يالا نبدأ بسم الله.

انتهت المُحاضرات الثلاث، ودعت رحمة زُملائِها، وخرجت من الجامعة بصُحبة زميلتِها آية التي قالت لرحمة وهي تضع يدها على بطنها من شدة الجوع: يالا بينا نروح ناكُل هموت من الجوع.

- وأنا كمان، بس بصي بقى جو البيتزا ومكرونة ألفريدوا ده ماتفكريش فيه!

هناكُل فول وفلافل.

- أي حاجة أنتِ عايزاها، وأنا عزماكِ.

- تسلمي، أنتِ عارفة إني مابحبش كدة!

وقفتا؛ لشراء الطعام.. وعندها اشترت رحمة رغيفًا واحدًا صغيرًا فقط!

فتعجبت آية قائلة: يا بنتي طول اليوم في الكلية، وماكلتيش حاجة، وبتشتري ساندوتش واحد بس! مش هيشبعك يا رحمة!

- إن شاء الله يكفي.. "نحن قومًا لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع".

- ماشي يا رحمة معاكِ.. بس في علاج أنسولين بتاخذيه محتاج أكل كويس.

- سيبيها على الله.

- ونعم بالله، دماغك ناشفة.

ذهبت الفتاتان في طريقهما يأكلن، رأت رحمة طفلاً صغيرًا يجلس، ملابسهُ بالية مقطعة، ومُشرد، نظرت إليه ونظر إليها وكانت تُمسك برغيفهَا، لم تبدأ بأكلِه، فنظرت إليه وهي تشاور على رغيفها قاصدة بلغة العين (تُريد هذا؟) فأجابها مشيرًا برأسه (أن نعم)، فذهبت وأعطته رغيفها وابتسمت لهُ وأخرجت من حقيبتها حُلوى صغيرة وأعطتها لهُ فتعجبت آية كُل العجب!

آية: يابنتي ماعكيش غير رغيف واحد، وأنتِ هتموتي من الجوع تديهولهُ! يالا نرجع نجيب رغيف تاني..

- لا؛ لما أرجع البيت هاكل.

- لا والله هتتعبي لازم نرجع نشتري.

- ماعيش غير فلوس المواصلات فبلاش تضغطي عليا.

- أنتِ مجنونة معكيش فلوس، ومعكيش غير رغيف واحد، وتديه لحد تاني!

- فغمزت لها بعينها مبتسمة ابتسامة رضا قائلة: **(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ..)**

- والله أنتِ فعلاً رحمة من الله مش مجرد اسم!

تبسمت رحمة قائلة: يالا نركب.

- أنا هروح أشتريلك.

- والله لو جبتي ما هاكُل، أنتِ عارفة مابحبش كده! خلينا نروح على البيت.

- والله عنيدة.

- مش عناد والله.

- عارفة إنها عزة نفس.. عزة النفس اللي عندك عمري ماشوفتها في حد، مهما احتاجتي مش بتبوحي باللي جواكي، كُل اللي حواليكي من عزة نفسك بيحسبوكي غنية وأنتِ حاجتك يعلمها الله.

- والله أنا غنية فعلاً، غنية بالله، وكفاية كلام بالله عليكِ خليني أروح عشان بطني بتُقرقر كمَا حدث مع الفاروق من قبل رضي الله عنه وأرضاه.

ضحكت آية، فعندما تتحدث رحمة وتدخل الفُكاهة في الحوار تتحدث بطريقة مع تغير تعبيرات وجهها، تجعل من حولها يصيحُ ضحكًا؛ فهي مرحة وخفيفة الظل.

وفي منتصف الحديث رن هاتف رحمة.. اتصال من رقم غريب!

أجابت قائلة: السلام عليكُم، مين؟

- وعليكُم السلام، أنا ناريمان من مكتب عميد كُلية الزراعة، رحمة معايا؟

- أهلاً بحضرتك، أيوة رحمة.

- أهلاً بكِ.. يشرفنا حضورك في مُلتقى التوظيف الثامن تدي مُحاضرة عن التنمية البشرية.

- شرف ليا يا فندم، المعاد امتى؟!

- الأحد القادم، الساعة ١١ قبل الظهر.

- إن شاء الله أكون موجودة.

أغلقت رحمة معها، وفي ذهول تُحدث نفسها قائلة: إزاي ده! وعرفوني منين! الموضوع بيكبر، وأكيد عدد كبير، يا ترى هقدر أقف ولا هتوتر ويبان عليا؟ ربنا يُستر لازم أدرب نفسي كتير.

لاحظت آية شرودها فقالت لها: مالك يا رحمة خير؟

- إتصال من مكتب عميد كُلية الزراعة عايزني لمُحاضرة.

- والله أنتِ بنت حلال وتستاهلي كُل الخير.

جاء يوم الأحد وذهبت رحمة إلى كُلية الزراعة، دخلت قاعة كبيرة، أهابها المكان، وحينما أتى دورها في إلقاء المُحاضرة! وقفت تُجهز شاشة العرض ونظرت إلى الناس.. ما يقارب الخمسمائة فرد! فبدا عليها التوتر، وإذا بها تستعِن بالله وتبدأ..

- السلام عليكُم يشرفني وجودي معكم، وبتمنى أكون عند حُسن ظنكُم جميعًا، هيكفي إني أقولكُم اسمي بس وآخر المُحاضرة هعرفكم بيا وأقولكُم التفاصيل..

ذكية ومُتحدثة وذات درجة عالية من الفطنة، تعلم ما سيحدُث إن عرف الجميع عنها أول المُحاضرة أنها طالبة! لكنها أخرت التعرف لنهاية المُحاضرة ظنًا منها أنها إذا أخبرت الناس بعُمرِها، وأنها مازالت تدرس، سينقسم الناس لقسمين؛ قسم منهُم سيترك القاعة ويذهب ظنًا منهُم أنها صغيرة، وسيرفضون سماعها، وربما يستهزئون بها، ويسخرون منها! والجُزء الآخر سيظل، لكن ليس للاستفادة، بل لتصيُد الأخطاء، والاستهزاء.

فبدأت، وكانت شخصية ذات حضور خاص، أينما حلت بمكان يصحبُها الوقار والثقة بالنفس. تحدثت عن طُرق التفكير الإيجابي والسلبي، والصحيح والمختلف بينهُم، وتحدثت عن السعادة، وأن الإنسان هو المسئول عن حياتهِ، عن قراراتهِ وأهدافهِ، ولابد من تحديد هدف؛ ليُكافح الإنسان من أجله، فجميعنا خُلقنا؛ لتعمير الأرض، ولكُل منا شاكلتهُ ومهامهُ، وأن الله ساوى بين الناس جميعًا، وجعلهُم أحرارًا، وأن أكرمكُم عند الله أتقاكم، وأن النجاح أعظم شعور إن كان الإيمان واليقين بالله أولاً، ثم بالنفس.

أنهت رحمة المُحاضرة، وبالفعل استفاد الجميع واستمتع، وصفق لها الحضور، وشكروها..عندها أخبرتهُم أنها في الثالثة والعشرين من عُمرها، وأنها طالبة في الفِرقة الرابعة بكُلية التجارة، فذُهلوا بما سمعوا؛ فوقفوا وصفقوا لها مرةً أُخرى بحرارةٍ وحماس. قام عميد الكُلية بتهنئتها، وإعطائها شهادة تقدير، وقام بأخذ صورةٍ معها.

قام أيضًا أصحاب الشركات، والحضور بتحيتها، والتقطوا الصور برفقتها، وسألها الحضور: هل لديكِ قناة علي اليوتيوب لنُتابعك؟ فأخبرتهُم

أنها ليس ليديها قناة، لكنها ستبدأ بعمل قناة والتواصل مع الجميع، ونشر المُحتويات الإيجابية التنموية.

عادت رحمة إلى منزلها سعيدة بالذي حدث، وبالنجاح العظيم الذي كتبهُ الله لها في تعليم الناس طُرق التفكير، وتحفيزهُم؛ لعيش حياة أفضل كُلها نجاح، وسعادة، وإيجابية، فكرت بالفعل لما لا تقوم بعمل قناة على اليوتيوب! فشرعت بالتسجيل، وعمل القناة، وبدأت بنشر مقاطع لها عن التنمية البشرية، وقد حصلت القناة على عدد كبير من المُشاركين المُهتمين بقناتها.

اندلعت الحرب في سوريا، وعاد والد رحمة بعدما مكث في سوريا ما يقرُب من الخمس سنوات. مرت الأيام والشهور على وجوده وسط العائلة، لم يستطِع العمل بمصر، فقد قضى أغلب عُمره في سوريا، وقليلاً ما كان يأتي إلى مصر، لم تصبح الأحوال بخير ماديًا، فلم تشأ رحمة أن تُحمل عائلتها عبئًا، فبحثت في أماكن عدة حتى جاءها إتصال من أحد المعارف لها كانت قد طلبت منه أن يجد لها عملاً..

فردت رحمة قائلة: السلام عليكُم..

أجابها شرقاوي: وعليكُم السلام ورحمة الله، إزيك يا رحمة؟

- الحمد لله والله، تسلم.

إيه الأخبار؟

- الحمد لله، بصي أنا لقيت ليكي شُغل في شركة خُضار، أنا عارف إنها مش مقامك الشُغل فيها..

- ليه مش مقامي! هشتغل إيه؟

- هتشتغلي فيها على السير تنقي الخضروات.

- وفيها إيه؟ مادام شُغل بحلال ربنا مافيش حاجة اسمها مش مقامك، امتى أقدر أروح وأبدا؟

- كُل يوم بتزيدي في نظري ببساطتك وتواضعك وكفاحك.

- الحمد لله، ده من فضل ربنا.. هبدأ من امتى؟

- وقت ماتحبي، أنا كلمتهُم.

- خلاص هنزل بُكرة، والله المُستعان.

- ومُحاضراتك ودراستك؟!

- ربك هيدبرها.

- ونعم بالله.

ولكي تُلبي رحمة احتياجاتها الجامعية نزلت وعملت في شركة الخُضار، عاملة فرز على السير، تقوم بتنقية الفول، والخرشوف، وغيره من الخضروات، تقف من الثامنة صباحًا حتى السادسة مساءً، إنه لعملٍ شاق، لكن رحمة تتحمل وتتحمل، بينما يظُن أهلها أنها في الجامعة تدرُس.

مرت الأيام وقد نالت رحمة محبة الجميع؛ عُمال ومُشرفي جودة، ومُهندسات، فطيب كلامها ونور وجهها يجعل من يراها من أول وهله يُحبها.

أتت فترة الراحة وقد شعرت رحمة بالتعب الشديد، وكاد يُغشى عليها إثر هبوط في السكر، وسرعان ما ساعدها جميع من كانوا حولها، وكانوا دومًا يخافون من أن يزيد تعبها، فاهتم الجميع بها.. فسبحان الله الذي يسبب الأسباب، ولا يترك عباده، فيسخر الناس للناس.

تذهب رحمة يوميًا إلى الشركة، وفي صباح هذا اليوم توقف المصنع كاملاً؛ للتنظيف، نظرت رحمة إلى أعماقِهَا بالحسرات، وقد عزت عليها نفسها، تبسمت وحدثت نفسها قائلة: هتمسحي الأرض يا رحمة وتسيقي كمان!

يا خسارة الشهادات..

بدا الحُزن على وجهها، لكنها تُصبر نفسها ببعض كلمات التفاؤل: ومالُه مش عيب ما دام شغالة وبتكافحي مش عيب..

وبينما هي تحدث نفسها! أتتها مدام فايزة المشهورة بأم عبد الله مُشرفة العمال قائلة: رحمة حبيبتي.. بُصي سيبك انتي من المسح، مش عايزاكي تتعبي، مدام سهير مُشرفة اللوكر غايبة النهاردة، اطلعي انتي مكانها.

- حاضر يا مدام فايزة.

فرحت رحمة بشدة، وشكرت الله؛ فهو يعلم ما بها سبحانه، فقالت:

"تعلمُ ما في نفسي، ولا أعلمُ ما في نفسك، إنك أنتَ علام الغيوب"

اللوكر هو مكان خاص بالعاملات، فيه خِزانه لكُل عاملة، وفيه أيضًا مكان للصلاة، وفيه أماكن تغيير الملابس ومكان للخلاء. صعدت رحمة إلى الطابق الثالث؛ لتُشرف على اللوكر، ومن قواعد اللوكر للعمال؛ أن مُدة الفطور عشر دقائق، ودخول الفرد الخلاء؛ لقضاء حاجته عشر دقائق، وفترة الغداء خمس وأربعون دقيقة.

الساعة الثامنة والنصف، اللوكر يعمهُ الهدوء.. فجأة تسمع رحمة صوت بُكاء قادم إليها.. وإذ باثنتين من المُهندسات يسندن فتاة، فتحدثت المهندسة علا قائلة: رحمة خليها عندك، واخدة إذن نص ساعة عشان تعبانة.

- تمام خلوها تستريح هنا.

ذهبت المُهندستان وتركتا الفتاة تستريح على حصير على الأرض.

بقيت رحمة والفتاة بمُفردهما والهدوء يعُم المكان ولا أحد يُقبل فما زال الجو باكرًا، تُشغل رحمة سورة يوسف من على هاتفها فهي أحب السور إلى قلبِهَا، وفي لحظةٍ ما ورحمة تستمع إلى القرآن سمعت بُكاء الفتاة وصوت نحيبها، فقامت؛ لتقدم لها المساعدة، وأخذت هاتفها خوفًا عليه من السرِقة، وكانت السورة لا تزال مستمرة، وعندما اقتربت منهَا نظرت إليها الفتاة بشكلٍ مُرعب، فوجدت رحمة عيناها حمراوين، وكأنهما بهما دماء! وبصوت غليظ مُرعب قالت: اقفلي القرآن.

نظرت رحمة إليها في ذهول، فرددت بشكل كوميدي من الخوف والفزع:

اللهُم صلي على النبي، انتي عليكي عفريت ولا إيه!

كررت الفتاة مرة أخرى قائلة: اقفلي القرآن.

قالت رحمة وهي ترتعد خوفًا: حاضر.. أهو قفلته.

لكن رحمة لم تغلقه نهائيًا، فقد أغلقت سورة يوسف، وفتحت سورة البقرة، والتي عندما شغلتها بدأت الفتاة تتلوى وتصرخ غضبًا من رحمة، ورحمة تنظُر إليها وكأنها تمزح وهي في أقصى درجات الرُعب قائلة لها: بُصي أنا هسيبك تتحولي براحتك، وهتكل أنا على الله.

وبمجرد أن أدارت رحمة ظهرها قُطع النور!

فارتعبت رحمة وقالت: الله الله الله.. كان مالي أنا بالشركة دي، كان مالي!

مش هلف، مش هلف وأشوفك وانتي طالعة على الحيطة وبتتحولي، مش هلف..

ثم أخذت تردد قوله تعالى: **(وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ..)**

عمل المولد الكهربائي ذاتيًا، وعاد النور فقُطع المولد الكهربائي، وظل يعود ويأتي حتى عاد وعادت رحمة إلى مكتبها تجلس وهي تتلو بعض آيات القرآن، لم ترد النظر إلى الفتاة رُعبًا وخوفًا منها، فهي أول مرة ترى فتاه يتلبسها جن!

بدأ الجميع في القدوم إلى اللوكر؛ لتناول الفطور، بدأت رحمة تشعر بالأُنس، عندها جاءت المُهندسة علا تسأل رحمة عن الفتاة، فقد أرسلوا إلى الإسعاف؛ لنقلها وقد جاءت..

المُهندسة علا: رحمة هي البنت فين؟ الإسعاف جت.

نظرت إليها رحمة بانبهار: إسعاف إيه؟! دي عايزة شيخ يطلع اللي عليها.

ذهبت المُهندسة علا ومعها عاملة ورحمة وأخذوا الفتاة، والعجيب أن الفتاة تنظُر إلى رحمة، لكنها لا تستطيع لمسها أو الاقتراب منها، وظلت تبتعد عنها خائفة.

المُهندسة علا: هي خايفة منك ليه..انتي عملتيلها حاجة؟

- هي اللي خايفة! سبحان الله ده أنا كُنت هموت من الرُعب!

والفتاة الممسوسة تبتعد من رحمة، وتصرخ بشكل هستيري حتى طلبوا من رحمة الخروج..

فحدثت رحمة نفسها قائلة: الحمد لله الذي لم يمسني بسوء.. بس غريب أوي هي ليه خايفة مني؟

نقلوا رحمة للعمل بمكتب المخزن الطابق الأول والمخزن بالطابق الثاني، وقد كان مُدير المخزن ديانته "المسيحية" ويُدعى: صبري، وكان طيب القلب، يراعي رحمة، ويهتم بها.

كانت رحمة تعمل بمكتب المخزن على ماكينة التختيم؛ تضع خِتم الصلاحية على أكياس تغليف الخُضروات، وكان لها فرصة العشر دقائق إما أن تُصلي الظهر، أو تأكل وجبة الإفطار، فلا يكفي وقت الراحة لعمل الإثنين معًا، فكانت تُصلي وتهمل وجبة الإفطار وأخذ علاج السكر، مما أثر عليها صحيًا وبدا عليها، فعندما علم مُدير المخزن دعاها على جانب خارج المكتب وأخبرها أنه باستطاعتها تناول وجبة الإفطار في العشر دقائق المسموح لها فيها، وعند الصلاة بإمكانها أخذ مفتاح المخزن؛ لتصلي فيه، تدخل وتُغلق الباب حتى لا يدخل أحد عليها وهي تُصلي من العاملين الشباب، وحتى لا يعلم أحد فيكون خطرًا عليها. فشكرته كثيرًا على تصرُفه النبيل.

وذات يوم ظهر على رحمة بعض التعب؛ بسبب المجهود، وحمل الكثير من الصناديق الكرتونية الثقيلة، فكانت تحملهم ولم تشتكِ لأحد أبدًا، فأحس أُستاذ صبري فقال لها: رحمة لو حابة تريحي شوية خُدي المُفتاح واطلعي المخزن ريحي شوية.

- أنا بخير، الحمد لله.

- لا باين عليكي التعب، لو حابة تريحي ابقي خُذي المُفتاح وماتعرفيش حد، واقفلي عليكي من جوة عشان ماحدش من الشباب يدخل عليكي.

- شكرًا ليك يا مستر صبري، ربنا يخليك.

كانت ملك واقفة فقالت لها: اطلعي وريحي فوق، احنا كلنا بنطلع نريح لما نتعب من الشغل.

أخذت رحمة المفتاح وطلعت إلى المخزن الممتلئ بالصناديق، وأغلقت الباب وفرشت إحدى الشوالات واستلقت عليها، أغمضت عيناها؛ لتغفو دقائق، وظبطت المنبه على عشرين دقيقة، وكانت قبل العصر بنصف ساعة، لكنها قامت قبل الوقت التي حددته فزعة! فقد رأت الثُعبان الأسود الضخم مرة أخرى بالقرب من نهر، والخِتم الدائري أكبر بقليل مما كان عليه في المرة السابقة، فخافت وفتحت عيناها فزعة وكان يقف فوق رأسها رجُل عجوز، ذو ملامح طيبة، يرتدي عباءة زرقاء، ولهُ لحية بيضاء..

حدثها قائلاً: أيتها الصالحة..

- بسم الله الرحمن الرحيم.. مين؟!

نظرت يمينًا ويسارًا لم تجد شيئًا، لا الثعبان ولا الرجل! قامت تبحث عن الرجل العجوز في كُل مكان بالمخزن ونظرت إلى الباب وجدتهُ مُغلقًا من الداخل كما أغلقتهُ هي عندما دخلت، لكنها واثقة أنها رأت الرجل العجوز رأي العين، وأنه لم يكُن حُلمًا!

خرجت من المخزن وعادت إلى المكتب فزعة ترتعد.. رآها أستاذ صبري فسألها: مالك يا رحمة؟ تاكلي حاجة مسكرة!

- لا لا؛ شكرًا أنا بخير.

- عطيتك إذن نص ساعة تريحي ما كملتيش ربع ساعة حتى! لو محتاجة تريحي اطلعي وما تقلقيش.

بدا التوتر على وجه رحمة، وظهر أكثر على نبرة صوتها، كانت يداها ترتجفان..

- لا أنا زي الفل، هكمل شغل، ريحت وبقيت كويسة ..شكرًا.

قدمت لها مدام سامية العصير قائلة: خُدي عصير عشان الرعشة.

- تسلمي يا طنط.

جلست رحمة تشرب العصير وتُفكر، تُحدث نفسها فيما حدث قائلة: إيه حكاية الثُعبان الأسود ده! ومين الرجل العجوز؟ أنا متأكدة إن ده مش حلم والله، لا يا رحمة مش حلم..

يسأل رحمة كلاً من مدام سامية وأُستاذ صبري..

أستاذ صبري: عاملة إيه دلوقتي يا رحمة؟

مدام سامية: بقيتي أحسن؟

فقالت لهم: آه، الحمد لله.

أستاذ صبري: لو عايزة تروحي أعملك إذن وتروحي.

- ياريت يا مستر صبري.

مدام سامية: هتقدري تمشي إزاي لوحدك؟

- أنا بخير والله، ما فيش حاجة أنا زي الفل أهو..

أستاذ صبري: عملتلك الإذن خُديه وروحي، تحبي أوصلك؟

- تسلم على تعبك أنا هاعرف أروح.. مع السلامة.

خرجت رحمة من باب الشركة وهي تُفكر فيما رأته، ليس في الثُعبان الأسود الضخم صاحب الخِتم الدائري الأزرق عند رأسِهِ فقط، لكن في الشيخ العجوز والذي هي علي يقين تام أنها رأته في المخزن بالرغم من إغلاقها للباب جيدًا!

عادت إلى المنزل ألقت السلام على جميع أفراد الأُسرة، شربت الماء، ذهبت إلى غُرفتها ونامت. استيقظت عدة مرات من نومِها في قلق حتى

جاءت إليها والدتها قائلة: رحمة قومي كُلي حاجة ماكلتيش من ساعة ما جيتي، خُدي حُقنتك وكُلي عشان ماتتعبيش، الساعة ١١ بليل يابنتي!

قامت رحمة وأخذت حُقنة السكر وأكلت، صلت المغرب والعشاء معًا ونظرت إلى ملزمة تُحاول أن تدرُس أي شيء، فهي لا تحضر المُحاضرات وتذهب إلى العمل، لكن تفكيرها مازال في ما حدث معها..

مر الوقت وتنفس الصُبح وجهزت رحمة حالها للذهاب إلى العمل، وعندما دخلت قابلتها مدام سامية قائلة: رحمة حبيبتي عاملة إيه دلوقتي؟

- الحمد لله والله، أحسن بكتير.

أستاذ صبري: ماكُنتيش جيتي يا رحمة لو كُنتي تعبانة، كُنتي ارتاحي، الحمد لله إنك بخير لو احتاجتي حاجة قولي لينا.

- شكرًا لاهتمامكُم، تسلموا يارب كُلكمُ.

دخل بعض الأشخاص الجُدد إلى المكتب طالبين صرف ملابس جديدة بإذن من مُدير المخزن.

أستاذ صبري: فين روان وملك يطلعوا المخزن يصرفوا زي ليهُم؟!

مدام سامية: روان غايبة، وملك في الإدارة طلبوها وراحتلهم

رحمة: هطلع أنا يا مستر صبري

- لا مش عايزك تتعبي في الطلوع والنزول، هطلع أنا أسلمهُم.

وحينها جاءت زيارة وطلبوا أستاذ صبري، فقالت رحمة: خلاص حضرتك روح للزيارة وأنا هطلع المخزن أسلمهُم الزي، وما تقلقش عليا.

- ماشي لولا الزيارة بس..

ابتسمت رحمة قائلة: والله ماتقلق، أنا بخير.

كان العمال الجُدُد ثلاثة فتية، وفتاة واحدة، أخذتهُم رحمة إلى المخزن لإعطاء كُل واحدٍ منهُم الزي المُناسب له، وعندما انتهت، وأخذ كُل واحدٍ منهُم زيه وخرجوا جميعًا.. أذن الظهر فأغلقت رحمة الباب وصلت في مكانها، وبعدما أنهت صلاتها وهي جالسة بعد السلام تختم الصلاة كادت الصناديق تقع عليها جميعهم كُتلة واحدة! هنا سمعت صوتًا يقول: احذري!

فالتفت والتقطت الصناديق وقامت بضبطها، وتعجبت من أين أتى الصوت!

وقالت بخوف: مين؟ مين هنا؟

أخذت تبحث في كُل مكان، لكنها لم تجد أحدًا! ففتحت الباب وخرجت وعادت إلى المكتب مُسرعة تُحدث نفسها: اللي بيحصل معايا ده مش طبيعي.

مدام سامية: رحمة انتي كويسة!

تنظُر إليها رحمة وهي مُحدقة العينين، وتائهة، عابسة الوجه، وبعد مُدة تُجيب: آه كويسة، الحمد لله.

- مالك يا بنتي كُل ما تطلعي المخزن تنزلي وشك باهت ومخطوف كده! في حد بيضايقك؟

ولكن رحمة شاردة تُفكر ولا تُجيب، تُحدث نفسها: مين اللي اتكلم؟ وليه نبهني إن الحاجة هتُقع عليا؟ ومين وقعها وهي مرصوصة كويس؟ طيب ده إيه؟

عاد أُستاذ صبري وأنهى الزيارة، ينظُر إلى رحمة وهي شاردة، تُحدثها مدام سامية ولا تُجيب عليها..

أستاذ صبري: في حاجة حصلت؟

- مش عارفة رحمة وشها مخطوف أول ما نزلت من المخزن!

استدعى أُستاذ صبري رحمة جانبًا؛ قائلا: رحمة عندك مُشكلة في البيت أو هنا في الشغل؟ حد مضايقك أو في حد بيضايقك من الشباب؟ بيعاكسك مثلاً!

كانت رحمة تحاول أن تُخبره بما سمعته في المخزن قائلة: في المخزن..

وحينها بدا التوتر والقلق على وجه الأستاذ صبري، فقال: في إيه يا رحمة في المخزن؟

كادت أن تبوح بما تسمع وترى ولكن سرعان ما غيرت الحديث وأخفت قائلة: في صناديق كتير ملخبطة وثقيلة، ولما بشيلها لوحدي بتعب، بس كده.

- وبتشليها انتي لوحدك ليه! خُدي البنات معاكي أو نادي الشباب، أي حد يشيل عنك.

- مش بحب أطلب من حد حاجة.. حصل خير.

- خلي بالك على صحتكماينفعش تشيلي حاجة ثقيلة.

رحمة بابتسامة خفيفة: حاضر

نادى أستاذ صبري على ملك..

أستاذ صبري: ابقي اطلعي مع رحمة وظبطي معاها المخزن، وماتخليهاش تعمل حاجة لوحدها.

- حاضر يا أُستاذ صبري.. خلينا بُكرة تكون جت روان ونعمل المخزن كُلنا عشان هو مكركب أوي.

انتهي اليوم وركبت رحمة السيارة للعودة إلى المنزل، تُحدث نفسها وهي تنظُر من زجاج نافذة السيارة: الحاجة كانت هتُقع عليا وأنا سمعت الصوت ده حقيقي، هو في إيه!

عادت رحمة إلى المنزل، تناولت الطعام وهي مشغولة الفكر بما يحدُث في العمل من أمور غريبة، وبالدراسة خاصة وقد اقترب موعد الامتحانات، وبدأ الجميع يستعد لها. أحضرت ملزماتها وجلست تدرُس وتسأل الله التوفيق.. إذ بجيرانها "أبو فارس" الذي هرم وقد كان متزوجًا خمس مرات من قبل يتشاجر مع زوجته الخامسة "أم أمير" وقد نزغ الشيطان بينهُما، وكانت لأُم أمير لهجتها الفلاحي التي تُميزها وسط الجِيران جميعهُم، تصرخ وتصيح في زوجها، وقد كانت غرفتهم قريبة من غُرفة رحمة، والصوت عال وكأنها معهُم في منزلٍ واحد..

أُم أمير: روح إلهي ينجطع بنطلونك ماتلاجي اللي يخيطهولك، وينخرم شرابك وتنفضح وسط صحابك، وتُجع عليك طيارة تبطبطك.

- اخرسي بطلي قلة أدب.

- أنت بتزعجلي! أنت بتزعجلي!

رحمة بابتسامة تُحدث نفسها وهي حزينة: يارب اهديهُم عشان أعرف أذاكر.

تركت رحمة الغُرفة وذهبت إلى غُرفة أُخرى تستعن بالله وتبدأ مُذاكرة، وكانت والدة رحمة ووالدها على خلاف، لا يتحدثون إلى بعضهُم البعض، فهكذا شِجار خارج المنزل وداخله أيضًا، وبعد خمس دقائق يرن هاتفها فتنظُر فإذا هو والدها..

أجابت: السلام عليكُم، إزيك يا بابا؟

- وعليكُم السلام، الحمد لله، عايزة حاجة من تحت أجبها معايا؟!

- سلامتك تيجي بالسلامة.

في نفس الآونة انتقلت أم أمير وأبو فارس إلى الغُرفة الأخرى الُمجاورة أيضًا لرحمة!

رحمة: يارب أعمل إيه في اليوم اللي مش عايز يعدي، ولا عارفة أذاكر كِلمة ياربي!

أنا هروح أنام وأصحى مع قيام الليل في الهدوء أصلي وأذاكر، ربنا يصلح حالُهم ويكونوا ناموا..

استيقظت رحمة في تمام الساعة الواحدة والنصف، صلت قيام الليل، وراق لها الهدوء التام قائلة: الله على الهدوء، أخيرًا هبدأ أذاكر بقى..

ما لبثت أن سمعت ضحِكات أم أمير تعلو في الليل..

فقالت رحمة: الله الله، انتوا اتصالحتوا! طب ضحكوني معاكوا يعني كُنت معاكوا في الضراء خلوني معاكوا في السراء

وضحكت وهي تردد: يا مستنية من تجارة امتياز.. يا مستنية شايب على عُكاز.

في صباح اليوم التالي ذهبت كلاً من رحمة، وروان، وملك؛ لتسوية الأشياء في المخزن، وبينما تعمل كُل واحدة في جزء معين من المخزن قامت رحمة بتسوية الصناديق التي كادت أن تسقُط عليها بالأمس، ففزعت بعدما رأت خلف الصناديق ثُعبانًا أسودًا صغيرًا! نظرت إليه برُعب وفزع أول مرة ترى ثعبانًا حقيقيًا أمامها، تخشبت مكانها من الصدمة وصرخت! فجاءت إليها روان وملك وسألاها ماذا بها؟! فأشارت ناحية الثُعبان، فنظرتا وصرختا وسارعن بالخروج هربًا، يستغيثن بالجميع..

وعندها وقف الثُعبان أمام رحمة فلم تستطِع الهرب، فأخذت القاطع الذي كان بالجوار فوق الصندوق وشقطته نصفان، لم تستطِع التصديق أنها قتلتهُ حقًا! فأُغشي عليها بجانبه..

صعد الشباب ومعهُم أُستاذ صبري، ودخلوا المخزن، فوجدوا رحمة مُلقاه على الأرض وبجانبها الثُعبان الذي قتلته! فحملوا رحمة ونزلوا بها وحاولوا إيفاقها، لكن لم يُفلحوا، فظلوا يحاولوا لُمدة عشر دقائق ولم تفِق حتى طلبوا الإسعاف..

فاقت رحمة فزعة فقد رأت الثُعبان الأسود الضخم الذي تراه دائمًا في منامها يلتف حول أُستاذ صبري حتى خنقهُ ومات! فقالت: فين مستر صبري؟

فأجابها أحد العمال: فوق في المخزن مع أحمد بينضفوا مكان الثُعبان.

مدام سامية: الثُعبان ده جه من فين ودخل إزاي؟!

رحمة: ماعرفش..

بحرية: وارد من الزراعة، إحنا حوالينا زراعة كتير.

انتفضت رحمة خوفًا؛ لأنها تعلم أن بالأمر شيئًا ما لم تفهمُه بعد..

مرت نصف ساعة والجميع يتحدث ولم يعد أستاذ صبري، فقالت رحمة: فين أُستاذ صبري؟!

فسمعت أصوات صرخات، والجميع يتحدث خارج المكتب، فخرجت لهُم قائلة: في إيه؟

ملك: أُستاذ صبري أغم عليه في المخزن وماحدش عارف يفوقه!

رحمة: إيه!

ذهبت رحمة مُسرعة إليه، خائفة، مصدومة، وصلت سيارة الإسعاف وبها طبيب فكشف عليه..

الدكتور: هو بيعاني من مرض؟

رحمة: عنده السُكر

الدكتور: هو ده.. البقاء لله.

وأخبرهُم أنه مات بسبب غيبوبة سُكر.. فصمت الجميع ذهولاً، وتعجبت رحمة!

رحمة: مُستحيل يكون مات بغيبوبة السكر كان بخير من ساعة بالظبط! أمين، أحمد، طارق.. كنتوا معاه من شوية حد لاحظ عليه حاجة؟!

أمين: أنا وأحمد طلعنا نجيب مياه، ومسحوق نغسل مكان الثُعبان، سيبنا طارق معاه وكان كويس جدًا، رجعنا لقناه لوحده وعلى الأرض!

طارق: أنا نزلت لأمي تحت عشان قالولي اتقفل الباب على إيديها، واستأذنت أُستاذ صبري قالي روحلها، أنا مستني أمين وأحمد وكان كويس جدًا.. آخر حاجة قالها ليا إن رحمة شُجاعة جدًا جدًا إنها تقتل تُعبان، ده أنا أخاف أعملها، قولتلُه وأنا كمان، ده مقتول وخايف أقرب منه!

رحمة: حضرتك يا دكتورعلى أساس إيه بتقول إن دي غيبوبة سكر؟! أنت حتى ماقستش نسبة السكر عندُه!

الدكتور: هو حضرتك هتعرفيني شغلي! أنا عارف كويس بقول إيه، ومش أول حالة أقابلها، أنا هنزل وابعت المُساعد بإذن دفن تدفنوه، بلغوا أهلُه..

رحمة: أنتَ بتستسهل، هو حضرتك ما عندكش ضمير!

المُهندس ماجد: معلش يا دكتور هي بس مصدومة وحزينة من اللي حصل..

الدكتور: أنا مقدر الموقف.

ذهب الطبيب ومن ثم الجميع خارج المخزن، ورحمة بالداخل وحدها معهُ، تنظُر حولهُ وعن طريقة موته، انتبهت لشيء ما أرادت أن تفعله؛ فنزلت إلى المكتب فتحت حقيبتها وأخرجت جهاز قياس السكر، وعادت مرةً أُخرى إلى جُثة أُستاذ صبري وقامت بأخذ عينه دم لهُ وحللتها ورأت النتيجة ١٠٥!

رحمة: النسبة طبيعية جدًا.. مُستحيل يكون مات بغيبوبة سُكر!

المُهندس ماجد: يالا الكُل يخرج، هيجوا أهلُه ياخدوه دلوقتي احنا بلغناهُم.

ذهبت رحمة غيرت ملابسها أخذت حقيبتها وذهبت، وعندها قابلت أحد المُهندسين.

المُهندس حماد: رحمة انتي كويسة؟ ماشية ولا إيه؟

- آه.. لو عندك ضمير ماتكونش زيهُم واعرف بجد مات إزاي؟ اعرضوه على دكتور تاني، عرف أهلُه لما ياخدوه إن طبيب تاني يشوف سبب موته!

- عندك شكوك في حاجة؟

- مش بشُك في حد، أنا في ذهول من اللي حصل، مش منطقي.. كُل نفس طبعًا ذائقة الموت ومؤمنة بكده بس عايزة أرتاح، في شيء ما!

- انتي بس مصدومة وعشان كان بيعزك وبيحبك وبيخاف عليكي..أنا عارف إنك حزينة.

بكت رحمة وتركته وذهبت، وهي تُفكر وتُحدث نفسها: امبارح وأنا بصلي الصناديق كانت هتُقع عليا، احتمال كبير إن الثُعبان ده هو اللي حاول يوقعهُم عليا، وبعدها ظهر الصوت اللي أنقذني اللي هو ماعرفش صوت مين! وبعدها حلمت بالثُعبان وهو بيلف حوالين مستر صبري وقتله، مافيش دقايق ومات! إيه بيحصل بس؟ مستر صبري مات!

حزنت رحمة حزنًا شديدًا، أثرَّ عليها، تذكرته عندما أعطاها شيكولاته، وعندما أذن لها بالصلاة في المخزن، وكُلما تعبت سمح لها بالراحة أو بإذن الخروج، وكان يجمع لها من الشركة ثمرات الفراولة ويُعطيها لها لأنها تُحبُها، كُلما تذكرته بكت على وده وحسن مُعاملته وطيبته.. وفي داخلها تقول: مش هعرف أرجع الشغل تاني وهو مش هناك المكان بقى مُخيف.

بكت كثيرًا ولم تعد إلى المنزل، بل جلست على البحر تواسي نفسها في مُديرها الطيب الخلوق.. وبعد يومين من الحُزن ذهبت تودع الجميع؛ لتترُك الشركة، وتهتم بالدراسة حيثُ لم يتبقَ إلا شهرعلى امتحاناتها، فحزن الجميع؛ لأنها ستتركهم.

فقالت لها ملك: يعني أستاذ صبري مات وسبنا، وانتي كمان هتسبينا!

احتضنت ملك رحمة وبكت، وبكت روان واحتضنت رحمة أيضا، وكذلك مدام سامية والجميع، وودعوا رحمة وودعتهم.

ذهبت؛ لتجلس بمُفردها على شاطئ البحر تبكي، لا تعرف تبكي على أيهم! على فراق مُديرها، أم أصدقائها، أم تبكي على حالها! فلم يتبقَ إلا شهر واحد، وهي بحاجة إلى المال، والشركة كانت تأخذ منها اليوم بأكمله، فلا مجال لها لعمل شيء آخر، ولا وقت لها للدراسة! ومن ثم أخذت تناجي ربها قائلة: يارب ارزقني وبارك لي، اللهم هون عليّ، واصلح لي أموري

كُلها، اللهم ارزقني على قدر ما تحب وترضى، إنك أنتَ الرزاق، ترزق من تشاء بغير حساب.

عادت رحمة إلى المنزل، وبعد صلاة العِشاء جاءها اتصال..

فأجابت رحمة: السلام عليكُم ..مين؟

- رحمة.. أنا المُهندس حماد.

- أهلا بحضرتك إزيك؟

- أنا الحمد لله، انتي اللي إزيك دلوقتي؟

بصي انتي كان عندك حق أُستاذ صبري مامتش بغيبوبة سُكر!

- مات بإيه؟

- مات بأزمة قلبية، الكنيسة تولت الأمر وجابوا دكتور وشخصه، أنا حبيت أكلمك أول ماعرفت وأقولك عشان تطمني وترتاحي..

- أزمة قلبية! إنا لله وإنا إليه راجعون.

- ونعم بالله.. لو احتاجتي حاجة أنا تحت أمرك.

- ربنا يخليك، تسلم كُلك ذوق.

مر أسبوعان على حادث وفاة مُدير رحمة؛ الأُستاذ صبري، وكانت شديدة الحُزن عليه، وأيضا خائفة من أمر الثُعبان الأسود الضخم الذي يتردد باستمرار في أحلامها، وكانت تخشى أن تنام فتراه، وذهبت إلى الطبيب؛ لصرف علاج السُكر، وكان يبدو على وجهها الفتور..

دكتور مدحت: بنتي الجميلة عاملة إيه؟

رحمة بابتسامة خفيفة غير معهودة عنها: الحمد لله.

- لا مش متعود عليكي كده مالك يابنتي؟!

- أنا بخير.

- لا مش مرتاح.. طيب قوليلي آخر مرة قيستي سُكرك كان كام؟

- ٤٣٠

- يا نهارك أبيض! من إيه؟ وبقاله قد إيه كده؟

فأجابته رحمة بلا مبالاة وحزن شديد: أسبوع؛ أربع مرات بين الـ ٣٠٠ والـ ٤٠٠

- حرام عليكي ليه كده؟ بتعملي في نفسك كده ليه؟

لم تستطِع رحمة تحمُل كلامهِ ولومهِ لها، فلم يعرف أحد شيئًا عما تمُر به؛ فسقطت دمعة من عينها، فعلم الطبيب مدحت أنها ليست بخير! فقال: رحمة أنا هحجزك في المُستشفى تبقي تحت الرعاية أظبطلك السُكر وأتابعك أنا ومجموعة من الدكاترة لحد ما تتحسن حالتك.

- زي الفُل عشان أعرف أذاكر، أنا أصلاً مش عارفة أذاكر في بيتنا وفاضل ١٠ أيام على امتحاناتي.

- هاتي كُتبك وحاجتك وذاكري هناك، وأنا هوصيهُم عليكي.

- حاضر يا دكتور.

- هتطلعي من هنا على المُستشفى على طول تقدمي الورقة دي، أنا كاتبلك فيها حالة نفسية، وهُما عارفين هيعملوا معاكي إيه وأنا هكلمهُم يظبطولك غُرفة جميلة.

- تسلم يا دكتور..

ذهبت رحمة إلى المُستشفى وهي تُحدث نفسها قائلة: ياه هدخل المُستشفي بحالة نفسية! يالا مفيش مُشكلة يارب أعرف أذاكر بس.

تحدثت مع والدتها وأخبرتها أنها ستُحجز في المستشفى إلى أن يتم ضبط السُكر، وأخبرتها والدتها أنها قادمة إليها، فأخبرت رحمة المُمرضات بأن يقولوا لوالدتها: أنه ممنوع وجود مُرافق؛ لخوفها على والدتها فلم ترد إرهاقها معها..

اصطحبت المُمرضة رحمة إلى عنبر البنات، ومن ثم إلى غُرفتها ٣٠٧، وضعت رحمة أشياءها، وكانت تُشاركها الغُرفة مُنى طالبة في الفِرقة الأولي بكُليه التجارة، وعمتها مرافقة لها.

وقد دخلت مُنى المُستشفى بسبب غيبوبة انخفاض السُكر، تعرفت رحمة عليهِم وتعرفوا على رحمة، وطال الحديث بينهم، حتى دخلت المُمرضة؛ لتخبِر رحمة ألا تأكُل شيئًا من مُنتجات الألبان لعمل أشعة على المعدة غدا في الصباح. وكانت عمة مُنى قد أحضرت البيتزا وعزمت على رحمة بقطعة قائلة: رحمة حبيبتي اتفضلي.

- تسلمي يا طنط مش عايزة.

تعترض رحمة بحياء وخجل، وبالرغم من رائحة البيتزا الشهية فلم تستطِع رحمة المُقاومة فبعد محاولات ملحة من عمة مُنى، وحب رحمة للبيتزا، أخذت القطعة من العمة لتأخذ رحمة أول قضمة منها فإذ بالمُمرضة هناء تدخل فجأة وتنظر لرحمة بغضب قائلة: رحمة انتي بتعملي إيه؟!

فنظرت لها رحمة بتعجُب قائلة: باكل.

- أكل إيه! مش قولنا في أشعة بُكرة!

- آه.. بس انتوا منعتوني من الألبان بس!

- آه؛ بس البيتزا هتعلي السُكر!

فأعادت رحمة قطعة البيتزا للعمة وشكرتها، وبمزاح مع العمة قالت: مافيش نصيب أكُلها ياطنط، منها لله.

وضحكت رحمة ومُنى وعمتها..

مُنى: كانوا بيعملوا معايا كده أول ما دخلت المُستشفى.

رحمة: ودلوقتي رضيوا عنك يعني!

وبعدها بقليل عزمت عمة مُنى على رحمة بثمرة من اليوسفي، وأخبرتها أن تأخُذها فثمر الفاكهة مفيد ولا ضرر منه، فأخذتها رحمة ولم تكد تأكل أول فص وتضعهُ في فمِها، إذ بالمُمرضة هناء تدخُل فجاة قائلة: رحمة انتي بتعملي إيه؟

وسرعان ما فزعت رحمة، وتعجبت من دخولها في هذا التوقيت بالذات كُل مرة تأكل فيها!

- بسم الله الرحمن الرحيم.. باكل!

المُمرضة هناء بغضب: مش قولنا فيه أشعة!

- طيب ماهو ده سفندي، فاكهة عادي يعني!

- فيه ألياف وغلط على الأشعة.

- آه وماله بلاها.. بلاها سفندي.

أعادت رحمة اليوسفي إلى العمة، وحدثتها بصوت خافت: هو فيه هنا كاميرا وأنا ماعرفش، أول ما بمسك أكل بتنط فجأة!

هناء: يارب أرجع مالقكيش بتاكلي.

- انتو هتموتوني من الجوع! طب أنا جعانة.

مرت ساعة.. دخلت المُمرضة هناء ورحمة تجلس تقرأ وتحاول أن تُذاكر، فقالت عمة منى مازحة: رحمة خبي الساندوتش بسرعة..

فنظرت المُمرضة هناء لرحمة، وتنظُر رحمة للمُمرضة هناء وببراءة قالت: أقسم بالله ما معايا حاجة، بتهزر.. بتهزر.

فضحك الجميع، وظل المحلول مُعلق في يد رحمة مع منعها من الطعام وإعطائها حُقن أنسولين إلى أن وصلت الساعة الثانية عشرة، بدا على رحمة التعب الشديد، فقد انخفض السكر بشكل سيئ من استمرار المحاليل بدون طعام، فشعرت مُنى وعمتها برحمة فسارعتا ناحيتها وأعطوها بعضًا من العصير والبسكويت، ثم جاءت المُمرضات فأكلت رحمة حتى أصبحت بخير..

فمزحت معهُم قائلة: صومتوني لحد ما كنتوا هتموتوني.. دلوقتي أقدر أصوم بضمير.

المُمرضة هناء بحُزن: حقك عليا، والله الأوامر جاية ليا كده!

- حصل خير.

في الصباح كُتب لمُنى إذن خروج، وأصبحت رحمة بمُفردها في الغُرفة. تعرفت رحمة على الجميع في العنبر، لكنها رأت العجب، وعلمت لما أرسلها الله إلى المستشفى في هذا التوقيت بالذات..

فبالغُرفة المُجاورة غادة علاء؛ مريضة بمرض في الغدد أدى إلى حدوث أورام ومشاكل عدة في المبايض، كانت تُعاني كثيرًا. تعرفت رحمة عليها وعلى والديها، أحبها والد غادة كثيرًا ووالدتها، كانوا يحبون الحديث معها خاصة

حينما تتحدث عن الأمل والتفاؤل، كانت تخبرهم ببراءة وابتسامة بأن أحداث الله كُلها خير، ولشدة حُبهُم لها عرفوها على جميع العائلة، حتى أنه إذا جاء أحد من عائلة غادة؛ عمها أو خالها أو غيرهم لزيارة غادة! كان واجبًا عليهُم أن يزورا رحمة أيضًا، أحبوا الجلوس معها، وأحبوا حديثها، وكأنهم يرتوون من كلامها الطيب.

اختلطوا أكثر وأكثر، وكانوا يُتابعونها على اليوتيوب ويستمعون إلى نصائحها.. حتى أن والدة غادة طلبت من رحمة عندما تستيقظ لصلاة الفجر تذهب؛ لتُيقظها.

وفي الغُرفة المُقابلَة لرحمة فتاة تدعى: نورا؛ كانت كفيفة، وهي ابنة مدام سكاكر السيدة الطيبة الصابرة، التي قصت لرحمة عما مر بها، وعن مرض ابنتها، وأنها تعاني من التبول اللاإرادي أيضًا، فهي نفسيًا مدمرة! فطلبت من رحمة راجية أن تُقابل نورا التي أصبحت لا تتحدث مع أحد أبدًا؛ لتتحدث معها وتهون عليها ما بها وتكسبها صديقة، فوافقت رحمة على الفور، وذهبت إلى نورا تتحدث معها بعد ساعة تقريباً من مُغادرة أم نورا غُرفة رحمة.

طرقت رحمة باب غُرفة نورا، ففتحت والدتها، وابتسمت مرحبة برحمة، دخلت رحمة وسلمت على نورا وقبلت رأسها متحدثة معها ..

رحمة: أنا رحمة زميلتك في العنبر، الغُرفة اللي في وشك على طول.. مُمكن نكون أصحاب ونحكي سوا اللي تحبيه وفي أي وقت، نادي عليا أجيلك أو تعالي شرفيني في غُرفتي أي وقت تحبي تخرجي اللي جواكي، أنا مُستعدية أسمعك..

كانت نورا لا تتحدث، لكنها شعرت بطمأنينة مُنذُ أن قبَّلَت رحمة رأسها وتحدثت إليها.

رحمة: أسيبكم دلوقتي تتعشوا ولو هتناموا، لو احتاجتي أي حاجة ياطنط أنا جمبك، اعتبريني بنتك، وماتخجليش من طلب أي حاجة.

- ربنا يجازيكي كُل خيرعلى طيبة قلبك، وصفاء نيتك، وزيارتك الجميلة.

تبسمت لها رحمة وعادت إلى غُرفتها، نامت واستيقظت على أذان الفجر، صلت وذهبت؛ لتيقظ غادة ووالدتها للصلاة، وبعد أن أيقظتهم تركتهُم وأحبت أخذ جولة في العنبر فهي لاتُحب جلوس السرير، وبينما كانت تسير.. نظرت إلى غُرفة على يسار غُرفة نورا فوجدت فتاة وجهها باهت يميل لونه للزرقة! تُحاول جاهدة أن تلتقط زُجاجة الماء من على الطاولة بجانبها لا أحد معها، وبينما تحاول كادت تسقُط! فأسرعت رحمة وأمسكت بها وناولتها الماء وأسقتها، فشكرتها الفتاة المريضة..

مدت لها رحمة يدها للسلام قائلة: أنا رحمة في الغُرفة اللي في وش نورا اللي جمبك..

صعبة صح؟ شكلك ماتعرفيش نورا!

- بصي أنا في الغُرفة ٣٠٧ معاكي في العنبر، اسمك إيه؟

- أسماء .. اسمي أسماء.

- عاشت الأسامي يا جميلة.

- جميلة! أنا جميلة؟!

وسرعان ما بكت بشدة عندما قالت لها رحمة يا جميلة؛ فاقتربت رحمة من أسماء، ووضعت يدها على كتفها بحنان تسألها وتمسح دموعها المُتساقطة..

- مالك يا أسماء؟

- كُنت جميلة، كُنت.. لكن السرطان زي مانتي شايفة دمرني.

نظرت إليها رحمة بصدمة أوجعتها قائلة: سرطان!

- آه سرطان.. عارفة أنا عمري كام سنة؟

فحدثت رحمة نفسها قائلة: تقريبًا فوق الأربعين أقل شيء.. لكنها لم ترد إخبار أسماء.

- مش عارفة، قوليلي.

- عمري ٢٣ سنة.. ٢٣ سنة يا رحمة!

لم تصدق رحمة ما سمعته من هول الصدمة! فالمرض يجعلها تبدو كعجوز مُسن، لكنها حاولت أن تُطيب خاطرها وتبتسم؛ لتُخرجها مما هي فيه..

- وماله يعني؟ الجمال مش في الوش والجسم! الجمال في القلب، الجمال جمال الأخلاق.

فبكت أسماء أكثر وأكثر وتردد: أخلاق! أخلاق!

- مالك يا حبيبتي احكيلي في حاجة أقدر أساعدك بيها؟

قالت بغضب وصراخ: لا مش عايزة حاجة من حد!

فابتسمت لها رحمة وبهدوء: مش هاضغط عليكي، وقت ما تجي تحكي وتفضفضي أنا جمبك وقريبة منك، وهفوت عليكي من وقت للتاني وأشوفك لو محتاجة حاجة.

- قولت مش عايزة حاجة من حد سيبوني في حالي.

- حاضر خلي بالك على نفسك، هفوت عليكي برده أطمن حتى لو انتي مش حابة، على قلبي زي العسل وأنا عارفة إنك هاتحتاجيني..

- أنا مابحتاجش لحد.. انتي إيه!

رحمة بابتسامة: أنا رحمة .. وحاسة بيكي وباللي بتمري بيه، كان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.. غُرفة ٣٠٧ ها.. السلام عليكُم.

نظرت أسماء بتعجب من أمر رحمة، وأيقنت أن بداخل هذه الفتاه حقًا رحمة، كأسمها، فهي لم تلقَ حنانًا من أحد مُطلقًا مثلما شعرت بحنان رحمة لها، وطيب كلامها وإحسانها منذ قليل!

وكانت تأتي صباحًا كُل يومين سيارة الإسعاف؛ لتأخذ أسماء إلى مستشفى أُخرى لجلسة الكيماوي، وعندما كانوا ينقلونها مرت من أمام غُرفة رحمة وسمعت تلاوتها للقرآن بخشوع وصوت جميل، كانت آيات من سورة البقرة..

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)

وقعت آيات الله في قلب أسماء، وبكت بُكاءً شديدًا حتى تعجبت المُمرضات..

وقالت المُمرضة نجاة: مالك يا أسماء مش أول مرة تروحي جلسة الكيماوي بتعيطي ليه؟

فلم تُجِب أسماء عليها..

وبينما تقرأ رحمة القرآن جاءت إليها غادة ووالدتها، جلسوا بجانبها يستمعون لها ولجمال صوتِها وخشوعها في القراءة إلى أن أنهت تلاوتها، جلست تتحدث معهُم وتحكي لهُم قصص عن كثير من المواقف التي قابلتها،

وبينما هُم يتحدثون ويضحكون عن مواقف رحمة الفُكاهية طرق أحد على الباب وكان مفتوحًا..

فقالت رحمة: اتفضلي

دكتورة سلوى: رحمة موجودة؟

رحمة وقد كانت تضحك مع غادة.. فنظرت إلى الطبيبة قائلة: أيوة أنا يا دكتور اتفضلي.

نظرت الطبيبة إلى الورق الذي معها جيدًا، ثم نظرت إلى رحمة في تعجب وقالت: مش معقول اللي أنا شايفاه!

خرج الجميع من الغُرفة وتركوا رحمة والطبيبة سلوى..

دكتورة سلوى: مش مصدقة إنك انتي رحمة!

- طبعًا مكتوب عندك حالة نفسية!

- آه بالظبط.. بس أنا مش شايفة غير بنوتة زي القمر الضحكة مرسومة على وشها انتي إيه اللي جابك هنا؟

فمازحتها رحمة قائلة: جيت أذاكر بس ما عرفتش برده.

فضحكت رحمة والطبيبة، وأخبرتها رحمة فيما بعد أن الله قد أرسلها إلى هُنا لحكمة عندهُ. وقالت: احكيلي بقى يا رحمة مالك فيكي إيه؟

نظرت رحمة إلى قدم الطبيبة، التي كانت ترتدي حذاء خفيف طبي مفتوح، يُظهر أصابع القدم، لمحت الإصبع الكبير من قدمها اليُسرى يهتز باستمرار دون توقف وبلا إرادة..

قالت رحمة: أنا بخير زي الورد.. احكيلي انتي فيكي إيه؟ وليه متوترة وإيه الضغط اللي عليكي بالشكل الكبير ده؟

تتعجب الطبيبة من قول رحمة وتتلعثم في الكلام، تحاول أن تُظهر الابتسامة قائلة: أنا بخير الحمد لله.. قوليلي انتي داخلة بحالة نفسية المُستشفى والسُكر عندك عالي على طول إيه السبب؟ اتكلمي معايا.

شردت رحمة وهي تتحدث مع الطبيبة..

أحكيلك إيه! عن عجائب اللي بشوفه وبسمعه! مش عارفة بتخيل ولا حقيقة إن في حد بيكلمني، وبشوف في المنام حاجات بصحى ألاقيها بتتحقق!

فابتسمت الطبيبة سلوى منكرة ما تقوله رحمة قائلة: ده العقل الباطن وهلاوس مافيش حد بيكلمك ولا حاجة.

- عارفة إنك هتقوليلي كده، عشان كده مابحكيش لحد، يعني لما أفقد وعيي ما يقرُب من العشر دقايق، وأشوف مُديري لافف حوليه تُعبان ضخم أسود ويقتلُه وأفوق ألاقيه مات في نفس اللحظة! ده يبقى أيه؟!

- يبقى صُدفة، مُجرد صُدفة يا رحمة، علم النفس بيفسر الأمور اللي بيمر بيها الإنسان في حالات زيك كده بإنها هلاوس من العقل اللاواعي كونها، خُذي العلبة دي ..

- إيه ده؟

- ده دواء لعلاج الاكتئاب والأمراض النفسية، ولازم تاخذيه قبل النوم لإنُه بينيم، فيه مادة قوية زي البنج كده بيدخلك في غيبوبة نوم طويلة.

- ده اللي انتي بتاخديه!

نظرت الطبيبة بتعجُب شديد إلى رحمة وفزعت! تلعثمت ومن ثم حاولت التهرب من الكلام قائلة: مين قالك كده؟ لأ طبعًا؛ أنا شايلاه في جيبي عشان المرضى بس.

- تمام يا دكتور، بس أنا مش هاخد أي حاجة من دي لإن تأثيرها سلبي ومُمكن تبقى إدمان، كما إني مش مريضة نفسية، ولا بعاني من حالات اكتئاب.

- لازم تاخديه يا رحمة، دكتور مدحت أصر وطلب مني أديكي العلاج.

- دكتور مدحت!

فابتسمت لها قائلة: إن شاء الله، لكنها تعلم أنها لن تأخذه أبدًا.

أخذت رحمة العلبة ووضعتها في جيب الجاكيت الخاص بها. قالت الطبيبة: لازم تتخلصي من أي وجع أو أي حاجة بتسبب ليكي ألم، ماتغصبيش نفسك على حاجة انتي مش عايزاها.

- بالظبط يا دكتور.. لازم تعرفي ده كويس، وإنك مش لازم تكملي مع جوزك وتتحملي سخافتُه وخُلقه السيئ وخيانتُه المُستمرة، وتتحملي اللي بيعملُه مع البنات في الدروس..

فنظرت لرحمة بفزع شديد وتوتر جاحظة العينين: جوزي إيه؟!

انتي عرفتي من أين ده كُله؟ انتي إزاي..انتي مين؟

- أنا رحمة، اهدي وهحكيلك.

النهاردة قبل الفجر حلمت بقاضي في جنينة، وقاعد على كُرسي القُضاة وبيحكم في أمرك، وانتي على يمينه ببنوتين، وجوزك على شمالُه وراء قضبان سجن، وأمرك القاضي بالكلام فحكتيله إنه مُدرس وبيضحك على البنات ويواعدهُم ويجبهُم الشقة في الوقت اللي انتي في شُغلك فيه، وإنك في مرة مسكتي تليفونه صُدفة وشوفتي رسايل بينه وبين بنت طالبة عنده ومتفقين إنه هياخدها البيت عندك في وقت انتي فيه في الشغل، انتي عرفتي كده

وماعرفتهوش إنك عرفتي، وروحتي شُغلك عادي، وطلعتي على الشقة بدري في نفس الوقت اللي حدده مع البنت، ودخلتي عليهُم بوضع سيئ، وبالرغم من كده كرر العمل ده أكثر من ثلاث مرات بعد معرفتك! وإنك بتاخدي من علاج الاكتئاب ده، وإنه بيعذب بناتك وبيضربهُم ومدمر حياتهُم، وكان بيعمل حاجات وحشة في بناتك؛ بيغتصبهم بالرغم من صغرهُم وإنهُم بناتُه! ولما دخلتي عليا الغُرفة حاولت أفتكر أنا شوفتك فين؟ فتذكرت حلم اليوم واحنا بنتكلم..

فسمعت لها الطبيبة وهي في حالة صدمة وذهول تام من دقة ما تسمعه..

قالت: ده صحيح وحقيقي كُل اللي قولتيه، بس إزاي شوفتي كُل ده؟ وحكتيه بالتفصيل؟

ده كُله حصل فعلاً.. أنا مش قادرة أستوعب!

نظرت إليها رحمة بابتسامة رقيقة، وكُلها ثقة وهي ترى تلعثُم الطبيبة وتوتُرها وفزعها قائلة: لسه شايفه إنُها هلاوس والعقل اللاواعي بيتخيل حاجات؟!

- أنا أسفة، أنا كلمتك وحاولت أعالجك على حسب العلم واللي اتعلمتُه وعالجت بيه الناس.

- بس أنا مش زي الناس.. والعلم ماوصلش لكُل حاجة!

- أنا مُتأكدة دلوقتي إنك مش زي أي حد، انتي مُختلفة وفيكي شيء لله.. تقدري تساعديني أعمل إيه في مُشكلتي؟

- طبعًا هساعدك.. أومال كُل ده حصل ليه؟ كُل ده له حكمة عند الله سبحانه وتعالى..

"يرسلنا الله بعضنا لبعض رحمات"

بصي انتي لازم تتحرري من الراجل ده، أولاً انتي اللي بتصرفي على البيت وعلى بناتك وعليه، انتي اللي بتعملي كُل حاجة وإنه شخص مش أمين لا ليكي ولبناتك، وإنه مايستحقش تكوني مراتُه، وانتي مش في حاجة ليه فرؤية القاضي دليل على إنك لازم تروحي تطلُبي الطلاق، وربنا يعوضك خير الخير في الدنيا والآخرة وانتي في حماية الله، اصبري وصابري.

قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾**

- انتي صح في كُل حاجة.. أنا هعمل كُل اللي قولتيلي عليه.

- الله ييسر لكِ أمرك

عانقت الطبيبة سلوى رحمة، ومسحت رحمة على ظهرها ورأسها بحنان قائلة: الجنة تحت رجليكُم انتوا يا أُمهات، كرمنا الله كنساء في الإسلام كرم مالهوش حدود وأعزنا، أوعي تسمحي لحد يذلك أو يذل بناتك، انتي في عزة ماتخافيش وتقولي الكلام الشائع ضل راجل ولا ضل حيطة! لا؛ خليكي في ظل الله، حمايتُه، تدبرُه لأمورنا أعظم بكثير، ربنا يعوضك انتي وبناتك خيراً منه.. اعرفي إن ربنا سبحانه وتعالى قال: **(من يتقِ الله يجعل لهُ مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب..)**

- أنا كُنت جاية أعالجك، انتي اللي عالجتيني.. أنا مبسوطة أوي بمعرفتك.

- وأنا كمان والله فرحانه بيكي وإنك أخدتي القرار السليم، ابقي افتكريني في دعواتك.

- عُمري ماهنساكي أبدًا.

- ماتنسيش تشكُري الله؛ لأنُه هو اللي سبب الأسباب، وأعطى الأحكام، وقضى في الأمر.

- لا إله إلا الله، ونعم بالله العلي العظيم.

تركت الطبيبة سلوى رحمة، ودخلت المُمرضة نجاة قائلة: رحمة.. أسماء اللي في غُرفة ٣٠٣ طلبت تشوفك.

فرحت رحمة وكانت تعلم أن أسماء ستدعوها في وقتٍ ما..

طرقت رحمة باب غُرفة أسماء الذي كان مفتوحًا فأذنت لها أسماء بالدخول.

رحمة: السلام عليكُم عاملة إيه النهاردة؟ جيت من ساعة لقيت الغُرفة فاضية، سألت عليكي قالولي في جلسة الكيماوي شفاكِ الله وعافاكِ..

قاطعتها أسماء وهي تتحدث قائلة: رحمة انتي جميلة أوي.. وصوتك جميل أوي أوي.

- صوتي! تسلميلي انتي الأجمل، بس سمعتي صوتي فين؟

- النهاردة وهما بينقلوني لجلسة العلاج الكيماوي، كانت نقلة لجلسة علاج روحي إني أعدي من قدام غُرفتك وأسمعك وانتي بتقرأي بخشوع الآية اللي جت على الجرح عشان تمسحه.

- أنهي آية؟

- أنا مش حافظاها كُلها بس اللي هي ولنبلونكُم بالخوف والجوع .. اللي بتتكلم على المُصيبة وفيها إنا لله وإنا إليه راجعون.

- أيوة الآية العظيمة من السورة العظيمة "سورة البقرة"، من كرم ربنا عليا بقرأها كُل يوم..

فتعجبت أسماء قائلة: كُل يوم! دي طويلة أوي وشيء أكيد بيكون مُمل!

تنهدت رحمة، ثم قالت بابتسامة: أبدًا يا أسماء عُمر ما كان القُرآن مُمل، بالعكس ده راحة واطمئنان.

- عارفة، بس مش أي حد عندُه القدرة على أنه يستحمل يقرأ في القرآن والسور الطويلة زي سورة البقرة.

- معاكي.. بس لازم المُثابرة.. الرسول ﷺ قال عن فضل سورة البقرة: إن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة أي: لا يقدر عليها السحرة.

والصحابة الكرام - رضي الله عنهم - في اللي كان بيختم القرآن في ليلة، وفي اللي كان بيختمه في ثلاثة أيام وغيره..

بصي أصعب صبر واللي هو الصبر الجميل واللي يُجازى عليه الأنسان أنه صبر؛ هو الصبر على الطاعة والعبادة، لإن دي اللي قُدامك فيها الاختيار، يا تُعبدي وتطيعي الله يا تنحرفي عن طريقهُ! لكن أقل أنواع الصبر، هو الصبر على المرض؛ لإن كده كده مافيش قُدامك غير إنك تصبُري، وعشان كده ربنا بيقول في كتابه الكريم: **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)** سبق الصبر الصلاة؛ لإن الإنسان بالصبر هيداوم على الصلاة والعبادة، والصلاة والعبادة أمرهما عظيم، فكُله بالصبر.

- يارب سُبحانك.. مُمكن تقرأي الآية تاني بصوتك! الآية اللي سمعتك بتقرأيها وأنا رايحة جلسة الكيماوي..

رحمة بابتسامة: حاضر.

تلت رحمة عليها الآية كما طلبت، لكن أسماء لم تتوقف عن البُكاء..

فجمال الآيات مع صوت رحمة وتلاوتها جعل جوارحها تخشع لله ومن ثم تحدثت أسماء قائلة: ربنا يديكي كُل اللي بتتمنيه.

- وربنا يشفيكي من كُل ألم وسقم، ويجعله في ميزان حسناتك بإذن الله

- لازم يعذبني الأول على اللي كُنت بعملُه.

- استغفري الله، وقولي اللهم أعني على حُسن الظن بك.. ربنا مش عشان ابتلانا بمرض يبقى بيعذبنا.. مش يمكن بيزود حسناتنا، وبيغفر ذنوبنا، وبيقيس صبرنا وتحمُلنا! أوعي تسيئي الظن بالله، لو هيعذبنا بأعمالنا مكنش فيه حد نجا، ولكن رحمتهُ وسعت كُل شيء.. "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون".

- ريحتي قلبي الله يريح قلبك.. بس أنا.. أنا هاحكيلك كُل حاجة عني.

- اتفضلي وأنا كُلي أذانُ صَاغية.

- احنا من العامرية.. أبويا إمام مسجد، وعمتي ساكنة في ميامي وليها محل ملابس في خالد بن الوليد، مليت من قاعدة البيت وعايزة أنزل شغل أعمل أي حاجة، كان عمري ١٩ سنة كان معايا دبلوم ماكملتش دراسة، فأبويا رفض أنزل شغل.. فكلمت خالتي تتحايل عليه أنزل معاها في المحل بتاعها وطول مُدة الشغل أبات عندها، بصعوبة وبعد مُحايلات وافق. نزلت مع خالتي إسكندرية ووقفت معاها في المحل، أول الأمر كُنت مكسوفة ومش عارفة أبيع وانتي عارفة زحمة خالد بن الوليد ومحلات كثير جداً وبياعين ياما، شوفت البنات ولبسهُم والمكياج اللي بيحطوه والشباب بيعاكسوهُم، قولت أعمل زيهُم أشمعنة هُم وأنا لأ؟ ألبس زيهُم وأحط مكياج وأمشي مشيتهُم فبقيت أخُذ القبض بتاعي وأصرفه على الميكاج واللبس، والبنت الخجولة بقت شقية، بجحة. اتعرفت على الشاب اللي في المحل اللي جمبي والراجل

اللي في المحل اللي في وشي، وكُنت جميلة أي حد يدخُل المحل من الزباين لازم يعاكسني وأقعد أهزر معاه ويهزر معايا.. بدأوا الشباب كُل شوية واحد منهُم يدخُلي المحل يهزروا بالإيد، وبدأنا ناخد تليفونات بعض ونتكلم، مش مُرتبطة بواحد لا.. بأربعة خمسة، وكُلهُم أكلمهُم نفس الكلام وفكرت كده إني جامدة ومافيش مني. في يوم الأجازة مارجعش العامرية لأبويا اللي قاعد لوحده ومستنيني، وأخرج مع أي واحد فيهُم، وأسمحله يعمل أي حاجة، وكان بيلمسني في كُل مكان وأنا عادي بالنسبالي مافكرتش في مرة إني بنت إمام المسجد! وبقيت بكلم خالتي وحش، خالتي اللي شغلتني معاها واهتمت لأمري، ومابقاش عاجبها شُغلي وبقيت مُهملة في البيع فعرفت أُختي بسلوكي، ولما كلمتني أُختي قالتلي لو ماعدلتيش نفسك هقول لأبوكي، رديت عليها بمُنتهي قلة الأدب "طز فيكوا كُلكُم أنا مش بتهدد"!

خافت أختي عليا، وفي نفس الوقت مش عايزة تقول لأبويا، بدأوا الشباب بالبلدي يحدفوني لبعض، واحد يقول هديهالك أنتَ النهاردة يا صاحبي، والتاني يقول لأ مش عايزها مليت منها خُذها أنتَ، وبدأوا يحدفوني لبعض سلعة رخيصة، لعبة، بقيت لعبة قذرة في إيد ذئاب.. مهو أنا اللي سمحتلهُم وبعت نفسي ليهُم..

فهمت غلطي وكُنت حزينة أوي من اللي حصل والتهاون اللي أنا كُنت فيه.. اتأسفت لخالتي ورجعت العامرية، وقولت لبابا أنا هقعد معاك هنا وأعملك اللي أنت عايزه، أنا عارفة إنك محتاجلي ومافيش حد معاك، فرح جدًا برجوعي لإنه كان رافض نزولي إسكندرية والشغل من الأساس.. ياريتني سمعت كلامه، وكانت والدتي متوفية مالهوش غيري وماليش غيره وأختي بعيدة عنا في القاهرة.. باس راسي وقالي ربنا يحفظك يا بنتي ويسترك ويصونك، سيبته ودخلت عيطت، عيطت عشان عارفة بشاعة اللي كُنت

بعملُه بعد دعوتهُ الصافية الطيبة ليا، وبعد يومين أبويا بعد ما رجع من صلاة العصر لقيته بينادي عليا، يا أسماء في عريس مُحترم متقدملك يابنتي إيه رأيك؟

قلبي وقع في رجلي، اترعشت وخوفت، أعمل إيه وأقول إيه؟

أنا خايفة يعرف باللي كُنت بعمله يا رب أستُرها معايا، وقعدت أقنع نفسي أن العامرية بعيدة عن مكان شُغلي القديم، واحتمال كبير نبقي بُعاد عن اللي حصل مني، فسألني بابا ها إيه رأيك؟

فقولتلُه اللي تشوفهُ أنتَ يا بابا.. قالي أنا شايفهُ كويس ومحافظ على صلاتُه كدة يبقى مبروك يا بنتي.

تمت الخطوبة وكُنت طول الوقت مرعوبة إنه يعرف حاجة.. أنا بخير وبُعذريتي بس خُفت من السمعة اللي سبتها في شارع خالد بن الوليد تطاردني في العامرية اللي سُمعتي فيها بنت إمام المسجد، كُنت خجولة منه ومن الكلام معاه..

تم بعد كده الجواز وكُنا أول الأيام حلوين وشكرت الله على سترُه ورزقه، وبعد أول أسبوع بدأ يحكيلي كُل شوية وكُل لحظة عن غرامياتُه وحكاياتُه مع البنات، وكُل شوية يقولي البنات كانت بتموت فيا، وفلانة كُنت معاها وسبتها ماهمنيش، وفلانة وفلانة وفلانة.. ويفضل يحكيلي ويتباهى بكُل السوء اللي كان بيعملوا.. وإن البنات كانت بتموت عليه وكُلهُم ماكنوش تمام عشان سلموا نفسهُم ليه، وفي الآخر يقول إنه أخد الجميلة الطاهرة النقية بنت مام المسجد!

وفي قرراة نفسي بقيت بقول خليك مفكر أنك أخدت الطاهرة بنت إمام المسجد، لكن هو دين (كما تدين تُدان) زي ماكُنت بتعمل في بنات

الناس رزقك ربنا بواحده أتعمل فيها كُل حاجة.. وفتحت التلفزيون وقتها سمعت الآية اللي بتحكي عننا احنا وكأنها إشارة..

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)

سمعت الآية وفضلت أعيط جامد، وهو يسألني في إية مالك؟ ماكُنتش عارفة أجاوبه، ولا عرفت أوصلُه إحساس الآية زي ما وصلني لعلُه يتوب عن التباهي بالذنب. والدي توفي حزنت عليه كتير، وبعد مُدة.. فجأة بدأت أتعب وبدأت ألاقي في صدري بُقع مكلكعة زرقاء، كشفت، طلبوا مني أعمل تحاليل وأشعة على الصدر كُله، فكانت نتيجة الأشعة إني عندي ورم في الثدي! فكان الحل الاستئصال!

فدخلت العمليات واستأصلوا الثدي بالكامل، وكُنت باخُد كيماوي.. بدأ زوجي يتغير من ناحيتي، وبدأت أتعب تاني، اكتشفوا إن الورم بقى في الثدي الثاني كمان! فاستأصلوه..

مابقاش بيقربلي خالص وبعد عني.. وبعدها لقيته بيقولي أنا مش قادر أستحملك أنا مش مغصوب عليا أتحملك وانتي بالشكل ده! انتي طالق! طلقني وكُنت في أشد لحظات عُمري يأس ومحتاجاه جمبي.. مرضت والمرض اشتد عليا، وبعد التحاليل اتضح إن السرطان بقى في الجسم كُله، انتشر.. وبعد كده أختي وجوزها دخلوني المُستشفى وسبوني.. مليش غير أختي بس في الدنيا وبتيجي مرة في الشهر تزورني وأوقات مابتجيش خالص.

أنا آسفة سامحيني إني عاملتك وحش امبارح.. أنا عايزاكي جمبي أنا محتجاكي..

ظلت تبكي أسماء، فقامت رحمة من على الكُرسي وعانقتها قائلة: ماتقوليش ماليش غير أختي.. قولي ليا أُختين دلوقتي.

فرحت أسماء وقالت: بجد! بجد هتبقي أختي ومش هتسبيني؟

- أسيبك إزاي؟ ده انتي محظوظة.. الابتلاء محبة من الله يا بنتي عشان يتوب عليكي ويغفرلك، وأنا بحب اللي يحبه الله.

- يعني أنا برغم كُل اللي عملته ربنا بيحبني!

- شوفتي بقى، وانتي كُنتي مفكراه بيعذبك!

هو أرحم الراحمين سُبحانه، فرعون قال: أنا ربُكُم الأعلي، وربنا قال لسيدنا موسي وسيدنا هارون أخيه: **(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)**

شوفتي رحمة أعظم من كده! شوفتي حلم أعظم من كده! كان قادر ربنا يدمرُه من أول لحظة ولكن الله يُمهل، وبعتله آيات كثيرة وكان رحيم عليه بس فرعون اللي تكبر وعاند فكان جزاؤه سوء الخِتام.

كُل منا خطاء وربنا بيبعتلنا آيات لعلها ترُدنا له بتوبة نصوح.. مش قولتلك أحسني الظن بالله وقولي اللهم أعني على حُسن الظن بك!

- اللهم أعني على حسن الظن بك.. يا رحيم بعبادك، يا أرحم الراحمين.

- شاطرة.. وسعت رحمته كُل شيء سُبحانهُ.

- عرفتي من أين إن ربنا عايز يتوب عليا؟

- مش انتي توبتي وندمتي علي اللي فات؟!

- آه والله.

- رجعتي تعمليه تاني وتتبعي شهوتك؟!

- لا والله.

- طيب ربنا في كتابه بيقول: **(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً)**.

يعني انتي سيبتي الشهوات وندمتي، يعني الجُزء التاني من الآية مش ليكي إن شاء الله، والجُزء الأول هو اللي ربنا عايزه ليكي بإذن الرحمن؛ إنك تتوبي وتخلصي النية وتستغفريه وتداومي على الصلاة والتسبيح والذكر، اقرأي القرآن وانتي هتحسي بسعادة من كُل حاجة حواليكي.

- الله يفتحها عليكِ وعلى والديكِ، وينور حياتك وقلبك زي ماهو منور وشك، فرحتيني وعطتيني الأمل، جيتيلي من عند ربنا هدية بعد ما كُنت قاعدة في سريري مُنتظرة الموت وبعده جهنم!

- اللهم إني أعوذ بكَ من جهنم، وأُعيذُها بكَ من جهنم وعذابها، إن عذابها كان غراما.

- اللهم آمين يارب.

- يا بنتي ربنا رحمتُه وسعت كُل شيء.

- ونعم بالله.

- يالا بقى عايزاكي تاكلي الأكل كُله اللي بيتقدملك عشان تخفي وتبقي زي الفل، ونخرجوا ونتفسحوا ونقعد علي البحر وناكل آيس كريم وترمس.

- الله.. نفسي والله، هو أنا مُمكن أخف وأخرج من السجن ده! من المُستحيلات يارحمة أنا مرحلة مُتأخرة وهموت خلاص.

- لسه قايلالك إيه! قولي اللهُم أعني على حُسن الظن بك، الموت بيد الله هو اللي بيحيي ويُميت وقادر وحده يشفيكي.

- بس أنا خايفة من الموت.. انتي يا رحمة مش خايفة من الموت؟!

- والله دايمًا في اعتقادي إني إن مُت فالموت جميل، لأن من خلالُه هروح لربنا، وأنا مُشتاقة ليه ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءهُ.. وأن عشت بتمني أعيش حياتي في عمل كُل حاجة بيحبها ربنا وبيرضي عنها.. فالموت والحياة مُستقرهُم وأمرهُم بين أيادي الله كُن فيكون.

- من هنا ورايح هتشوفي أسماء واحده تانية مُختلفة، أنا عايزة أعيش عايزة أعمل كُل خير أعوض اللي فات من عمري.

- أيوة كده.. يبقى ناكل كويس ونقوم من السرير نتمشي ونحافظ على الصلاة.

- حاضر ابقي صحيني معاكي لما تصلي الفجر زي مابتصحي غادة ومامتها.

- عنيا حاضر بإذن الله.

بدأت رحمة تُساعد أسماء في تناول طعامها، وبعد أن أنهت أسماء طعامها استأذت منها وعادت الي غُرفتها، وعندما دخلت الغُرفة وجدت صديقتها آية تنتظرها، سلمت عليها بحرارة واشتياق.. وبعد السلام واطمئنان كُل منهُما على الأخرى قالت آية: رحمة افتحي الدُرج بسرعة

- ليه؟

ففتحت آية حقيبتها وأظهرت لرحمة الشيكولاتة، فنظرت رحمة يمينًا ويسارًا قائلة: الله يسامحك ياشيخة.. شيكولاتة! وهنا في المُستشفى! حُطيها بسرعة بسرعة..

وفتحت رحمة لها دُرج الخِزانة الخاصة بها، وضعت آية الشيكولاتة فيه خِلسة. وكُل يوم تأتي آية فيه تجلب معها الشيكولاتة لرحمة.

جاءت عمة رحمة؛ لزيارتها في المستشفى وجلبت معها بسبوسة المكسرات التي تُحبها رحمة..

رحمة: إيه يا عمتو ده؟

- بسبوسة بالمكسرات، بسبوسة حبيبتك..

رحمة وعلى وجهها علامات الدهشة: ماشاء الله.. بسبوسة! ثم جاء اتصال في نفس الأونة من سماهر..

سماهر: أنا جايالك وجيبالك الآيس كريم اللي بتحبيه أجبلك حاجة تاني معايا؟!

تضرب رحمة بيدها على جبينها تعجبًا قائلة: هاتيلي كُشري معاكي.

- حاضر يا قلبي أنا ١٠ دقايق وأكون عندك.

والدة رحمة: كُشري إيه؟ هيعلي السُكر.

- هههههه سُكر إيه بقى! واحدة جايبالي شكولاتة كابري الكبيرة، والثانية جايبة بسبوسة بالمكسرات، والثالثة في الطريق جايبة الآيس كريم وجاية، انتوا لو قاصدين تقتلوني مش هتعملوا كده! انتوا ماتعرفوش أنا داخلة هنا ليه! فضحك الجميع.

جاءت سماهر وقد أحضرت الكُشري حقًا لرحمة كما طلبتهُ ومعها الآيس كريم..

رحمة: برافوا عليكي إنك مخبياه، بتمنى ماحدش يكون شم ريحته.

غمزت سماهر لرحمة قائلة: أنا رابطاه جامد.

قالت رحمة مازحة: مُتشكرين يا رجالة، في مُمرضة هنا بتنط كُل ما آكُل

حاجة، يارب ماتيجي دلوقتي خالص لهنلبس أسود كُلنا لأنه ممنوع دخول الكُشري المُستشفى.

سماهر: يالا بينا ناكُل.

دخلت المُمرضة هناء بعدما أنهت رحمة أكل الكُشري، والآيس كريم، وقامت بتحليل السُكر لها فوجدته مرتفعًا فتعجبت قائلة: إيه ده! إزاي كده؟ ٤٣٤!

فنظرت لها رحمة بكُل براءة قائلة: زي ما انتي شايفة الأكل مسلوق، والعصير مابشربهوش، والمحلول متعلق، والعلاج باخده، حتى عمتي جايبة هريسة بالمكسرات مارضتش أمد إيدي عليها.. تاخدي حته؟!

وعائلة رحمة وأصدقائها ينظرون إليها وهي تتحدث، ثم صاحت الضحكات مُتعالية من الجميع ..

فنظرت رحمة إليهم وهي تمزح قائلة: حاجتين الإنسان لازم يخلي بالُه منهُم النفس السوء، تقولها وهي تشاور على نفسها، والصُحاب السوء وهي تشاور على صديقاتها..

وبعد ضحك ومزاح عميق ودعت صديقاتها وعمَتها، ثم علقت المُمرضة هناء لها محلول مرة أُخرى، وزادت لها في جرعة الأنسولين. استعدت رحمة للنوم وبعد أن أغمضت عيناها بلحظات قليلة هُنالك طرق على الباب! فجلست وأذنت لمن يطرُق الباب بالدخول، فإذا بها مدام سكاكر والدة نورا، و نورا وهي على كرسي مُتحرك.. لأنها أوقات لا تشعر بالجزء الأسفل منها.

رحمة: اتفضلوا.. اتفضلوا.

والدة نورا: رحمة.. خرجت بنورا أمشيها شوية لقيتها بتشاورعلى غُرفتك ومُصرة فجبتها، أنا عارفة إن الوقت متأخر سامحيني..

- لا ياطنط مفيش حاجة أنا تحت أمرك في أي وقت، هو عدى أول حلم بس.. مُمكن تسيبينا شوية مع بعض؟!

فرحت والدة نورا لأن رحمة ستجلس مع ابنتها، ولأن نورا وافقت أن تجلس مع أحد من الأساس. قالت: آه طبعًا.. أول ماتخلصوا ناديني آجي آخُدها.

- حاضر.

حاولت رحمة تغيير مزاج نورا وفتح باب للحوار بينهُم قائلة: تشربي عصير؟!

فهزت نورا رأسها بالنفي

رحمة مازحة: تاكلي لب؟ مش عارفة أضايفك والله من المحلول اللي متعلق ده.. طيب أجبلك فشار؟ طيب إيه رأيك ناكل سوا شيكولاتة! أصل بيني وبينك أصحابي عايزين يقتلوني بطريقة غير مباشرة؛ عارفين إني داخلة المُستشفى بالسُكر واللي جايبة تمر بالكاجو وجاية، واللي جايبة شيكولاتة حجم عائلي، واللي جايبه آيس كريم، واللي جايبه بسبوسة، حاجة عسل ما شاء الله..

ابتسمت نورا، فتبسمت رحمة لها قائلة: يبقى أجبلك بسبوسة.

هزت نورا رأسها بالرفض مرة أخرى..

فقالت رحمة: حلمت من شوية قبل ما تخبطي على الباب، إن في عصابة بتجري ورايا فهربت منهُم ووصلت البيت، فقابلت أُمي بقولها ماما لازم نسيب البيت بسُرعة في عصابة بتجري ورايا، ردت عليا بلا مبالاة وقالتلي: استني لما ألم الغسيل الأول! حاجة ما شاء الله يعني.

وكعادة رحمة إذا تحدثت أضحكت من حولها، فضحكت نورا وعلت ضحكتها، ففرحت رحمة بضحكتها..

وهنا أخيرا تحدثت نورا بعد مُدة طويلة لم يسمع أحد لها همسًا.. ثم بكت نورا بعد ضحكها.

- مالك يانورا ليه بتعيطي؟

- أول مرة أضحك من مُدة طويلة، أول مرة قلبي يضحك.

تبسمت لها رحمة، ووضعت يدها على كَتفها وقالت: ربنا يديم الضحكة الحلوة.

- أمي قالتلي إن وشك منور وفيه حُب كبير، وكُل العنبر بيحبك وبيحب يتكلم معاكي، والعنبر كُله بيجي لغُرفتك إيه السر؟ وأم غادة لقيتها بتتكلم جمب غُرفتي عنك وبتقول وشك منور.. إزاي منور بتستخدمي إيه؟

- رُبما قيام الليل.. نور الوجه سببه قيام الليل يا نورا.

- قيام الليل؟ طيب وحُب الناس، ومحبتهُم الشديدة ليكي؟!

- المحبة دي من فضل الله لما يرضى عن عبد من عباده..

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ **قال: «إن الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض..»**

- الله.. ياريتني زيك وفي كلامك ويقينك.

- أنا ولا حاجة يابنتي، كلنا بشر وسواء.. انتي اللي يابختك ربنا بيحبك.

- يابختي في إيه؟ إني اتعميت! وإزاي بيحبني؟ ثم تبكي وتقول: ده بيعذبني بيعاقبني..

- لا حول ولاقوة إلا بالله، أوعي تظني بالله السوء، بتتكلمي كده على أي أساس؟

- أنا عارفة نفسي، واللي عملتهُ في حياتي عشان كده قولت الكلام ده! إنما انتي بتقولي إنه بيحبني على أي أساس؟

- إنه أخد منك بصرك يبقى بيحبك، إنه خلاكي تراجعي نفسك وتعرفي غلطك يبقى بيحبك، إنه ابتلاكي يبقى بيحبك وعايز يتوب عليكي، وعايزك ترجعيله.

- بس ده مُستحيل! أنا عملت حاجات بشعة مُستحيل ربنا يغفرها ليا مُستحيل..

- يانورا من ظن أن الله لن يغفر له فقد ظن بالله السوء.. انتي ماسمعتيش الآية الكريمة من سورة الزُمر! يقول الله تعالى: **﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾**

سمعتي؟ يغفر الذنوب جميعًا، كُل ذنوبك يانورا بإذن الله.

- حتى لو زنا؟

فنظرت رحمة إلى نورا متعجبة..!

فقالت نورا: شوفتي سكتي إزاي؟

فابتسمت لها رحمة وقالت: حتى لو زنا هيغفر سُبحانهُ وتعالى مادام عقدتي النية للتوبة والاستغفار.

- حتى لو كان الزنا ده في نهار شهر رمضان!

- إيه؟!

تُطأطأ رحمة رأسها حُزنًا مما تسمع..

فقالت نورا: شوفتي بقى إني في مُصيبة كبيرة ميغفرهاش ربنا.

رفعت رحمة رأسها، تبتسم لنورا، تنظُر إليها وتُحدثها قائلة: يابنتي الله غافر الذنب، وقابل التوبة سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء، التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ماتيأسيش من روح الله ولا تقنطي من رحمته فسبحانه واسع المغفرة، لو مكناش نُخطئ ونستغفر كان ربنا جاب قوم غيرنا يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم.

- يعني أنا مُمكن ربنا يغفرلي؟

- بإذن الله.

- أنا هحكيلك حكايتي..

- كُلي آذانٌ صَاغية.

حكت نورا بكُل ألم، وندم، وحسرة لرحمة قائلة: ولدت أمي أول بنت وكانت عمياء، وولدت التانية وكانت هي كمان عمياء، والثالثة نفس الشيء، ولما حملت فيا قالت لبابا إنها عايزة تعمل إجهاض، وإنهُم مش حمل يطلع الطفل ده كمان أعمى، وكانت حزينة أوي، فبابا قالها متيأسيش من رحمة ربنا وكرمه، أيا يكُن هو رزق وإحنا راضيين بيه ماتنزلهوش. وفعلاً كملت الحمل واتولدت أنا..

وكنت الوحيدة وسط اخواتي اللي بشوف! فرحت ماما وبابا وشكروا الله على هديتهُ، وسموني نورا عشان بقدر أشوف النور. واخواتي البنات

حفظوا القُرآن كُله إلا أنا! كُنت ملهية ومهوسة بالفيس بوك، والواتس آب، والإنستجرام والصور، واللبس، وإني أكون جميلة وأفتن أي حد.. مش بس كده! عيوني اللي هما نعمة من الله محافظتش عليهُم وكُنت بفتح المواقع المُحرمة وأمتع نظري بيهُم في الوقت اللي إخواتي بينادوني أقرأ معاهُم قُرآن!

كانوا كُل يوم يعملوا حلقة ويتجمعوا ويسمعوا القُرآن لبعض، كُل واحدة تسمع جُزء، فكُنت برفض وأقولهُم بذاكر سبوني في حالي، وطبعًا فاتحة المواقع القذرة لا بذاكر ولاحاجة، وبتفرج ومبسوطة إن اخواتي عُميِ محدش هيشوف حاجة، وأمي وأبويا طول الوقت في الأرض، فماحدش يعرف حاجة ولا شايف حاجة، معملتش حساب رب الناس كُلها اللي بيشوفني من فوق سبع سموات.

اتخرجت من كُلية صيدلة، والكُلية كانت مجال كبير للتغيير اللي أنا فيه؛ تغيير للأسوأ، اشتغلت بعد التخرج في شركة أدوية، وكُنت بكلم شباب ومتجوزين ومش فارق معايا حاجة، المُسلسلات التركي المُدبلجة وقصص العشق، والنت وقصص الغرام فتحت عيني إني عايزة أعمل كده وألبس وأدلع نفسي، وقلعت الحجاب اللي كُنت متربية عليه من صغري، وكُنت عاصية لأمي وأبويا بعكس إخواتي اللي كانوا بارين بيهُم وبيسمعوا كلامهُم ويدعوا ليهُم. كان المُهندس المسئول عن الكاميرات والبرمجيات بيعاكسني وبيحاول يكلمني، وبعدين ينزلي مكتبي ويمسك إيدي وبدأت أتشدلُه وأطلعلُه مكتبُه وإحنا لوحدينا وأقربلُه..

وجه رمضان ولقيت نفسي بحط برفان وطلعتله، وقفلنا الباب بالمُفتاح وعملنا كُل السوء في نهار رمضان.. وبعديها فتحت الباب وأنا بكلم نفسي بتعجب وبقول إحنا في رمضان! وكبرت دماغي ونزلت لمكتبي، قربي منهُ كان

بيخليني أتفرج أكثر وأكثر على المواقع السوء، والشهوة تزيد كُل ما يقربلي.. كُنت كُل ما أشد مع إخواتي البنات أقولهُم ياعُمي بكُل فُجر وتكبر وأجرح فيهُم بكلامي.

وفي ليلة شديت مع أُختي الكبيرة كانت بتنصحني لوجه الله وبتقولي تعالي نصلي سوا المغرب وبعدها نقرأ قُرآن، قولتلها غوري من هنا، فسمعني بابا وزعقلي فرديت عليه بقلة أدب.. وقالي ياريتك زيهُم وحافظة قُرآن ربنا ومُطيعة، ياريتك كُنتي عمياء يمكن ماكُنتيش هتبقي بالسوء ده! أقولك حاجة.. انتي اللي عمياء وهما مُبصرين. وأمي مافيش في إيديها حاجة غير إنها بتدعيلي ربنا يهديني، وتبكي على سوء تصرُفاتي.

سيبتهُم ونمت على إني أصحى على ٨ كالعادة أروح الشركة بس اليوم ده المنبه مارنش عليا ولقيت ماما بتصحيني وبتقولي يانورا يالا اتأخرتي الساعة ١٠ الصبح! وكانت كُل مرة بتدخل غُرفتي بتفتح الشباك ويدخل نور ربنا، فلما صحيت بقولها إيه ده النور قاطع ولا إيه؟! قالتلي قاطع إزاي ما نور الشمس ضارب في وشك أهو! يالا افطري وانزلي شُغلك لو هتلحقي.. قولتلها بلا شغل بلا قرف نور إيه اللي داخل أنا مش شايفة حاجة أنا مش شايفة يا ماما.. انتي بتضحكي عليا، النور قاطع أنا هقوم أفتح الشباك.. لقيت الشباك مفتوح والدنيا سواد، حاولت أمسك تليفوني أفتح الكشاف.. الموبايل في إيدي مش شايفاه! بدأت أصرخ أنا اتعميت.. أنا اتعميت، أنا مش شايفة حاجة وقعت على الأرض من الصدمة! ماما وبابا أخدوني على المُستشفى، الدكتور كشف على كُل عين لوحدها، وبعد التقارير والفحص تأكد إني اتصبت بالعمى الكُلي! وقال انتي يا دكتورة اتصبتي بالعمى.. وكُنت بتمنى يكون عمى مؤقت! لكن حالتك بتأكد إنه عمى كُلي، وللأسف مش هتقدري تشوفي تاني، مش عارف أتوصل لسبب مُعين أدى لفقدانك البصر، لكن رُبما مرض وراثي بما إن والدتك بتقول إن إخواتك كُلهُم

مُصابين بالعمى، قولتلُه: يا دكتور بس أنا كُنت بشوف! قالي أكيد حكمة من ربنا اللي حصلك، عليكي بالصبر والتدبر.

رجعت معاهُم للبيت وأنا مابتكلمش نهائي، اتصبت بحالة غريبة، بقى إخواتي وبابا وماما يدخلوا يواسوني وأنا مابتكلمش، وإخواتي يرتلوا جمبي القُرآن، وأنا بقيت بقول يمكن اللي حصلي كُله لإني ماكُنتش بمتع نظري بالقرآن، وكُنت بشوف بيه المُحرمات، أديني خِسرتهُ، بس يا ترى هينفع الندم؟! بقيت يائسة، كلمت سامي اللي كُنت بحبه وخِسرت ديني بسببهُ أقوله اللي حصل معايا.. قالي: سلامتك بُكرة تخفي ماتقلقيش. وحسيتها منه ببرود، ولا حزن عليا ولاحاجة، ولا اتصل من بعديها! ولما حاولت أكلمُه ماكنش بيرُد وبعدها عملي بلوك، وطبعاً سيبت الشركة هُما مش بحاجة لوحدة عمياء، وأنا مش هعرف أشتغل وأنا كده.. بعدها بـ ١٠ أيام كلمتني ندا صاحبتي، وقالتلي إن سامي اتجوز! اتصدمت، اتجوز إزاي مرة واحدة كدة؟ ده معناها إنهُ كان خاطب وهو معايا ! وكان مخطط إني مش في حساباتُه، وإنه هيسبني حتى قبل ما يحصل اللي حصلي! واتقهرت وحالتي اتدهورت جامد، وبقى عندي تبول لا إرادي، أهلي اترعبوا عليا، عرضوني على دكتور، الدكتور قرر إني أتحجز في المُستشفى.. دخلت المُستشفى وهي هي حالتي مش بتكلم مع حد؛ لا دكاترة، ولا مُمرضات، ولا أي حد من أهلي حتى أمي! وفجأة جيتي انتي وبوستي رأسي وكلمتيني بحنية كُنت محتاجاها أوي، ومسكتي إيدي وقولتيلي: أنا جمبك في الغُرفة اللي في وشك على طول، لو احتجتي تتكلمي هسمعك وهساعدك. حسيت بانشراح وراحة من كلامك، وكلام الناس حواليا عنك، عرفت إن انتي جيتي نجدة ليا، وإنك هدية من ربنا ليا.

قالت رحمة: ربنا يصلح حالك ويرزقك توبة نصوح إن شاء الله..

عارفة يا نورا من المتوقع إن سامي هيعمل كده، وإنه هيسيبك، لإنه ماكنش ليكي من الأول.. عارفة ليه مش عايزك؟ عشان سلمتيلُه نفسك، والإنسان مش بيقدر قيمة الحاجة اللي بتجيله بالساهل، وعشان انشغلتي بيه عن ربك وعبادته، وربنا غيور على قلوب عباده إنها تنشغل بغيرُه، فصرفه عنك عشان يرُدك ليه.

الحجاب نعمة وصون وحماية، لازم ترجعي تاني تلبسيه، لازم ماتتهاونيش مع أي حد، الورود بتكون جميلة طول ما لسه الشوك حاميها، بس يوم لو شوكها سابها ألف إيد تتمد ليها، وانتي وردة جميلة لو نزعتي الشوك اللي حواليكي "العفة والحياء" هتتمد ليكي كُل إيد.

- الله على كلامك، صدقتي والله ده بالفعل اللي حصل.. طيب أنا أعمل إيه؟

- تتوبي إلى الله توبة نصوح، واستغفري طول الوقت والبسي حجابك، وادعي ربنا يشفيكي، وأنا عندي يقين من الله إنه هيرد ليكي بصرك بس لازم قرصة عارفة ليه؟! لعلهُم يتفكرون، ويتذكرون، ويرجعون لإن ربنا عايز يتوب عليكي.

- عايز يتوب عليا بعد كُل اللي عملتهُ!

- طبعًا.. الآية في سورة آل عمران بتقول إيه؟!

يقول الله عز وجل: **(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**

خدتي بالك.. "فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفُسَهُم" واللي فعل فاحشة هو في الأساس ظلم نفسُه، طيب عملوا إيه دول؟

ذكروا الله واستغفروا لذنوبهُم. هو مين اللي بيغفر الذنوب؟ الله سبحانه

وتعالى، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون.. خلاص مش هيعملوا كدة تاني، وتابوا وعاشوا في رضا من الله، ورضي الله عنهُم وأرضَاهُم.

يالا مستنية إيه؟! توبي إلى الله وتفاءلي باللي جاي، وعوضي اللي فاتك من هجر للقُرآن وعمري قلبك به، اسمعيه من على التليفون، اتعلمي طريقة برايل واقرأي بها.

إخواتك جمبك بعد الله هم طيبين وبيحبوكي، وقلبهُم عامر بالقُرآن، بيشوفوا بالبصيرة اللي مكانها القلب مش العين، هم هيساعدوكي ولازم تعتذري منهُم ومن والدايكي، أهم شيء رضَاهُم عنك.

"ففي رضَاهُم رضَا الرحمن"

– ياه.. كُنتي فين من زمان! ياريتني عرفتك من قبل ما يحصل كُل ده

– لو كُنتي عرفتيني من زمان ماكُنتيش هاتتقبلي مني كِلمة وقتها، كُل شيء عند الله مُقدر بقدر، وبوقت معين، وزمن معين، ومكان معين، فالحمد لله دائمًا وأبدًا.

كانت والدة نورا قد جاءت في اللحظات الأخيرة من الكلام بين نورا وورحمة، تقف خارج الغُرفة تستمع لنورا ورحمة..

ترقرقت عيناها بالدموع من كلام رحمة، ورحمتها على ابنتها.. هُنا نزعت رحمة المحلول المُعلق من يدها، وادعت أنها أسقطت العصير على الأرض، فأزاحت نورا بكُرسيها على جانب، ومسحت الأرض فقد تبولت نورا ولم تشعر، ولم تُرد رحمة أن تعلم نورا بهذا الأمر..

فلاحظت أم نورا هذا الموقف العظيم من رحمة، فدخلت سريعا قائلة: سيبيه أنا هنادي على العاملة تمسح ماتمسحيش انتي.

– ده عصير مش محتاج عاملة نظافة.

- لا مش عصير، أنا شوفت كُل حاجة، نورا تبولت من غير ما تحس وانتي مارضتيش تحسيسيها، فوقعتي العصير قاصدة عشان تنزلي تمسحي أنا كُنت واقفة وشوفتك، أنا عمري ما شوفت بنت ملاك زيك يا رحمة.

سمعت نورا فبكت، ووالدتها تُنادي على عاملة النظافة..

أوقفتها رحمة قائلة: يا طنط ماتنديهاش أرجوكي دي ست كبيرة وتعب عليها، وهتلاقيها نايمة.

فقالت نورا: بس ده واجبها، انتي هاتستفيدي إيه؟ دي حاجة مُقرفة انتي مش مقروفة؟

رحمة: لا واجبنا كُلنا نكون في عون بعض، وبعدين اللي بتقولي عليه قرف ده أجره عند الله عظيم ..

وابتسمت رحمة وأكملت مسح..

بَكَين مما رأوه في أخلاق رحمة، وتواضعها. ثم استأذنت نورا من رحمة؛ لتعود إلى غُرفتها.

أذنت لها رحمة، وفي لحظة ما قد اقتربت من الخروج وهي عند الباب تُمسكها والدتها وهي على كُرسيها المُتحرك نادت عليها رحمة قائلة: نورا

والدة نورا تلتفت وتُعدل كُرسي نورا؛ لتُجيب عليها قائلة: نعم..

- من تواضع لله رفعه، وأعزه، وأحبه، وقدره. كُلنا سواسية إلا بالعمل.. إن كُنتي نويتي تتغيري لازم تتخلي عن حاجات كثيرة زي الكبر والغرور، لازم تتواضعي عشان تنولي محبة الله.

طأطأت نورا رأسها تقول: حاضر، مش هتكبر تاني وهسمع كُل كلامك، بس أوعديني بحاجة..

- إيه؟

- نفضل صُحاب طول العمر، وتساعديني أكون حد كويس.

- أوعدك إن شاء الله.

ذهبت نورا.. ونظرت رحمة إلى الساعة، تبقى من الزمن ساعة على الفجر، صلت القيام، وبعدها الفجر، ونامت.

جاء أصدقاء رحمة من الجامعة في الصباح لزيارتها؛ عصام، وبسنت، ومسعود، وروان، وزينب، وإيهاب، وآخرين..

عصام: ألف سلامة يارحمة، يالا بقى شدي حيلك عشان تحضري معانا المُحاضرات الأخيرة، المُدرج وحش من غيرك والله..

- الله يسلمك.. أنا أصلاً زي الفُل الحمد لله، بس جيت هنا ترفيه عن نفسي..

فضحك الأصدقاء جميعًا..

إيهاب: والله الدكاترة بتسأل عنك، وعايزين يزوروكي..

زينب: رحمة حبيبتي هتعملي إيه في مشروع دراسة الجدوى؟!

رحمة: عايزة أقولكُم إني يُعتبر ماعملتش فيه حاجة، ومش عارفة ألآقي وقت، أصلاً فكرت هاجي المُستشفى هعرف أذاكر بس الموضوع طلع غير كده.

بسنت: طيب إيه الحل؟

رحمة: الحل عند الله هيدبرها.. أهم حاجة أطلع من هنا عشان ألحق أعمل البحث.

روان: طيب فكرتي هتعملي المشروع في إيه؟!

رحمة: آه تقريبًا هعمله عن الإكسسوارات

زينب: آه صح انتي أصلاً بتصممي إكسسوارت تُحفة

روان: لحظة واحدة، هي الإكسسوارات دي اللي بيلبسوها البنات، وبتنزليها على النت انتي اللي عملاها؟!

بسنت: آه طبعًا رحمة اللي عملاها، رحمة بتعمل إكسسوارات روعة

رحمة: ربنا يسهل يجي الدكتور وأكلمه يخرجني، فاضل كام يوم على الامتحانات.

إيهاب: أسبوع بالظبط.

رحمة: ربنا يستُرها.

عصام: ماتقلقيش إحنا كُلنا جمبك، اللي انتي عايزاه قوليلنا عليه ونعملُه

رحمة: ربنا يبارك فيكم، ونعم الإخوة كفاية إنكوا بتجيبولي المُحاضرات وبتعرفوني بكُل جديد، وكفاية زيارتكُم الجميلة والله.

إيهاب: عنينا ليكي يا دكتورة

تبتسم رحمة قائلة: تسلموا كلكوا

إيهاب: شدي حيلك.. أومال مين هيألف لينا أُغنية الدُفعة؟

تبتسم رحمة مازحة: ولا أعرفكُم، شوفوا حد غيري.

عصام: هو في حد غيرك، أو زيك! رحمة نسخة واحدة بس.

رحمة: صدقت والله في دي ربنا يزيدني تواضع.. آه صح، أخبار بحث دكتور جلال إيه؟

إيهاب: مطلع عنينا..

رحمة: عارفة.. ربنا يجازي دكتور أحمد سعيد كُل خير، لولاه كُنا ضيعنا.

عصام: آه والله فعلاً ساعدنا كتير.

رحمة: دكتور عمر فتيحة أخباره إيه؟ وحشتني مُحاضراته اللي بيعلمنا فيها إزاي نفكر، ويسبلنا مجال للبحث والتدبر. دكتور عُثمان فاكهة القسم والله بيفصلني ضحك..

يضحك الزملاء كُلهُم قائلين: بيفصلنا كُلنا والله..

زينب: كلهُم بيسلموا عليكي ومستنينك تُخرجي بالسلامة.

رحمة: الله يسلمهُم من كُل سوء.

ودع الزملاء رحمة، وبعد ذهابهُم قامت رحمة تطمئن على أسماء.. فوجدتها بخير فأطعمتها، وكانت تشُم رائحة كريهة..

رحمة: إيه رأيك تاخدي دش وتنتعشي كدة!

- مابقدرش أقوم من السرير غير بنقالة، وماعنديش هدوم وماستحمتش من أكثر من شهرين! وأختي لو جت مش بتكمل خمس دقايق..

أدمعت عين رحمة، ثم قالت: خلاص أنا هساعدك، وهجيبلك هدوم وفوطة من عندي، إيه رأيك؟

فسرعان ما ارتسمت الفرحة والسعادة على وجه أسماء قائلة: بجد!

- آه والله يالا بينا، هروح أجيبلك هدوم وآجي بسرعة، وأجيب الشامبو كمان وأخليكي تتبسطي

كادت أسماء أن تطير من الفرحة قائلة: الله يالا بسُرعة بسُرعة..

ذهبت رحمة وأحضرت الأشياء وأغلقت الباب، وبدأت تُحمي أسماء، التي كانت مسرورة، وبعد أن انتهت قالت لها أسماء: عارفة يا رحمة كانت ريحتي وحشة أوي وكُنت مخنوقة من الريحة دي.. دلوقتي ريحتي جميلة.

- ريحتك جميلة عشان انتي جميلة

عانقت أسماء رحمة وبكت بصوتٍ عالي! فتعجبت رحمة قائلة: مالك يا حبيبتي حصل إيه؟

- نفسي أشكرك، والحنية اللي جواكي عليا مش قادرة أعبر بيها ليكي فبكيت.

- يا شيخة خضتيني، أنا مبسوطة بيكي وأنا شايفاكي بتتحسني وبتتغيري وعندك عزيمة وإرادة، في الفجر شوفتك وانتي بتحاولي تقومي وتمشي ومارضتش أعرفك إني شوفتك، سيبتك تعتمدي على نفسك. فخورة بيكي جدًا يا سمسمة.

- كُله بفضلك.

- لا والله، كُله بفضل الله، وأنا مُجرد سبب، ساقني الله إليكِ فقط.

- عارفة أحلى حاجة فيكي إيه؟

- إيه؟

- طبعًا كُل حاجة فيكي جميلة، وأكثر حاجة بتعلمها منك التواضع.

- ربنا يرضى عنا يا أسماء، ويثبتنا على طاعته.. هسيبك تريحي شوية بعد الحمام الجميل، تاخدي قيلولة، وأروح أشوف أختك نورا عاملة إيه..

أسماء: سمعت من المُمرضات إنها اتكلمت وانتي السبب!

- الحمد لله ..كُله من فضل الرحمن، ربنا بيوفق الناس للناس.

ذهبت رحمة إلى غُرفة نورا، وجدتها تسمع على الهاتف قُرآن، فقررت أن تعود لغُرفتها وتعود لنورا وقت آخر، وعندما همت بالخروج نادتها نورا قائلة: رحمة.. وعليكُم السلام ورحمة الله وبركاته.

- ينفع تمشي من غير مانتكلم ونسلم؟

رحمة بابتسامة: ماحبتش أقاطعك من الاستماع وقولت إنك نايمة.. عرفتي من أين إني جمبك؟ أنا حتى ماعملتش صوت!

- ريحتك.. ريحتك مُميزة وجميلة، وعارفة إنك مش بتحطي برفان.

- ده من فضل الله.. هسيبك تسمعي القُرآن وتنامي شوية وهبقى أفوت عليكي تاني لما تصحي، نوم العافية يا جميلة.

- انتي اللي جميلة، كُنت بتمنى أكون بشوف عشان أشوفك، بس أنا شوفتك بقلبي مش بعيني، بالبصيرة زي ما قولتي.

- ربنا يرُد ليكي بصرك ويمتعك بالصحة والعافية في طاعته، يالا نوم..

عادت رحمة إلى غُرفتها وأغلقت الباب؛ لتقرأ القُرآن، لكن المُمرضة هناء دخلت وفتحت الباب وعلقت لرحمة المحلول وذهبت دون غلق الباب، عادت رحمة لتلاوة القرآن بصوتِها الجميل باكية خاشعة لله عز وجل، ويظهر في صوتها بحة البكاء، وكان العنبر كُله يسمعها عندما تقرأ ويترك ما يُشغله ويلتفت للتلاوة، فهُناك نورا في الغُرفة المُقابلة لها أغلقت هاتفها لتستمع إلي رحمة، وأسماء استيقظت على صوت رحمة وابتسمت منشرحٌ صدرها قائلة: رحمة.. الله.

وغادة ووالدتها اقتربوا من باب غُرفتِهم؛ ليسمعوها، وكانت تمُر بجانب الغُرفة فتاة تُدعى: إيريني بقدم واحدة تستند على عُكازها ولفت انتباهها

صوت رحمة، فتوقفت أمام الغُرفة عندما كانت رحمة تتلو آيات من سورة مريم..

﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾

اتكأت على الحائط ثم جلست على الأرض تبكي، وحينها جاء اتصال إلى رحمة؛ فتوقفت عن القراءة.. وبعد أن أنهت مُكالمتها نزعت المحلول من يدها وقامت لتذهب إلى الخلاء، وعند خروجها من باب الغُرفة وجدت إيريني أمام غُرفتها جالسة على الأرض تبكي ولا تستطيع الوقوف بمُفردها فساعدتها قائلة: انتي كويسة؟

- آه، عايزة أرجع أوضتي.

- طيب على مهلك.. براحة أنا هساعدك.

ساندتها رحمة إلى غُرفتها..

إيريني: شكرًا ليكي.

- الشكر لله.. تحبي أساعدك في حاجة؟!

- شكرًا أنا كويسة، تعبتك.

- ماتقوليش كده..

مدت لها رحمة يدها للسلام قائلة: أنا رحمة في الغُرفة اللي كُنتي قاعدة عندها، لو احتاجتي أي حاجة قوليلي وعنيا ليكي.

- أنا إيريني، ربنا يخليكي.. بس أنا مش مُسلمة عشان تهتمي بيا وتساعديني!

- أهلاً إيريني.. هو تقديم المساعدة متوقف على ديانة مُعينة؟! دي قوانين الإنسانية، كما إن دين الإسلام أمرنا نقدم المُساعدة لكُل محتاج، ونكون في عون بعضنا البعض.

- بجد!

- آه بجد، ثم إننا بنحبكُم وانتوا بتحبونا.

- إحنا فعلاً بنحبكُم أوي.

- عارفة إن رسولنا ﷺ وصانا عليكُم! يعني انتوا أمانة في رقبتنا.

- عليه الصلاة والسلام.

فنظرت إليها رحمة بتعجب قائلة: انتي بتصلي على الرسول مُحمد!

- آه.. من وأنا في ابتدائي واحنا بنأخد دروس العربي والنصوص لما بيُذكر اسمُه بنصلي عليه كُلنا، كانوا أهلي بيزعقولي لما بصلي عليه ويقولولي المُسلمين بس هم اللي بيصلوا عليه عشان هو رسولهُم هُم، كُنت أقولهُم وأنا من المُسلمين يضربوني ويقولولي أوعي تقولي كده تاني انتي مسيحية، بس أنا اتعودت أقولها..

رحمة في سريرة نفسها قالت: سبحان الله لعل كلمة "أنا من المُسلمين" دي اللي قالتها في صُغرها يكون ليها في حياتها أثر عظيم.

إيريني: أنتي اللي كُنتي بتقرأي قُرآن؟

- آه أنا.. انتي سمعتيني؟

- صوتك حلو أوي.

- تسلمي .. مافيش حد معايا في الغُرفة أنا لوحدي هناك لوحبيتي تغيري جو هبقي آجي أخدك وتيجي تقعدي معايا.

- أنا موافقة.

- تنوريني، هسيبك وشوية وأرجعلك، هروح الحمام أجهز لصلاة العصر.

- ياريت نقعد سوا أنا حبيتك.. هستناكي.

- ده شرف ليا يا قمراية.

رحمة في طريقها إلى الخلاء.. قابلت آية صديقتها، التي قد جاءت لزيارتها..

آية: قلبي، رايحة فين؟

- يويو رايحة الحمام.

- خُديني معاكي هموت وأدخل الحمام طول اليوم في الكلية.

- بنت حلال.. يالا بينا.

نظرت رحمة إلى غُرفتها فوجدت والدتها تنتظرها..

رحمة: ماما حمد الله على السلامة

- الله يسلمك قلقتيني، كُنتي فين يا بنتي؟

- كُنت في غُرفة إيريني معايا هنا في العنبر.. ماما هروح الحمام أنا وآية وأجيلك بإذن الله.

- طيب يا حبيبتي.

ذهبت الفتاتان سويًا إلى الحمام، وبعد قليل أنهت آية حاجتها، لكنها تنتظر خروج رحمة التي بقيت في الخلاء مدة طويلة!

فقالت آية: رحمة انتي كويسة! اتأخرتي ليه؟

- تقريبًا كدة أنا اتحبست!

الباب مش عايز يفتح..

- إيه؟!.. يا الله! حاولي حاولي..

- بحاول.. ماتصُرخيش بس.

قالت رحمة بعد محاولات لفتح الباب: الله الله!

- في إيه؟!

- أوكرة الباب اتكسرت! كده أصرخي براحتك.

- أنا هكسر الباب.

- تكسري باب إيه! إحنا مش في فيلم إحنا في مُستشفى، اطلعي لحد من المُمرضات برة، وخليهُم يتصرفوا.

- طيب ماتخافيش، أنا هرجعلك بسرعة.

فتحت رحمة زُجاج النافذة من خلفها، فرأت منظرًا رائعًا من الزرع، أعجبت به وملأها سرورًا..

رحمة: لا على مهلك يا آية المكان هنا موقعه مُتميز

- رحمة ده مش وقت هزار

- يا بنتي أنا اللي اتحبست، أنتي مرعوبة ليه! فُكيها كده.

- يارب صبرني.

- يابت إحنا في الحمام بتدعي!

- أنا هروح أشوف حد وأنادي أمك.

- ما بلاش أمي.

- لا هقولها.

- طيب استحملي بقى.

تركت آية رحمة؛ لتُنادي والدتها وإحضار أحدهم؛ ليفتح الباب لرحمة، ورحمة لم يُشغل بالها شيئًا، كُل ما تفعله تنظُر من النافذة تتأمل الزرع والورد، جاءت آية ووالدة رحمة والعامل لفتح الباب والمُمرضات، وقد ظنت المُمرضات أن رحمة سوف تُفزع من هذا الأمر ويعلو السُكر خاصة أنها تكره الأماكن المغلقة، حاول الجميع فتح الباب لم يستطيعوا، حاولوا كسره ولم يجدِ نفعًا أيضًا، وظلوا يحاولون لأكثر من نصف ساعة، وأُم رحمة تصرخ بصوتٍ عالي وتبكي قائلة: بنتي حد يلحقها.

فحدثت رحمة آية: مش قولتلك بلاش!.. بلاش أمي تقوليلها.

- معلش ماعرفش والله، ماتقلقيش هتطلعي وهتبقي بخير.

- أنا زي الفُل، مش قلقانة.

ولم يستطع أحد فتح الباب أو كسره وفي نفس الأونة وهم يحاولون فتحه لرحمة.. خرجت لهُم من الباب المجاور وهي صامتة لا تتحدث مع أحد، ويبدو على وجهها الغموض!

فقالت والدتها: بنتي.. بنتي

آية: عملتيها إزاي دي؟

أجابت رحمة بلا مُبالاة، وهي لا تنظُر لأحد وإنما مُحدقة العينين في الباب قائلة: حاولت وخاطرت.. وأحيانا لابد للإنسان أن يخاطر!

العامل: أنتي كان مُمكن تموتي.. المسافة بعيدة بين الشباكين، إزاي عرفتي تنُطي من الشباك ده لده؟

تعجب الجميع، حيث أنه من المُستحيلات القفز للنافذة الأُخرى!

تصرخ والدة رحمة في وجه رحمة بغضب قائلة: انتي مجنونة كان مُمكن يحصلك حاجة وتُقعي!

ردت رحمة وهي شاردة ويتملكها الخوف ولكنها لا تُبديه: وماحصلش يا أمي، وأنا بخير قدامك أهو الحمد لله.

عادت إلى غُرفتها وكُلما رأتها إحدى المُمرضات تحدثن إلى بعضهن البعض في موضوع حبسها في الخلاء..

فقالت إحداهن: هو مش انتي اللي كُنتي محبوسة في الحمام!

فردت عليها رحمة مازحة تحاول مجاراة الأمور قائلة: آه هي أنا.. هو أنا اتشهرت ولا إيه!

- المُستشفى كُلها عرفت.

- ما شاء الله.

جاء الجميع للاطمئنان على رحمة؛ غادة ووالدتها، ونورا ووالدتها، كما أن أسماء حاولت واستطاعت المشي لتطمئن على صديقتها رحمة.. وبعد أن غادروا جميعًا.. تحدثت آية قائلة: اتخضيت عليكي أوي، بس موقف شُجاع منك، وعجيب!

كانت رحمة جالسة ممسكة بالسكين تُقطع البُرتُقال وهي شاردة، حتى أنها جُرحت وسقط منها الدماء ولم تشعر بشيء!

والدة رحمة وآية: رحمة.. رحمة!

جرحتي نفسك!

رحمة ترد بلا مبالاة وشرود: إيه مأخدتش بالي..

آية: إزاي ماحستيش؟

رحمة: ماعرفش.

والدة رحمة: هنادي المُمرضة.

آية: رحمة مالك من وقت حبسة الحمام وأنا حاسة إن فيكي حاجة!

رحمة: لا عادي مافيش.

- بس ده موقف مُميت وخطر! أنا مستغربة من ردةً فعلك، في إيه احكيلي عشان خاطري، وإزاي جرحتي إيدك وانتي مش حاسة؟!

- ما أنا لو حكتلك مش هتصدقي.

- ليه يعني؟

- وأنا جوة لما اتقفل عليا الباب.. بصيت من الشباك وعجبني المنظر، وشجرة الورد الأصفر الجميلة، فبلف أرد عليكُم لما جبتوا العامل يكسر الباب، لقيت تُعبان صغير في الأرض، وحسيت كإني اتخرست.. ماعرفتش أصرخ من الخوف، ماكنش قدامي غير إني أحاول أوصل للشباك الثاني، وأنا بنط لقيت..

- لقيتي إيه؟

رجعت والدة رحمة مع المُمرضة هناء، فقطعت رحمة الحديث هامسة في أُذن آية: قفلي على الموضوع قدام ماما.

- ماشي بس بشرط تحكيلي.

- تمام.

نظفت المُمرضة هناء جُرح رحمة، ووضعت عليه الشاش واللاصق الطبي، ثم قالت لها: مش تخلي بالك يا حبيبتي، مش عارفة إيه بيحصلك النهاردة! تتحبسي في الحمام وبعدها تتعوري!

فابتسمت لها رحمة ابتسامة خفيفة وقالت: الحمد لله.

- خلي بالكُم عليها.

والدة رحمة: أنا قلقانة على رحمة.

- إيه يا ماما فُكيها شوية أنا بخير قدامك أهو.. هروح أوصل آية لحد برة وأرجع.

- لا خليكي انتي تعبانة هوصلها أنا وأجيلك.

- لا والله ما ينفع أتعبك يا أُمي خليكي وأنا هوصلها، صدقيني أنا زي الفُل بخير.

آية: كملي بقى.. لما نطتيتي لقيتي إيه؟

- لقيت الثُعبان برة الحمام معايا، ماعرفش هو نفس الثُعبان الصغير ولا غيره، ثُعبان كبير جدًا، ضخم يا آية، حجمه وطوله كان من الأرض للدور الثالث اللي إحنا فيه وأكبر، مش عارفة أعمل إيه؟ رجلي فلتت وخلاص يا أستسلم وأقع! يا إما أسند عليه، وكان جسمه كبير مشدود، وهو

كان قريب مني جامد ومأذنيش خلاص، إيدي هي كمان قربت تفلت واقع ومن الخوف مش قادرة أصرخ، سندت برجلي عليه وطلعت من الناحية الثانية وأول مادخلت اختفى!

ظلت آية تضحك قائلة: بطلي هزار بقى.. بس حلوة القصة.

- انتي بتستهزأي!

- انتي اللي بتستهزأي بيا، شايفاني قلقانة عليكي وبرغم كدة بتهزري يا رحمة!

- شوفتي.. مش قولتلك مش هتصدقي!

- عايزاني أصدق إيه يا رحمة! أصدق إن في تُعبان كبير ضخم طلعلك انتي لوحدك دون عن العالم، وماحدش شافه غيرك، وماعملكيش حاجة! لا وكمان سندتي عليه وطلعتي سليمة وعايشة! يا حبيتي تلاقيكي من الخضة والخوف تخيلتي كده.

غضبت رحمة، لكنها أخفت ذلك وتنهدت تنهيدة طويلة ثم تحدثت بهدوء قائلة: امشي من هنا يا آية روحي على البيت.. أنا كنت غلطانة لما حكيتلك.

- رحمة ما تزعليش مش قصدي..

قاطعتها رحمة بغضب قائلة: روحي على البيت.

- رحمة انتي بتتكلمي جد عن الثُعبان؟ طب أنا آسفة.

- روحي وبُكرة نتكلم، سلام.

رجعت رحمة إلى غُرفتها لوالدتها وجلست معها وهي تُفكر وتُحدث نفسها قائلة: مش مُمكن تكون آية عندها حق وأكون بتخيل! لا، مُستحيل أنا شوفته بعيني وكُنت هقع وسندت عليه!

والدة رحمة: أنا هبات معاكي النهاردة.

- لا يا ماما أنا كويسة وتمام جدًا، روحي انتي لإخواتي، البيت محتاجك.

وحينها طرقت إيريني الباب، وفتحت لها والدة رحمة..

إيريني: أقدر أدخل؟

والدة رحمة: اتفضلي يا حبيبتي.

رحمة: إيريني تعبتي نفسك ليه؟ أنا كُنت هجيلك.

- قلقت عليكي عرفت إنك اتحبستي في الحمام.

فابتسمت رحمة، وقالت مازحة معها: في حد تاني ماعرفش!

أنا بخير، طمنيني انتي عليكي؟

- الحمد لله.

- ماما.. دي إيريني اللي كُنت عندها وقت لما جيتي النهاردة ومالقتنيش.

والدة رحمة: شفاكِ الله وعافاكِ يا حبيبتي، أهلاً بيكي.

- أهلاً بكِ يا طنط، فُرصة سعيدة.

- ماما روحي انتي يالا الوقت اتأخر عليكي.

- مش عايزة أسيبك، قلبي مش مرتاح.

قبلت يد والدتها قائلة: ياست الكل أنا زي الفل.. يالا عشان خاطري.

- طيب خلي بالك على نفسك.. ربنا يحميكي.

- الله خيرٌ حافظ يا أمي.

إيريني: كُلنا جمبها ومعاها يا طنط ماتقلقيش.

ذهبت والدة رحمة، وبقيت إيريني مع رحمة..

رحمة: اطلعي ريحي على السرير وافردي رجليكي.

ساندت رحمة إيريني وأجلستها ورفعت لها قدمها الوحيدة..

- ياه يا رحمة حاسة إننا صحاب من سنين مش لسه النهاردة!

- دي حاجة حلوة ربنا يدمها..

وكانت إيريني تتوجع من قدمها المبتورة..

رحمة: انتي كويسه؟ أنادي دكتور!

- لا لا أنا كده على طول من ساعة مابتروا رجلي.

- يا حبيبتي.. سلامتك ربنا يعوضك.. إيه حصل معاكي؟!

- ياه كتير، عجيب وغريب.. لو هتتقبلي كلامي هحكيلك القصة من أولها.

ابتسمت رحمة لها قائلة: هتقبل بإذن الله متقلقيش.. احكي، كُلي آذانُ صَاغية.

- أنا خريجة فنون جميلة، واشتغلت في شركة كبيرة للتسويق العقاري، كُنت شغالة تسويق ومُهندسة ديكور الإثنين، وماما وبابا دكاترة، ومن صغري مش مُهتمين بيا كُل واحد فيهُم مُهتم بنفسه وشكلُه قُدام الناس بس.. هي دي غايتهُم، وكُنت معاهُم في إنجلترا، عشنا هناك سبع سنين ورجعنا، كُل همهُم الفلوس، لدرجة إني كُنت بتمنى أكون فلوس عشان يحبوني زي ما بيحبوا الفلوس!

عشت مُعتمدة على نفسي مادخلتش الكنيسة غير مرتين في حياتي، وماكُنتش مع ماما وبابا كمان لما دخلتها، عُمرهُم ما قعدوا معايا سألوني عاملة إيه؟ محتاجة حاجة؟ أو حتى يفهموني الصح من الغلط والعيب والحرام، كُنت دايمًا لوحدي، كان نفسي أحب وأتحب وألاقي حد حنين عليا، لما اشتغلت وسعت مني الدنيا وبقيت بتعامل مع رجال الأعمال الكُبار، اللي كُل واحد فيهُم كُنت بروحلُه مكتبُه أو شقتُه اللي واخدها بعيد عن مراتُه واللي أصلاً ماتعرفش بيها، وكُنت بدور في كل واحد فيهُم عن شريك الحياة والحُب، وكُنت بتخدع منهُم، بحبهُم واحد ورا التاني وأغير من ده لده، وأعمل كُل غلط، وكُنت بشرب خمر لإنه كان عادي بالنسبة لينا.. كُنا بنشربه لما كُنا في إنجلترا، وماما وبابا بيشربوا قدامي فكُنت بسكر وبروح نوادي ليلية، وبصاحب أي راجل واللي يدفع أكتر.. منا من صغري عارفة قيمة الفلوس وحُب أهلي ليها فبقيت أنا كمان بجمع فلوس بالعار، ماكانش فارق معايا موضوع الشرف..

بس من جوايا برغم كُل الفلوس اللي معايا واللي بعملُه مش مبسوطة ولا فرحانة، كُل واحد بيجيلي بيبقى خايف من مراتُه، وهي أولى أولوياتُه، أشمعنة عاطين لزوجاتهم الاهتمام وأنا مش محسوبة! مُجرد بنت لليلة أو ليلتين، أنا نفسي أحب وأتحب وأعيش زيهُم، يكون ليا زوج وأبقى أُم.. فقررت إني أبعد وأبطل اللي بعملُه وأهتم بشُغلي ولو حد كلمني منهُم تاني أرفض، بعديها بأسبوع كان فرح بنت خالتي، روحت الفرح وهناك شافتني واحدة من المعازيم وطلبتني لشخص تعرفه، وخالتي كلمتني في الموضوع وقالتلي إنُه مُهندس شاطر ومشهور جدًا في أمريكا ومصر، وافقت وقولت الأجمل إن الواحدة تتجوز تكون ملك لراجل واحد ويكون ملك ليها، فرحت إن مركزه حلو، قولت أرمي الماضي وأنساه، ولما يعرف إني مش عذراء هبقى أخترعلُه أي قصة لو مُهتم بالموضوع، يمكن عيشته في أمريكا

غيرت أفكارُه ومُعتقداتُه ومش هيفرق معاه!

وفكرت الحياة هتحلو.. واتجوزنا، وأول ليلة ماعملش حاجة ولا قرب مني، ونام في الريسبشن، استغربت! واليوم التاني بردوا نفس الشيء، والثالث مش لافت انتباهُه لبسي ولا محاولاتي معاه بالكلام أو التقرُب ليه، وكان جميل جدًا وكُل ما حاولت أقربلُه يبعد عني، مر أسبوع وهو على نفس الحالة، بدأت أنزل شُغلي في الشركة، وفي مرة أول ما رجعت فتحت الباب لقيتُه على السرير مع راجل في وضع صادم يا رحمة، وضع المتجوزين! وقفت مصدومة، شافني وقام كلمني وقالي انتي طبعًا مستغربة! بُصي أنا كُنت عايش مع جوز أُمي وكان بيغتصبني، وبعدها دخلوني الملجأ وكان مُشرف الملجأ بيغتصبني، ولما هربت من الملجأ كانوا شباب الشوارع بيغتصبوني، فكبرت على كده مش قادر أتعامل مع واحدة، واتجوزتك عشان مايتعرفش أمري وسط الناس، آه بالنسبة لأمريكا ده وضع عادي بس بردوا غريب وبيقلل من مكانة الإنسان واحترامُه وسط الناس، وبالنسبة لمصر هو عار وخطيئة وأنا كُنت عايز أحافظ على شكلي واحترمي فاتجوزتك!

عارف إنك اتظلمتي في الموضوع و ورقك هيجيلك بُكرة بالطلاق، وياريت يبقي الموضوع ده سر بينا وماتقولهوش لحد! سمعت الكلام منُه وبقيت مصدومة ومش قادرة أستوعب اللي بيحصلي متجوزة ماكملتش أسبوع، هتطلق! طيب أنت خوفت على شكلك.. لكن أنا هيبقي شكلي إيه وسط الناس، وأهلي لما أطلق بعد أسبوع؟!

كُل الكلام ده دار في دماغي وكان ساب البيت ومشي فأنا طلعت من البيت ركبت عربيتي وعمالة أفكر.. من الصدمة مرت عربية نقل كبيرة من جمبي وخبطت عربيتي، وبعدها ماحستش بحاجة، دخلوني عمليات وفضلت في غيبوبة ولما صحيت لقتني برجل واحدة..! صرخت وعيطت وكانوا

بيدوني مُهدئات عشان أبطل صريخ، فقدت رجلي وزوجي، وأهلي.. ماحدش بيسأل عني حتى، وفقدت شُغلي كُل حاجة فقدتها يا رحمة.

وبدأت علاج كُنت بنزف دم كثير وبينقلولي دم باستمرار، فضلت على الحالة دي مُدة، وخلاص بدأت أتأقلم إني برجل واحدة، وعرفت إن رُبما اللي حصلي كُله بسبب أعمالي السوء، جربت أنتحر مرتين وفشلت، فشلت في إني أنتحر.. يعني فشلت في كُل حاجة في حياتي حتي الإنتحار! تعرفي ماما وبابا هناك في إنجلترا ماجوش فرحي، ولا لما عرفوا إني عملت حادثة، ولا حتى لما عرفوا إني فقدت رجلي! ولا فرق معاهُم طلاقي.. أخويا الصغير شنودة هو اللي بيسأل عني ونزلي من إنجلترا يطمن عليا.. شوفتي قصتي!

رحمة: كُل شيء مُقدر بقدر يا إيريني، نصيبك وقدرك، ربنا شايلك خير كبير أنا مُتأكدة، عليكي بالصبر على الابتلاء اللي انتي فيه.

إيريني بضحكة: ربنا ولا ربكُم!

- قصدك؟

- ربنا ظالم أوي..

- هو الرحمن ومنه الرحمة، والظلم منا ومن أنفسنا.. في آية عندنا في سورة فُصلت.. يقول الله فيها عز وجل: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

بإيدنا يا إيريني.. إحنا اللي بنظلم نفسنا بنفسنا، ما كان الله في أي وقت أو زمن ظالم، رحمتهُ وسعت كُل شيء، ماعرفش درجة إيمانك قد إيه ويقينك بالله ومعرفتك بيه.. بس متفائلة بيكي وبالتغيير للأفضل إن شاء الله.

إيريني بنظرة يأس وحُزن إلى رحمة: هو في وقت ليا للتغيير؟ وأعيش تاني وبسلام بعيد عن كلكعة حياتي وكُل القرف اللي مريت بيه!

- وانتي عارفة هتموتي أمتى؟

- لأ.. هو حد بيعرف موته أمتى.

- بالظبط.. يبقى سيبي أمر الموت لله الذي يُحيي ويميت، وماتقوليش في وقت ولا لأ.. ماحدش يعرف وقت موته، ولا حد عالم بالغيب إلا الله، وركزي معايا واعقدي النية للتغيير، وإنك هتكافحي إنك تبقي أحسن وشخصية ناجحة، الحياة مش متوقفة على أطراف، كونك فقدتي رجلك فأنتي مافقدتيش عقلك! بالصبر والإرادة والعزيمة تقدري تحققي كُل حاجة، على الأقل انتي فقدتي رجل واحدة، مابالك باللي اتولد من غير أطراف ومعاه ثلاث شهادات في مجال الإقتصاد وإدارة الأعمال، يرأس واحدة من أكبر المؤسسات في أمريكا الراعية للإعاقة! وسباح ماهر، ورسام، وحقق نجاحات عظيمة، مش بس كده لا كمان بقى مُحفز للناس وده هو "نيك فيوتتش" الإعاقة في الفكر مش في الأطراف.. شوفي إرادة "عائشة الحشاش" وعزيمة "مُنيبة مزاري" وقوة "نيك فيوتتش"

- عندك حق في كُل كلمة والله.. رحمة هتساعديني؟

رحمة بابتسامة: طبعًا طبعًا بإذن الله.

- انتي يا رحمة نفسك تكوني إيه؟

- مُذيعة، وبسعى بالتطوير من نفسي برغم إن كُل اللي حواليا مُحبط وبعيد عن حلمي، بس أنا على أمل ما دمت بسعى وعلى يقين إن الله قادر قدير مُقتدر.

- ربنا يحققلك اللي بتتمنيه يارب.. هتبقي أجمل مُذيعة يا رحمة.

نامت إيريني بغُرفة رحمة.. وبعد بُرهة هُناك طرق على الباب..

رحمة: اتفضل.. مين؟

شنودة: مساء الخير.. أنا شنودة أخو إيريني، دخلت غُرفة إيريني مالقتهاش سألت المُمرضة قالتي إنها في غُرفة رحمة ٣٠٧، في حاجة هي كويسة؟ دي غُرفة رحمة؟

- أهلاً بك، آه أنا رحمة، هي كويسة وقاعدة معايا، اتفضل.

دخل شنودة غُرفة رحمة متجهًا إلى إيريني يُقبل رأسها، وبصوت خافت هادئ يقول: إيريني اصحي أنا جيت.

- شنودة أخيرًا..

ضايفته رحمة وقدمت لُه العصير، وقطعة كيك.. فأخذهُم منها وشكرها.

شنودة: إيه خلاكي تنامي هنا؟ يلا على غُرفتك عشان ما تزعجيش رحمة.

إيريني: كُنا بنتكلم فنمت وماحستش.

رحمة: مافيش إزعاج ولا حاجة إيريني أُختي وعلى قلبي زي العسل والله.

شنودة: كُلك ذوق وتواضع.

رحمة: تسلم.

إيريني: دي رحمة صاحبتي.. اتعرفت عليها النهاردة وحبيتها أوي.

شنودة: أهلاً بيكي، فعلاً هي إنسانة خلوقة ومضايفة.. يالا بينا أساعدك ترجعي أوضتك.. تصبحي على خير يا رحمة.

إيريني: تصبحي على خير يا رحمة.

رحمة: وانتوا من أهل السعادة.

عادت إيريني إلى غُرفتها بصُحبة أخيها الذي قال لها: جميلة جدًا رحمة.. ياريتها مسيحية!

- أوه.. أخويا مُعجب برحمة، أول مرة أشوفك أعجبت بواحدة!

- رحمة مش واحدة عادية، فيها حاجة بتخطف القلب كده.

- والله عندك حق.. أنا حبتها أول ما شوفتها واتكلمت معاها، عارف ياشنودة.. أنا لسه متعرفة عليها حسيت إني أعرفها من زمان وإنها قُريبة مني أوي.

- هي من الناس اللي تشوفيها من أول مرة تحبيها، حقيقي كُنت أتمنى تكون مسيحية ماكنتش أتردد لحظة أتجوزها.. ربنا يسعدها احترام وأخلاق.

- ياريتها بجد كانت مسيحية كُنت هفرح أوي بيكُم يا شنودة.. خليك معايا النهاردة.

- أشمعنة؟

- هسمعك حاجة.

- سمعيني.

- كمان شوية كُلها نص ساعة في قيام الليل.

- قيام الليل؟!

وفجأة من بين هدوء الليل وسكونه يتخلل صوت رحمة إلى مسامع الخلق بصوتِها العذب، تتلو القُرآن من سورة الشعراء..

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ (٦٩) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠) قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ
لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ (٧٢) أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ
لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ
فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ
(٨٢) رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ (٨٣) وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٖ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ (٨٤)
وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٥) وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٨٦) وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ (٨٧) يَوۡمَ لَا يَنفَعُ
مَالٞ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ (٨٩) وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾.

ترك شنودة إيريني شاردًا تسوقهُ قدمه إلى غُرفة رحمة فيسمع منها القُرآن ويقف خلف باباها يستمع ويدمع، قامت إيريني تستند على الحائط وعلى عُكازها حتى اقتربت من أخيها ووضعت يدها على كتفهِ قائلة: شنودة أنت بخير؟!

حاول إخفاء دموعه، لكن عيناه تفضحه..

- أنا بخير يالا نرجع لغُرفتك

عادا الإثنين معًا..

إيريني: أول مرة أشوف دمعتك يا شنودة، إيه حصل؟

- والله حق.

- إيه هو اللي حق؟

- دينهُم حق.. صدق إبراهيم.. كُلهُم عدو لي إلا رب العالمين.

مسح دموعُه سريعًا، ثم قال: أنا راجع إنجلترا الصُبح.

- إيه؟ إزاي؟ أنتَ قولت هتقعد لحد ما أخرج من المُستشفى!

- سامحيني.. خلي بالك على نفسك، وأنا عارف إن رحمة هتاخُد بالها منك كويس جدًا، خليكي معاها هي على الطريق الصحيح.

فتعجبت إيريني من تغيُر حال أخيها فجأةً وتصرُفه، وتُحدِّث نفسها قائلة: مالُه شنودة؟ هو زعل مني إني خليتُه يسمع القُرآن! أنا كان قصدي يسمع صوت رحمة وجمالُه بس، يا ترى حصل إيه؟

وفي الصباح حضر دكتور مدحت وكانت رحمة بانتظاره؛ لتطلُب منُه إذن للخروج من المستشفى استعدادًا للإمتحانات..

- رحمة أم ضحكة جميلة صباح الخير..

- صباح النور يا دكتور.. مُمكن طلب، مُمكن تكتبلي خروج؟!

- لا لا بعد ما غيرتي الناس هنا، وفرحتيهُم وخليتي العنبر من مرضى ومُمرضات ودكاترة البهجة في عيونهُم وقلُبهُم، تقوليلي أمشي! لا ياماما ده انتي علاج هنا.

قالت مازحة: منا كده هسقط، الإمتحان فاضله خمسة أيام وماذاكرتش حاجة!

- ليه ماذاكرتيش؟ مش اتفقنا تجيبي الكُتب وتذاكري؟!

- آه منا جبتهُم وماعرفتش.

- مش هينفع تمشي.. نورا خلتيها تتكلم، أسماء بقت بتقوم لوحدها وبتستجيب للعلاج، وإيريني لسه كُنت عندها بقت عندها حماس تخف وشالت فكرة الإنتحار من دماغها خالص، وغادة كمان بتتحسن كتير..

عملتي فيهم إيه! كُلهم عايزين يخفوا وبيستجيبوا للعلاج، نجحتي في كُل اللي دكاترة العلاج النفسي فشلوا فيه، طيب خليكي يومين تاني وهطلعك.

- لا لا.. هو يوم واحد بس النهاردة وبُكرة الصُبح هطلع.

- خلاص اتفقنا بس لو سُكرك عالي مش هتطلعي.

نظرت إليه ببراءة ممزوجة بالقلق قائلة: ربنا يُستر.

دخلت غادة غُرفة رحمة قائلة: عرفت إنك هتخرجي بُكرة ده حقيقي؟

- إيه سُرعة الانتشار اللي في المُستشفى هنا دي؟ إن شاء الله يا حبيبتي.. دعواتك بس السُكر يكون مظبوط عشان يوافق د.مدحت يطلعني.

- إن شاء الله هتكوني بخير، أنا نفسي تُخرجي من المُستشفى وتخفي، بس مش عايزاكي تسيبيني، مش عارفة هستحمل أقعد هنا إزاي من غيرك!

- طيب أهدي بتعيطي ليه بس! إن شاء الله هطلع وهتطلعي انتي كمان، وقريب تطلع نورا وأسماء وإيريني، وكُلكم تخفوا ونعيش مع بعض صُحبة حلوة ونخرج ونقعد على البحر.. وحشني أوي ياغادة البحر.

غادة بنظرات من الحُزن والقلق والأسى: إن شاء الله.

- مالك! حاسة فيكي حاجة والخوف في عينك، ماتقلقيش مش هنساكي لما أخرج.

- أنا مُتأكدة من ده لإنك وعدتيني هتفضلي معايا، وأخت ليا.

- شاطرة.

- بس أنا في مُصيبة، ومش عارفة أحكي لحد وقولت لازم أحكيلك عشان تساعديني.

- بعيد السوء عنك، مالك احكيلي، وأنا اللي هقدر عليه هعملُه بإذن الرحمن اشربي مايه واهدي.

كانت غادة ترتجف من الخوف، وكان وجها شاحبا..

غادة: أنا طول الوقت بتقوى بيكي وبكلامك، ومطمنة طول ما انتي جمبي وفي الغُرفة اللي جمبي، وكُل مرة آجي أحكيلك أتراجع، بخاف أقل في نظرك، ومش بلاقي فُرصة عشان ماما مُقيمة معايا، أول ما نزلت تشتري حاجة جيت أجري وأخدت قرار أن أحكيلك..

- وأنا كلي آذان صاغية..

- من حوالي ٨ شهور لقيت شاب جميل بعتلي طلب صداقة على الفيس بوك، ولما دخلت لقيت إن من الأصدقاء المُشتركين بيني وبينه بابا وأخويا سيف! فسألت بابا مين ده؟ قالي ده سامر ابن عمك أقبليه ده حد مُحترم، و بابا بيحبُه أوي فقبلتُه..

كانت العلاقة بينا وبين أعمامنا وحشة جدًا، ماحدش بيكلم التاني لدرجة إننا مانعرفش عيال عمي ولا عيال عمي يعرفونا، لما قبلت طلب الصداقة بدأنا نتكلم ونحكي عن غلط أهلنا أنهُم ماعرفوناش على بعض، وإن الفيس بوك هو اللي جمعنا. كلامنا زاد يوم ورا التاني، لحد ما لقيته بيقولي إنُه بيحبني وعايز يتجوزني، بدأت أقرب من عمامي وانصلحت الدنيا وبدأت الأمور ترجع لمجاريها، وعمي يجي يبات عندنا هو وأسرته وسامر، وإحنا نفس الشيء نروح نبات عندهُم.. لو تفتكري يا رحمة أول امبارح عمي اللي جه وجابلك شيكولاته وعبير بنت عمي اللي بتحبك وطلبت رقم تليفونك وعطيتهولها، فرحوا لما شافوكي لإنهُم بيتابعوا حلقاتك على اليوتيوب، وسامر ابن عمي اللي شوفتيه هو ده اللي بحكيلك عنُه..

– آه فاكرة، ناس جميلة.. كملي.

– العيلة لما اتقربت من بعض اشتروا شاليه في الساحل نتجمع فيه كُل صيف، وكان الشاليه ده ليه مُفتاحين، مُفتاح مع بابا ومُفتاح مع عمي، أنا وسامرعلاقتنا اتطورت أوي ووقعني في غرامُه بالكلام المعسول، وفرحت بيه قولت ابن عمي ومن لحمي ودمي فوثقت فيه أوي.

وفي يوم قالي: إيه رأيك آخُد المُفتاح من بابا وأقولُه هروح الشاليه أنا وأصحابي، وأخدك ونطلع هناك أهو فُرصة نبقى لوحدنا شوية أعرف أبص في عنيكي، قولتلُهماينفعش هنتأخر قالي ماتخافيش، وماروحتش الكلية وروحت معاه الشاليه، وحصل اللي ماكُنتش أتوقع إني مُمكن أعملُه! وكسرنا قواعد الحلال والحرام ووقعنا في الغلط، وفقدت شرفي، وبعدها أكلمُه يكبر دماغُه ومايهتمش، كُل ما أقوله كلم بابا لازم نتجوز يقولي مش هيوافق، ويتهرب مني ويتحجج، فضلت أعيط وندمت على إني وثقت فيه وعلى إنُه ابن عمي.. لكن الذئاب ذئاب مايعرفوش الرحم والرحمة!

عرفت صُدفة إنُه أصلاً خاطب وكان بيلعب بيا.. أنا بنت عمُه!

وبعدين بدأت أتعب جامد ويغم عليا اتحجزت هنا على إنُه الضغط واطي جدًا، وكان عندي مرض سابق في الغُدد معروف ومشاكل في المبايض، وبدأ يحصلي نزيف مُستمر من يومين، وبدأوا يعملولي تحاليل، والكُل مفكر إني آنسة! لكن بُكرة الصُبح هيعملولي الأشعة وهيتكشف عليا من دكتورة تاني غير اللي كُنت متابعة معاها زمان قبل ما يحصل اللي قولتلك عليه وهيتعرف إني مش بنت.. أعمل إيه؟ أنا عارفة إني غلطت والله بس مش عارفة أعمل إيه!

أنهت غادة كلامها، وكانت حالتها النفسية سيئة جدًا، وظلت تبكي..

رحمة: لا حول ولا قوة إلا بالله.. اهدي طيب من هنا لبُكرة يحلها ربنا، لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا، استغفري طول الوقت، وهقومك معايا في قيام الليل.. صلي وادعي ربنا؛ هو اللي بيُجيب دعوة المُضطر.. سُبحانه بينزل للسماء الأولى، وهو أقرب لينا من حبل الوريد، بيقول: هل من مُستغفر أغفر لهُ؟ هل من تائب أتوب عليه؟ هل من سائل أُعطيه؟ فاستغفريه يغفرلك، وتوبي إليه يتوب عليكِ، واسأليه الستر والعافية يُعطيكِ مسألتك ويدبر أمرك.

أنا واثقة إنك مادام توبتي لله وعرفتي غلطك هيحللك مُشكلتك وهيسترها معاكي. رب المُعجزات لا يُخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يُعجزه شيء.

- لا إله إلا الله.. طمنتيني، طيب ابقي صحيني أصلي معاكي القيام، محتاجة ربنا أوي.

- حاضر بإذن الرحمن.. أهم شيء عليكي بالاستغفار، وبُكرة يحلها الله.

أتت والدة غادة، ونظرت لإبنتها فوجدتها تبكي فتعجبت قائلة: في إيه؟

تلعثمت غادة وتتوترت، فأسرعت رحمة في الرد لتُنقذ غادة قائلة: بنتك عاطفية أوي ياطنط بتعيط عشان هخرج بُكرة!

- إيه ده بجد هتخرجي؟!

ثم سرعان ما بكت أيضًا والدة غادة، فمازحتهم رحمة قائلة: لا، صلوا على النبي كده انتوا غلبتوا الهنود، طلعتوا أكثر شعب عيوط.

ابتسم الجميع، وباركت والدة غادة لرحمة قائلة: مبروك يا حبيبتي.. هتوحشينا أوي.

- وانتوا والله يا طنط بس هبقى آجي أزوركُم، وهكلمكُم باستمرار أطمن عليكُم ماتقلقيش.. وبعدين انتوا مش هتطولوا هنا هتمشوا على طول إن شاء الله..

نظرت غادة إلى رحمة، وحاولت رحمة تهدئتها بالعين.

والدة غادة: يسمع منك ربنا.. ربنا يحميكي ويشفيكي ويباركلنا فيكي.

وبكت مرة أخرى وهي تُعانق رحمة قائلة: مين هيصحينا نصلي الفجر؟

ابتسمت لها رحمة قائلة: أنا ياطنط بإذن الله، هتصل بيكي وأصحيكي.. اتفقنا!

والدة غادة: اتفقنا.

- هروح أسلم على البنات؛ أسماء، ونورا، وإيريني.

والدة غادة: هيزعلوا أوي.

وإذ فجأة تدخل نورا، وإيريني، وأسماء إلى غُرفتها! فقد علمن من المُمرضات بخروج رحمة في الغد، فأتين والدموع تتساقط من أعيُنِهِم واحتضنوا رحمة..

رحمة: ماتصعبوهاش عليا، مابحبش لحظات الفراق والله، هاجي أزوركُم وأقعد معاكُم، وأتصل بيكُم طول اليوم وكأني معاكُم.. انتوا كمان شدوا حيلكُم عشان تخرجوا.. لسه قايله لغادة نفسي تخفوا كُلكُم ونطلع نقعد على البحر.

بكت أسماء بكاء شديدًا قائلة: مش هستحمل بُعدك والله، مين هيأكلني ويحكيلي قصص!

فانفجرت إيريني أيضًا في البكاء: رحمة إزاي مش هتكوني موجودة! هبات مع مين؟ ومين هيسرحلي شعري غيرك! أنا مصدقت لقيتك.. آه لسه

عارفاكي امبارح، وأول مرة تسرحيلي شعري امبارح، وأول مرة أبات عندك امبارح، بس أنا اتعلقت بيكي..

ظلت رحمة أمامهم تحاول أن تتماسك، فبكت نورا بصوت مرتفع!

نورا: رحمة كُنت بشوف بقلبك الدنيا، ماتسبنيش أرجوكي.

غادة: هيوحشنا القرآن بصوتك.

لم تستطع رحمة الصمود أكثر من ذلك فسقطت دمعتها.. فمسحتها سريعًا تحاول مُسايرة الأمر قائلة: أنا معاكُم وهفضل معاكُم وهاجي أزوركُم، بطلوا دراما بقى واضحكوا يالا..

إيريني جهزي نفسك هعملك تسريحة حلوة النهاردة، نورا هقرأ لك قُرآن وأغنيلك بعدها كمان أنشودة حلوة، أسماء حضري نفسك هاجي آكل معاكي، غادة اطمني الفرج جاي.

ذهبن إلى غُرفاتهن، فأعدت رحمة أشياءها وجمعتها استعدادًا للخروج صباحًا..

أتت زميلتها آية لزيارتها..

رحمة: آية وحشتيني، هخرج بُكرة

- مبروك، أخيرًا.. أوعي تكوني زعلانة مني من اللي حصل امبارح!

- نسيتُه أصلاً.

عانقتها آية قائلة: رحمة أُم قلب كبير.

يالا أساعدك تلمي الحاجة

- استني فيه حاجة!

- في إيه؟

اتصلت رحمة بوالدها قائلة: إزيك يا بابا، مُمكن تجيب معاك وأنتَ جاي مفك، ومسامير وصواميل، ومفتاح ٢٢؟!

- ليه كُل ده؟

- عايزة أعمل حاجة لما تيجي هقولك.

آية: هتعملي إيه؟

- لقيت في الحمام حنفية بتسرب مياه ومش بتتقفل فصعب عليا المياه نازلة على الفاضي، وكمان السيفون مش شغال فقولت أصلحهُم.

- تصلحي إيه يا بنتي! مش شُغلك ده، أي عامل يروح يصلحهُم ماتشغليش بالك انتي.

نظرت إليها رحمة بابتسامة هادئة تحمل النُصح: مُمكن ميكونش شغلي فعلاً، بس مادمت أعرف أعمل حاجة خير وهتعُم بفايدة للناس ليه ماعملهاش؟!

- يعني تعرفي تعملي الحنفية والسيفون!

- بابا لما كان مسافر وأخويا كان في الجيش كانت لما بتعطل عندنا حاجة في البيت كُنت أنا اللي بقف مع السباك أو الكهربائي وأشوفهُم بيعملوا إيه وأتعلم منهُم، وبعد كده مابقناش في حاجة لكهربائي أو سباك! فلما أكون عارفة حاجة وأقدر أساعد بيها غيري ده عمل كويس يُحبه الله ورسولُه.

- ربنا يفتحها عليكي يا ست البنات.

- تفتكري ينفع أطلع من المُستشفى ولا لأ!

- ما أظُنش.. عايزة إيه؟

- عايزة أشتري حنفية.

- بتهزري! كمان هتجيبي الحنفية من على حسابك!

- يا بنتي بقى أسمعي الكلام وكفاية جدال.

- طيب حاضر هنزل أشوفلك.

- شاطرة.

جاء والد رحمة وأحضر لها ما طلبت، وجلس معها وأخبرتُه أنها ستخرُج غدًا ففرح..

قال لها: ليه طلبتي مفك وصواميل ومسامير ومفتاح ٢٢؟

- حاجة بسيطة كده في السرير اللي نايمة عليه العجل بيجري وعايزة أربُطه.

- آه.. ما انتي كده كده خارجة بُكرة ماكنش لازم.

- لسه فاضل يوم.. مش هعرف أنام هلاقي السرير بيجري بيا.

لم تُرِد أن تُخبر والدها بما ستفعله في الحمام، فهي لا تُحب أن تُعرِّف أحدا بما تفعله من خير لوجه الله حتى أقرب الناس إليها إلا إذا اضطُرت.

وفي هذه الأونة دخلت آية وبعفوية منها أمام والد رحمة قالت: إزيك ياعمو.. رحمة أنا جبتلك الحنفية.

ضربت رحمة يدها على جبينها بسبب ما فعلته آية.

والد رحمة: حنفية!

- بص يا بابا الصراحة في حنفية بايظة في الحمام، بتسرب مايه كتير، وعايزة تتربط والسيفون مش شغال فقولت ا...

قاطعها قائلاً: ماقولتليش ليه من الأول؟ عايزة تاخذي الثواب لوحدك! هاتي يا آية الحنفية، فين طريق الحمام؟

فرحت رحمة كثيرًا بأبيها..

والد رحمة: والله يا بنتي انتي رحمة من الله في كُل مكان..

وقبل والد رحمة رأس ابنتهِ وذهب.

وبقت آية مع رحمة تساعدها في تحضير بعض الأشياء استعدادًا للخروج في الصباح.

وهذه الليلة لم يترُكها أحد من البنات، تجمعن في غُرفة رحمة؛ أسماء، ونورا، وإيريني، وغادة وسهرن معًا حتى غفلن، وجاء الصباح ودعتهُم رحمة، واقتربت من غادة تهمس في أُذنها: ماتقلقيش لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا.

عانقت غادة رحمة بقوة وبكت، ومن بعدها نورا، ومن ثم أسماء وإيريني.. ظلت إيريني مُتمسكة برحمة ومُعانقة لها فترة طويلة لا تُريد تركها، ودعتهُم وقبل أن تذهب جاءت المُمرضة نعمة لغادة..

نعمة: غادة.. هتتأجل إشاعتك لبُكرة.

نظرت غادة لرحمة بتعجب وابتسامة، فبادلتها رحمة الابتسامة وغمزت لها ونظرت إلى الأعلى وهي تشير بأصبعها إلى السماء، أي تريد إخبارها: إنه الله.

وهمت رحمة بالخروج و قبل أن تخرج من العنبر، التفت فرأت كُل واحدة من البنات أمام غُرفتها يلوحن لها بأيديهن سلامًا لها.

رحمة في سريرة نفسها وهي تنظُر للبنات: كُلكُم بتجمعكُم نفس القضية ونفس الحل مع اختلاف الابتلاء.. فسبحان من ساقني ليكم، وعلمني منكُم، وأهداني للصواب والنصيحة.

عادت رحمة إلى المنزل، وعكفت على البحث لتقديمُه في الغد، فقد تأخرت كثيرًا، حيث أن جميع الطُلاب قدموا أبحاثهُم إلا هي بسبب دخولِها المستشفى.

وبعد أن أنهت بحثها الخاص بدراسة الجدوى عن مشروع الإكسسوارات اليدوية، ذهبت وسلمته لدكتور أحمد سعيد..

رحمة: دكتور أنا أسفة على التأخير.

- ما تتأسفيش مش ذنبك التأخير، حمدًا لله على سلامتك.

فابتسمت رحمة خجلاً من حُسن مُعاملة أُستاذها وتقديرهُ لم كان بها، وشكرته.

بعد أن خرجت من مكتب الدكتور أحمد سعيد وردها اتصال من غادة..

غادة: رحمة ادعيلي أنا داخلة الأشعة دلوقتي وهيكشفوا عليا، أنا مرعوبة.

- اطمني بالله خير إن شاء الله، لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا، يمكن تحصل مُعجزة!

- أي مُعجزة يا رحمة مُمكن تحصل معايا وتنجيني من المُصيبة دي!

- أحسني الظن بالله هو القادر على كُل شيء سُبحانه، خلي عندك يقين بالله.

- يارب يا رحمة.. يارب يُحدث أمرا زي مابتقولي.

أنهت رحمة المُكالمة مع غادة، وبعدها بخمس دقائق وردها اتصال آخر..

رحمة: السلام عليكم..

- وعليكم السلام.. رحمة أنا عبير بنت عم غادة.

- حبيبتي إزيك عاملة إيه؟

- الحمد لله، أقدر أقابلك النهاردة؟

- ينفع بُكرة عشان أنا في الكُليه النهاردة!

- أجيلك عند الكلية.. أنا محتاجة أشوفك ضروري، أرجوكي.

- قلقتيني! طيب نتقابل قُدام مكتبة إسكندرية مُناسب معاكي؟!

- مُناسب جدًا ربع ساعة وأكون قُدامها.

- تمام وأنا أكون طلعت من الكُلية.

قابلت رحمة عبير ابنة عم غادة، وكان وجهها شاحب حزين يبدو عليها الخوف الشديد.. سألتها رحمة: عبير انتي كويسة؟!

- لأ.. أنا عايزة أكلمك من ساعة ماعرفتك وقابلتك عند غادة، بس ماعرفتش عشان العيلة كُلها بتبقى متجمعة!

- طيب اهدي كده وأنا تحت أمرك، عايزاني أساعدك في إيه؟

- هاحكيلك بس أوعديني إنك هتساعديني..

- أكيد بإذن الله هساعدك، لو مُتاح ليا أساعدك مش هتأخر.

- بصي.. من حوالي ٨ شهور كده كانت علاقتنا وحشة أوي بعمي لدرجة إننا كُنا مانعرفش عياله، ولا عُمرنا اتكلمنا مع بعض، وبعد كده انصلح الحال فجأة، وغادة جت زارتنا والمودة والحب جمعت العيلتين، وكان ليها الفضل إنها تلم الشمل..

كانت رحمة تستمع لها وهي تعرف بالفعل كل ما تقصه عليها عبير، ولكنها تركتها تتحدث وتُعبرعما بداخلها قائلة: تمام كملي.

- بدأت أتعرف على ابن عمي سيف أخو غادة من على الفيس بوك، ونتكلم واتس آب، واتعلقنا ببعض أوي، وكُنا بنروح عندهُم وبيجوا عندنا، وبابا وعمي اشتروا شاليه في الساحل، وكان كُل واحد فيهُم معاه مفتاح، بنتجمع في الشاليه تجمُع عائلي..

كبر مننا الموضوع أنا وسيف، وطلب مني نروح الشاليه اللي في الساحل لوحدنا عشان نقدر نقعد مع بعض، وأخذ المُفتاح من عمي وقاله هيروح يقعد فيه هناك يذاكر مع جماعة أصحابه!

كُنت رافضة في الأول وخوفت حد من العيلة يعرف، أو إني أتاخر على رجوع البيت، بس هو قدر يقنعني.. بعدها روحنا هناك وحصل اللي حصل، ومابقتش بنت يارحمة، خسرت شرفي!

أنا عارفة إني نزلت من نظرك بس ماعرفش إزاي سمحت لنفسي أعمل كدة!

وفي الآخر لقيتُه بيتهرب مني ومش بيكلمني بعد ما وثقت فيه وقولت عليه من دمي! كلمتُه وقولتلُه كلم بابا قالي هكلمه وفضل يماطل وبعدها عملي بلوك!

وظلت تبكي بندم وخوف، ثم قالت لرحمة: ساعديني أعمل إيه؟

تبسمت رحمة ابتسامة تعجب وقالت: سُبحان الله، بسمع القصة للمرة التانية مع أشخاص مُختلفين!

- قصدك إيه!

- ولا حاجة.. عارفة! سُبحان الرحمن داين تُدان.. وتلك الأيام دول.

- مش فاهمة حاجة!

- تعالي معايا عند بنت عمك نزورها النهاردة هتعمل الأشعة، واحتمال تدخل عمليات ياخدوا عينة من المبايض وبعدها هفهمك كُل حاجة.

ذهبت رحمة وعبير إلى المستشفى لرؤية غادة، الجميع هناك ينتظر خروجها؛ والدها، ووالدتها، وأخيها سيف، ووالد عبير ووالدتها، وأخيها سامر وفجأة عادت لهُم غادة فرِحة قائلة: الأشعة ماطلعش فيها حاجة تستدعي فتح وأخذ عينة من المبايض فرجعوني.

فرح الجميع وهللوا الله اكبر.. الحمد لله الحمد لله.. وظنت غادة أنها نجت ولكن جاءت الطبيبة نفين وأفسدت فرحتهُم عندما قالت: غادة ماقولتلناش ليه إنك متجوزة من الأول كُنتِ سهلتي علينا كتير! عمومًا الحمد لله ربنا نجاكي ومافتحناش وأخذنا عينة وطلعتي بخير.

نظر الجميع إلى الطبيبة مُندهشين! وقالا والداها: متجوزة إزاي يعني؟

دكتورة نفين: إيه هو اللي إزاي؟ هي مش متجوزة؟!

والدة غادة: لا مش متجوزة.

- إزاي وبنتكم مش عذراء!

وأثناء الحديث حاول سامر التسلُل خارج الغُرفة، ولكن رحمة لاحظتهُ فوقفت أمام الباب وأغلقته؛ كي لا يخرُج.

ثار الجميع غضبًا، الأب والأخ في حالة من الجنون، وتعجب العم و زوجة العم وابنة العم، وهمَّ أخو غادة بضربِها قائلاً: جبتلنا العار يا حقيرة

فأمسكت رحمة يده قائلة: إياك تمد إيدك عليها وأنتَ السبب..

فغضب وصرخ كالمجنون قائلاً: إزاي أنا السبب؟!

- زي ما عملت في بنت عمك بعد ما وثقت فيك، جه ابن عمك وعمل نفس الشيء في أُختك! وسُبحان الله في نفس المكان، ونفس القصة! عارف ليه؟!

لإنه دين، ووعد "كما تدين تُدان"

أختك مش عار.. أُختك بتدفع ثمن اللي انتَ عملتُه.. ماحدش بيعمل شيء إلا ولازم يترده! خيرًا كان أو شرًا.

الجميع في حالة صمت وصدمة مما تقوله رحمة، وظلت عبير تنظُر لغادة، وغادة تُبادلها النظرات، وتحتمي كلتاهما في ظهر رحمة، وكُل من بالغُرفة طأطأ رأسهُ يُفكر في صمت مُتعجبًا مما يسمع!

والد غادة متحسرًا: يعني أنت يا سامر يا ابن أخويا ياللي بضرب بيك المثل تعمل كده في بنتي!

لم يجبه سامر، ونظر في الأرض مُطأطأ رأسهُ خجلاً، وندمًا من فعلته.

والد عبير في حالة ذهول: سيف! وبنتي؟ طيب ليه تعملوا فينا كده؟!

رحمة: خلاص اللي حصل حصل..

وانتوا ماكنتوش قد الثقة إنكوا تحتوا بناتكُم وتشوفوا احتياجتهُم، ولا علمتم ولادكم إزاي يحترموا الأُنثى ويقدروها ويصونوها، مش هنكر إن البنات غلطوا كمان! آه غلطوا جدًا جدًا، وأولادكم كمان وكُل القصة عِظة للجميع، والحمد لله مافيش حد غريب وسطكُم عرف اللي حصل غيركُم! فصلحوا اللي عملوه وجوزوهم ببعض، واستغفروا الله واغفروا ليهُم، وسامحوهم، ووفقوا بينهُم في الحلال.

ندم كُل منهُم على خطأه، واعتذروا من بعضهم البعض..

ووافقوا جميعًا على ماقالته رحمة، وقرروا أن يزوجوا غادة بسامر، وعبير بسيف أول خميس في الشهر القادم، فرحت الفتاتان بهذا القرار، وقامت كُل واحدة منهُم بتقبيل رحمة ومُعانقتها، وعانقت والدة غادة رحمة وهي تبكي، وكذلك والدة عبير، وشكر الوالدان رحمة، فلولا الله سخرها لهم لدُمرت العائلة ولفُضح سر بناتهُم!

رحمة: خلاص بقى يا طنط بطلوا عياط.. دخلتوا المُستشفى بمرض خرجتوا بجواز عايزين إيه تاني كفاية دراما بقى.

ابتسموا، ولكن ابتسامة تملأها الحزن والخجل، وشكروا رحمة، فقالت رحمة لغادة: مش قولتلك لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا، وتحصل مُعجزة.. يابنتي على قدر اليقين تُهيأ المُعجزات.. فمن يُجيب دعوة المُضطر؟

- ونعم بالله العلي العظيم، صدقتي صدقتي والله، الحمد لله.. بس عرفتي إزاي موضوع عبير ده أنا ماكُنتش أعرفه؟

- نبأني العليمُ الخبير.

وبعدما كُتب لغادة إذن الخروج من المستشفى، استأذنت رحمة من الجميع، واتجهت لزيارة نورا، وأسماء، وإيريني..

تنهدت قائلة: الحمد لله رب العالمين، اللهُم استر عبادك ولا تكشف لهُم سترًا.

وصلت عند غرفة نورا.. طرقت الباب: السلام عليكُم

علمت نورا أنها رحمة من صوتها ففرحت قائلة: رحمة رحمة.. كُنت عارفة إنك مش هتسبيني.

- وأنا أقدر أنسى الغالية بردوا! طمنيني عليكِ؟!

- مُفتقداكي جدًا.

- وأنا كمان جدا، أخبار البنات إيه؟

- بنقعد سوا انتي قربتينا من بعض.. امبارح بعد ما خرجتي قعدنا سوا عند إيريني.

- الحمد لله، شاطرين والله، يالا قومي معايا نروح نزورهُم..

نورا بفرحة شديدة: يالا بينا.

رحمة تطرُق باب غُرفة أسماء ثم تنحنحت قائلة: احم احم.. أقدر أدخل يا فندم؟!

أسماء بفرحة: رحمة حبيبتي، وحشتيني أوي.

وبعد عِناق طويل قالت رحمة: أخبار صحتك! بتاكلي ولا لأ؟!

- مش أنا وعدتك إني هكافح وهحارب المرض عشان أخرج من هنا ونقعد على البحر!

رحمة بابتسامة: صح، وناكُل آيس كريم وترمس.

نورا: وأنا معاكوا.

رحمة: طبعًا إن شاء الله.. يالا بينا نزور إيريني.

أسماء: يالا بينا.. عارفة يا رحمة إيريني عيطت امبارح كتير بعد ما مشيتي، وروحنا كُلنا قعدنا معاها في غُرفتها

رحمة: ياحبيبتي.. وأنا رايحه ليها أهو يالا..

طرقت رحمة الباب، ثم جعلت أسماء ونورا يدخلن الغُرفة قبلها..

أسماء: إيريني نفسك في إيه؟!

- نفسي أخرج من هنا، وأقابل رحمة.

فدخلت رحمة غُرفة إيريني قائلة: أمنيتك اتحققت ها إيه تاني؟

فضحك الجميع، وكادت إيريني أن تطير من شدة الفرحة لتصل سريعًا إلى رحمة فتعانقها..

رحمة: خليكي خليكي.. على مهلك.

عانقت إيريني رحمة بقوة، وبكت..

رحمة: طيب ليه العياط بقى!

- فرحانة.

- شعب مصر العظيم.. بحس إن نهر النيل بيصب من عنيكُم، فرحنين عياط، زعلانين عياط، نكد برده عياط! وفروا الدموع لحدث عظيم يا جماعة.. فضحكن جميعهن.

إيريني: وحشني هزارك وضحكك وصوتك وكُل حاجة..

- وانتوا كمان وحشتوني..

عملتوا إيه من ساعة ما سبتكُم امبارح للنهاردة؟!

نورا: كُنا قاعدين سوا بنجيب في سرتك وبنتكلم عنك.

- ربنا يخليكُم ليا.

إيريني: انتي بقى عملتي إيه من لما سبتينا؟

- سهرت على البحث بتاعي وروحت النهاردة الكُلية وسلمتُه للدكتور وبص فيه وعجبُه جدًا، وقدر الظرف اللي كُنت فيه..

إيريني: الحمد لله، واثقين فيكي.

نورا: بندعيلك كتير والله.

رحمة: اللهُم، ولكُم المثل وزيادة.. آه صح ليكوا عندي خبر حلو..

أسماء: بجد!

نورا: إيه هو؟

إيريني: يا بشايرك.

رحمة: غادة مش هتعمل عملية، ولا هياخدوا عينة من المبايض، ولا فيها حاجة وطلعت بخير، وهتتجوز الخميس بعد اللي الجاي..

إيريني: واو.

نورا: إيه الجمال ده.

أسماء: انتي وشك حلو على الكُل.

وبينما كن يتحدثن، دخلت غادة غُرفة إيريني فجأة قائلة: فعلاً رحمة وشها حلو على الكُل، واللي حصل معايا أنا وعبير شيء ما يستوعبهوش عقل! ولكن الله مسبب الأسباب، سبحانه وتعالى، فالحمد لله.

إيريني: ربنا يخليها لينا كُلنا، هي اللي جمعتنا ببعض وعرفتنا ببعض.

أسماء: تعالي هنا.. هو مش احنا كُنا متجمعين امبارح بالليل! ماقولتيش لينا ليه على خبر جوازك؟!

نورا: وإيه الحاجة اللي ما يستوعبهاش عقل اللي بتتكلمي عنها!

غادة: ما هو..

فأسرعت رحمة بالرد لعدم إحراج غادة قائلة: ماهو لسه طالعة نتيجة الأشعة من شوية.. وكلامها ده عشان طلعت بخير يعني، وكان عمها موجود ففرح بتعافيها وطلبها لابنه، وباباها ومامتها وافقوا، ومش بس كده! ده

كمان بابا غادة طلب عبير بنت أخوه لابنه سيف، وبالتالي حددوا الفرح أول خميس في الشهر الجاي، وفقًا لخير البر عاجله يعني.. وهي ماكنتش تعرف غير دلوقتي، كُل ده حصل قدامي.

فاقتربت غادة من رحمة هامسة: هتفضلي لحد امتى تنقذيني من كُل موقف!

- على قد ما أقدر.. لحد ما أموت.

- بعد الشر عليكي، ماتقوليش كده.

نورا: ألف مبروك يا دودو.

أسماء: فرحنا أوي، كده أنا لازم أشد حيلي عشان أحضر فرحك.

إيريني: مبروك يا حبيبتي، أنا هحضر الفرح لو حتى ههرب من هنا.

رحمة: إيريني انتي تقدري تركبي طرف صناعي؟!

- ماعرفش الموضوع ده هينفع معايا ولا لأ!

- طيب ابقي اسألي وقوليلي.. ماشي؟!

- حاضر.

رحمة: يالا يا بنات هسيبكُم أنا وخلوا بالكُم من نفسكُم.

نورا بوجه عابس حزين: لا خليكي معانا شوية.

رحمة: فاضل ثلاثة أيام على الامتحانات يا نورا.. لازم أذاكر.

إيريني: طيب وغلاوة الرسول مُحمد تخليكي نص ساعة كمان.

رحمة: عليه أفضل الصلاة والسلام.. حاضر يا ستي.

ما أنا معاكُم طول الوقت واتس آب، وفيس بوك ومكالمات.. مش بسيبكُم.

أسماء: بس هتسيبهُم عشان الامتحانات.

رحمة: آه طبعًا إن شاء الله..

نورا: عارفين إنك هتعملي كده، انتي مابتحبيهُومش أصلاً..

رحمة: آه، وسائل التواصل الاجتماعي كُلها مابحبهاش.. لولا الحاجة ماكُنتش استخدمتهُم!

إيريني: انتي جميلة أوي، عارفة حبناكي ليه؟!

رحمة: ليه؟

إيريني: عشان مافيش منك أبدا.

أسماء: آه والله حقيقة.

نورا: دي حقيقة فعلاً والله.

رحمة مازحة: آه لو الكرة الأرضية اتقسمت نصين، رحمة مافيش منها اتنين.

فتعالت الضحكات، فقالت رحمة: ربنا يباركلي فيكوا ويباركلي في ضحكتكُم، أهي دي عندي بالدنيا كُلها.

قبلت إيريني رحمة قائلة: بحبك أوي.

- وأنا كمان جدًا، يالا النص ساعة خلصت.. سلام الله عليكُن يا فتيات.

تركتهُم رحمة وعادت إلى المنزل، وبينما هي تُذاكر تذكرت أنها أيامٍ قليلة، وستُغادر الجامعة مُفارقة الأصدقاء، والأساتذة الكرام، والإخوة

المُعيدين! فكتبت كلمات تُثني عليهُم جميل صُنعهُم ومجهودهُم، ثم فتحت كاميرا هاتفها، وسجلت لهُم فيديو جمعت فيه الأساتذة الذين قاموا بتدريسها والمُعيدين، وشكرتهُم فيه، وشكرت زُملاءها وأشارت إلى الجميع فيه، فكانت مفاجأة بالنسبة لهم..

وأنشدت رحمة: تجارة خلاص..

مُذاكرة خلاص..

ولَمتنا خلاص راحت

ليه الفُرقة بتوجعني كمان والدمعة غلباني فُراق بقى ليه؟

وده في سيكشن، ودي في كورسات..

وده مقضيها في الكافيهات

ولو نفتكر المواد!

هننسى أكيد كُل اللي فات

ومين القسم مش واحشه؟

دي لمتنا نجوم ألماس

صُحاب و دكاترة عارفينهُم..

ومُعيدين كده إخوات

في مادة سعات بنفتحها بتقفلنا من التفكير

ومادة ساعات بنفتحها بنتمنى نجيب تقدير

دقيقة بُص كده في البنش..

تلاقي الكُل كده بيغش!

فعديها بقى وما تقولش

تقول بقى إيه؟

صُحابي بجد بعشقكُم..

وسامحوني على التقصير

وبُكرة في ندوة هجمعكُم

مع دكاترتنا الحلوين ..

معانا دكتور أحمد سعيد..

ساعدنا في بحث كان تهديد..

وخلي البحث وبروقان علينا بقى عيد

ودكتور محمد جلال..

وده دخلنا ١٠٠ موال

وبحثُه يخُض ويعصب!

وهو جميل ومُهذب

ودكتورنا عمرو فتيحة

وده اللي بحبُه أنا كتير

مادتُه سهلة ومريحة

وبيساعدنا على التفكير..

ودكتورنا الكبير عُثمان..

وده دكتور كده جنتل مان

مُحاضرة تقولش مسرح مصر!

مخالف فيها مليون عصر

بنفرح بيه

وهالله هالله.. أكيد مش هنسى فتح الله

سبب دخولي القسم والله، بحبُه أكيد

وكُل الشُكر والعرفان لمحمد رمضان وعبد الرحمن

شيماء البديوي مسك الخِتام

وبره القسم في مُحاسبه

في ناس جامدين كده وشُطار

ومعرفتي بيهُم صُدفة.. إسماعيل سَخاوي علي السمسار..

وفي الإحصاء بضحكتها..

دكتورة سُمية وروعتها

دي بتخليني أحس الدُنيا لسه بخير.. وبفرح لما أشوف نجاحها بعنيا

عميد كُلية تجارة، دكتور السيد الصيفي حامل وسامُه بجداره، شجعني ياما وحفزني.

تجارة خلاص.. مُذاكرة خلاص..

وقسمي بحبُه بعيوني..

وآخر كِلمة أنا هقولها بجد.. هتوحشوني.

أنهت رحمة الأُغنية، وشاهدها الجميع، وأعجب بالأغنية الكثيرون، وشاركوها على صفحاتهِم على مواقع التواصل الاجتماعي، أما المُعيدين وكِبار الأساتذة فقد انبهروا وفرحوا كثيرًا، فجاءها تعليق من كُل دكتور ذُكر اسمُه في الأُغنية! فمدحوها ومدحوا فيها روعة الكلمات، وروح الدعابة، و توازن الكلام والقافية، ومهارتها في الأداء.. فأحبت رحمة أن تترك بصمه قبل التخرج.

بدأت الامتحانات وسريعًا ما انتهت على خير. حاولت رحمة البحث عن عمل ولم تجد، وذهبت إلى مُستشفى "المجرة" لتُقدم فيها عن وظيفة.. فأخبرها المُدير أن عليها انتظار النتيجة حتى يُسمح لها بالعمل، فهُم لا يقبلون أحدًا من غير شهادة! فصبرت وانتظرت حتى ظهرت نتيجتها بالنجاح، فذهبت إلى الجامعة وأخرجت شهادة مؤقتة لحين خروج الشهادة الأصل لتقديمها في مُستشفى المجرة.. فقابلت المُدير الإداري فسألها العديد من الأسئلة وتم قبولها بحمد الله في مركز جديد خاص بقسم الرمد، فعملت به موظفة استقبال ولم تسأل عن الراتب، وكان لديها الفضول ولكنها خجلت أن تسأل وهي تظن أن مكان كالمجرة عالي الراتب!

ظلت تعمل لإسبوع دون أن تعرف كم راتبها، حاولت أن تعلم من زميلاتها..

رحمة: سمر هو الراتب هنا كام؟

- يعني مُرتبك مُمكن يكون ٨٠٠ جنية زي باقي البنات هنا.

- نعم!

صُدمت رحمة، وأصرت الذهاب للإدارة لتسألهم، والإدارة في الطابق السابع ورحمة تعمل في مركز الرمد الطابق التاسع، فنزلت إلى الطابق السابع

لهم، ودخلت غُرفة الموارد البشرية تسأل المُدير قائلة: السلام عليكُم أُستاذ مروان، هو أنا الراتب بتاعي هيكون كام؟

- مركز الرمد بقى تبع الحسابات العامة يا رحمة، روحي هناك اسألي محمد الملاواني.

- طيب حضرتك ماتعرفش هو هيبقى في حدود كام؟

- تقريبًا هيبقى في حدود ٩٥٠ جنية

- يانهار أبيض..!

تمام أُستاذ مروان تسلم، هي فين الحسابات العامة؟!

- في المكتب اللي جمبي، أول ما تطلعي على إيدك اليمين!

- تسلم.. عن إذنك.

ذهبت رحمة إلى الحسابات العامة تسأل عن محمد الملاواني، وعندما وجدته قالت له: أُستاذ محمد هو أنا الراتب بتاعي كام؟

- هو انتي رحمة الجديدة في الرمد؟!

- آه، أنا.

- هيبقى ٨٤٢ جنيه.

فضحكت رحمة من الصدمة قائلة: بتهزر صح! ٨٤٢ جنية! طيب وليه ٤٢ جنيه؟

أنا مسامحاكم سدوا بيها عجز الخَزِينَة!

وتبسمت ابتسامة مُتكلفة، وصعدت الطابق التاسع مكان عملها، وهي في حالة ذهول! حتى أنها كان تُحدث نفسها! وسمعتها عاملة النظافة شيماء،

وزميلتها نغم التي قالت لها: يا عيني رحمة وشها اتقلب لما عِرفت الراتب.

شيماء: أومال لو عرفت إن في ضريبة كسب عمل!

رحمة: إيه ده؟!

إيه ضريبة كسب عمل دي؟ لا أنا نازلالهم تاني..

نزلت رحمة مكتب الحسابات العامة، طرقت الباب ودخلت بابتسامة مُتكلفة قائلة لأستاذ محمد: لوسمحت حضرتك إيه ضريبة كسب العمل دي؟!

- ضريبة بتُخصم بنسبة ١٠% من الراتب بتاعك.

- يا حلاوة.. طيب والراتب بتاعي بعد الضريبة هيكون كام؟

فأمسك "محمد الملاواني" الآلة الحاسبة وقال لها: هيكون ٧٥٥ جنيه.

فقالت ساخرة: إيه الكرم ده! قولي بس فيه حاجة تاني هتتخصم! عايزين مني فلوس؟

فضحك الملاواني من رد فعل رحمة قائلاً: لا ماتقلقيش هو مُمكن الراتب النهائي بعد التصفية من تأخير أو جزاءات ٧٠٠ جنيه.

- الله الله.. إيه الجمال ده!

تسلم يا فندم.. السلام عليكُم.

عادت رحمة إلى المنزل تُفكر، أتستمر في العمل، أم تبحث عن مكان آخر! ولكنها قررت أن تُكمل مهما كان الراتب، فالعبرة بالخبرة، ورضيت بقسمة الله لها.

تعلمت سريعًا، وأصبح حمل المركز كاملاً عليها، إذا مرضت واحدة من

زميلاتها أو حدث ظرف للأُخرى أو مُشكلة ما لواحدة منهُن مع زوجها! نزلت رحمة مكانها وتحملت وحدها العمل صباحًا ومساءً.

وبمكتب الشركات بجانب مكتب رحمة كان يعمل شابًا اسمه "أحمد عطا الله" تعرفت عليه رحمة مُنذُ أن تم تعينها، وبعد أيامٍ..

أحمد: يا جماعة أنا الأسبوع الجاي هاخد أجازة أشوف وشكُم بخير عشان الامتحانات.

رحمة: امتحانات إيه؟ أنت لسه بتدرس!

- آه أنا في ثانية شريعة وقانون.

- ثواني! أنت كمان مش تجارة، ولسه بتدرس وشغال! طيب إزاي؟!

ده أنا قدمت قبل كده ورفضوني عشان طالبة! ولما نجحت رفضوا بردوا غير لما أجيب الشهادة وأقدمها، أنت إزاي اشتغلت؟!

- ما هو بابا مُدير الشركات، وخالي مُدير الحسابات..

- آه قولتلي بقى.. وبتقبض كام يا أحمد؟

- يعني ٣٧٠٠، وأحيانًا ٤٠٠٠، وفي العيد باخذ العيدية بالدولار.

- ما شاء الله اللهُم بارك.

وحينها أتى في نفس الوقت قريب أحمد "مازن" ليحل محل أحمد فترة أجازته، فظل أحمد يُدرب مازن.. وكان شابًا خليعًا يُحب الهزار مع جميع البنات، وكانت رحمة لا تسمح لهُ بالهزار معها، فكان يخشى أن يُحدثها، وكُلما حاول منعته وأحرجته، وظل يعرض نفسه أمام الجميع بأنه قريب مُدير الحسابات.. وجاء في خاطر رحمة أن تسألهُ عن راتبه!

- وأنت بتقبض كام يا مازن؟

رد مازن بغرور وتكبُر على رحمة قائلاً: ٤٨٠٠ جنيه ولسه الزيادة.

رحمة تستمع ما يقوله وهي في حالة صدمة! ومن داخلها بحزن تسخر مما تراه حولها وتسمعه!

أخدت شهادات كتير تؤهلني للشغل في أي مكان، بس ماكنش معايا شهادة قريبة مُدير الحسابات أو الشركات.. الحمد لله يارب أنتَ وسطتنا، أنتَ وليِّ في الدنيا والآخرة، توفني مُسلمةً وألحقني بالصالحين.

عادت إلى المنزل، جلست تأكُل مع أسرتها، كانت شاردة الذهن تُفكر، ولاحظ الجميع سكوتها، فلم تأكُل شيئًا وقامت، عندها.. دعاها والدها ووالدتها وأخيها زكريا ليعلموا ماذا بها؟ ولكن لم ترد إخبارهم بشيء!

والد رحمة: إيه مالك يارحمة حد مزعلك في الشغل؟

رحمة: لا أبدا بالعكس كُلهُم لذاذ خالص.

زكريا: طيب في إيه مالك؟ شكلك مش تمام!

رحمة: والله زي الفُل الحمد لله

لا تريد أن تُشغلهم، ولكن بعد إصرارهُم وكثرة الضغط عليها، أعلمتهُم بالأمر بطريقة فيها بعض من المرح مخلوط بالحُزن والرضا قائلة:

أخذت شهادة، اتنين ثلاثة

واتخرجت أنا واشتغلت

قابلت الواقع، المؤلم بزيادة

ابن المُدير فوق، وأنا تحت

شُغلُه نفس شُغلي، وقبضُه بالدولارات!

وشُغلي نفس شُغله، وقبضي بالجنيهات!

أنا متخرجة، وهو طالب لسه ماشفش المعركة!

والباشا التاني قريبُه الروش..

كُل الأمور كده عنده فنش

فرفور وفاكر السُلطة ليه..

ولو تسيبُه من غير واسطة

مش هيعرف يجيب الجنيه

آه نسيت أقولكُم هو قبضُه كام؟

قبضه ٤٨٠٠، وأنا بس ٧٠٠

مع الزيادة نحط ١٠٠ هيبقى قبضي ٨٠٠ سهلة المعادلة أهيا

هو معديني بأربعة

وأنا في حالي قاعده مربعة

بشوف الظُلم، وأقول ياعم، بُكرة يعوضنا ربنا

بخاف من بُكرة ده مايجيش..

بسكت وأقول ماتحكيش.. خلي عشمك في الواحد الأحد..

وأوعي تخافي من أي أحد

فضحك الجميع، وقال والدها: إيه الجمال ده يابنتي؟ بس ماتزعليش، انتي بتاخدي الخبرة ماتزعليش نفسك.

زكريا: لو مش مرتاحة شوفي شغل تاني.

رحمة: لأ، هكمل.

اقترب زكريا من أخته ضاحكًا: بس جامدين الكلمتين اللي قولتيهُم دول.

رحمة بضحكة: هو أنا حيلتي حاجة غير الشعر اللي بألفُه هو وشوية الغناء، هُما اللي بيهونوا عليا.

والدة رحمة: ربنا ييسر أمرك يابنتي يارب.

- آمين يا أُمي.. تصبحوا على خير جميعًا.. عندي شُغل الصبح.

والدة رحمة: شُغل ليه؟ بُكرة الجُمعة

- آه منا هنزل كُل جُمعة لوحدي.

والد رحمة: ليه لوحدك؟

- عشان البنات، كُل واحدة متجوزة وعندها عيالها، واللي حامل وبتتعب، فأنا باخُد مكانهُم، وبعدين مش بيبقى في عيادات، هو أنا هنزل أحجز للحالات وأرد على التليفونات بس، هيبقى يوم خفيف إن شاء الله.

والد رحمة: ربنا يوفقك بس ماتتعبيش نفسك، وماتخليهُمش يرموا كُل حاجة عليكي، اللي بتعمليه محبة وعاطفة منك ليهُم دلوقتي هيبقى واجب وإلزام عليكي بُكرة! لإنهم اتعودوا منك على كدة، فخففي العاطفة شوية.

رحمة بابتسامة تبين كم أنها مرهقة: حاضر يا بابا..

كانت رحمة تعمل يوم الجمعة من التاسعة صباحًا للحادية عشر مساءً بالمركز في الطابق التاسع لا أحد معها، أذن ظُهر الجُمعة فدخلت غُرفة الفحص صلت، وبعد السلام من الصلاة رفعت أيديها لله ترجوه قائلة: اللهم يارب اشفي مرضى المسلمين جميعًا وكُل مريض يتألم، يارب اشفي إيريني واكتبلها الخير واهديها، واشفي نورا وردلها بصرها، واشفي أسماء

شفاء لا يُغادر سقمًا يارب العالمين، إنك القادر على كُل شيء قدير، بحق قول سيدنا إبراهيم وإذا مرضت فهو يشفين، اشفيهم يا ذا الجلال والإكرام وردهم إليك ردًا جميلاً.

بعدها جلست تستقبل اتصالات المرضى وتحجز لهم، وفجأة اهتز النور فبدأ يخفُت، فحدثت نفسها قائلة: النور هيقطع! ولا اللمبة هتتحرق؟!

نظرت بجانبها إلى كولدير الماء، فرأته يتحرك ويُصدر أصواتًا! حاولت أن تُفسر ما يحدُث بطريقة علمية، فحدثت نفسها قائلة: بسم الله تلاقيه قوة دفع كهربية عملت كده، عادي.. عادي يا رحمة.

وأثناء هذا الصمت الرهيب، والسكون الذي يعم المكان رن هاتف المستشفى؛ فأجابت رحمة.. ولكنها عندما تُجيب يعود النور ويثبُت من بعد اهتزازه! وتسمع صوت أغاني صادرًا من المُبرد الهوائي بجانبها فتُغلق الهاتف مع الحالة وتستمع قائلة: سلامًا قولاً من رب رحيم..

طيب النور وقولت عادي هيقطع، وكولدير المياه قولت تيار كهربي شديد! طيب وإن مافيش حاجة أو حد ورا ناحية التكييف، الأغاني دي جاية من أين؟!

ما شاء الله.. في ريحة مش عجباني!

ثم قادها فضلوها لمعرفة ما يجري.. وقف المُبرد وحاولت رحمة تشغيله ولكنهُ لم يعمل، فاتصلت بالريسيبشن الرئيسي ليحولها إلى الصيانة..

رحمة: لوسمحتي حوليني للصيانة، الرمد معاكي..

- تمام معاكي الصيانة..

- لو سمحت التكييف اللي في الرمد مش شغال!

- أي واحد؟

- الرئيسي اللي فوق الكونتر.

- تمام، هيطلعلك أيمن دلوقتي يشفهولك.

جاء إليها أيمن لفحص المُبرد، وبينما كان يقوم بتصليحهُ سألته رحمة وهي تمزح: التكييف كان بيغني من شوية!

- أنتي جديدة صح!

ماتقلقيش هم بدأو يلعبوا معاكي..

- هُم مين دول!

-العفاريت اللي هنا.

ضحكت رحمة قائلة: بتهزر صح، بتهزر!

- لا والله بكلمك جد ابقي اسألي عم عادل النقاش، هو اللي كان شغال في الدور هنا لما كانوا بيظبطوه عشان يبقى مركز للرمد، أصلهُ كان المشرحة في الأول!

- الله اكبر.. يا حلاوة مشرحة!

طمنتني، وألاقيه فين عم عادل النقاش؟!

- مابيبقاش في مكان مُعين هتلاقيه بيطلع هنا كتير، أنتي قاعدة لوحدك هنا ليه؟

- بستقبل تليفونات، وبحجز للحالات.

- طيب خلي بالك.. أنا صلحت التكييف لو حصل حاجة ابقي اتصلي على الصيانة وهاجيلك.

- إن شاء الله، تسلم.

جلست رحمة بمُفردها، وقامت بتشغيل التلفاز على القرآن؛ لتطمئن به.

وفي اليوم التالي عند حضور جميع العاملين بالمركز المُدير وزميلاتها، والناس في انتظار الطبيب، تُحدث رحمة زميلاتِها ومُديرها أُستاذ مُصطفى الذي كان يتمتع بعدة صفات حميدة عن حجز العمليات للمرضى..

جاء عادل النقاش بحثًا عن أستاذ مُصطفى، وعندما علمت رحمة بأنه عم عادل النقاش الذي تبحث عنه منذ البارحة وتنتظر قدومه!

سألته أمام الجميع قائلة: عم عادل بدور عليك من امبارح..

وكان رجلاً كبيرًا في السن، شعر رأسه أبيض وبه صلعة، وفاقد نصف أسنانه، وما تبقى منهم لونهم أسود من أثر التدخين.

- تحت أمرك يا أُستاذة؟

- الأمر لله وحده.. هو حضرتك وأنت شغال هنا في الدور كُنت بتحس بحاجة أو بتشوف حاجة؟

عم عادل: بصي هُم مابيأذوش.

نظرت إليه رحمة بتعجب قائلة: هم مين دول؟!

- العفاريت.

- بسم الله الرحمن الرحيم

عفا..ريت! عمو ده حقيقي؟

- آه، كتير بحسهُم بيمشوا جمبي.. آه والله ببقى شغال لوحدي في الدور كُله وألاقي حركات حد ماشي، وحد بيجري حواليا، ولعب في النور، بس ماحدش بيعملي حاجة!

– ما شاء الله، وأنا اللي فكرت الموضوع هزار!

اقترب عم عادل النقاش منها وهمس في أذنها قائلاً: بصي هُم كويسين أوي، كُنت ببقى عايز سجاير وقاعد لوحدي ومش عارف أسيب الشغل عشان أنزل أجيب، فكُنت ألاقي السجاير جمبي!

ضحكت رحمة ضحك هستيري لفت انتباه الجميع قائلة: بتهزر صح.. بتهزر ياعم عادل!

أستاذ مصطفى: الدور التاسع ده كان المشرحة الأول.

– آه ما أنا عرفت امبارح من أيمن اللي في الصيانة.

أستاذ مصطفى: وقبل ما يكون مركز للعيون.. كان مركز للحقن المجهري وأطفال الأنابيب وفشل، والأطفال كانت بتموت! فقفلوه وبقى مركز للرمد.

– ما شاء الله يعني أنا مش بتعامل مع عفاريت كبار.. لا عفاريت رُضع كمان! الله يا رحمة الله.

وأثناء حديثهم وضحكهُم من ردود أفعال رحمة وتعبيرات وجهها قالت: بس يا واد عيب سيب الجيبه.

فضحك الجميع حتى أن أعينهم أدمعت من كثرة الضحك، فمازحتهم ثانية: عيل عفريت صغير بيلعب في الجيبه.. ما علينا هو الدكتور مش جاي ولا إيه؟

أستاذ مصطفي: آه صحيح رحمة اتصلي بيه شوفيه فين؟ أخدتينا بالكلام ونسينا كُل حاجة..

– إسراء بقولك إيه.. هنزل أفُك فلوس من الخَزينة عشان الناس اللي ليهُم باقي.

إسراء: فُكيلي معاكي ٢٠٠ جنيه

نزلت رحمة الطابق السابع للخَزينة، فوجدت إسماعيل ومجاهد أُمناء الخَزينَة..

إسماعيل: رحمة إزيك عاملة إيه؟

- الحمد لله، فُكلي فلوس الله يكرمك على السريع.

- حاضر.

- بتعمل إيه؟

- بتأكد من الفلوس لتكون مزورة!

- وبتعرفها إزاي دي؟

وبينما كان إسماعيل يُعلِّم رحمة.. اتصل به المُدير المالي وطلب منهُ أن يُسجل بعض الأشياء سريعًا على ورقة، فنظر إلى مكتبه باحثًا عن القلم فلم يجدهُ..!

إسماعيل: معلش حضرتك خليك معايا لحظة واحدة!

وضع إسماعيل يدهُ على سماعة الهاتف.. وفي حالة من الغضب: كان قلمي هنا من شوية! مافيش ولا قلم أجيبُة إلا لما يتشفط!

رحمة: نفس الشيء عندي فوق.. مجاهد مُمكن قلمك لحظة؟

- آه طبعًا اتفضلي.

أعطت رحمة لإسماعيل القلم، وظلت تنظُر إليه وقد أعجبت بالقلم بشدة، فقد كان لونه أصفر مذهب مُميز لم تر قلمًا يُشبهه من قبل.. وبعدما أنهى إسماعيل الكتابة أعادت القلم لمجاهد قائلة: جميل القلم جدًا يا مجاهد وخطه تُحفه، جايبُه من أين؟

- جايلي من بره، ابن خالي رجع من سويسرا وعطهولي.

- واو سويسرا.. أنا قولت برده الحاجة الحلوة دي ماشوفتهاش هنا.

- اتفضليه.

- تسلم، كُلك ذوق.

إسماعيل: آسف يا رحمة إني اتعصبت والله مش عليكي خالص.

- عارفة إنه مش عليا، هو أنتَ تقدر أصلاً!

- لا والله ماقدرش.

عادت رحمة إلى عملها بعد أن علمها إسماعيل الفرق بين الأموال المزورة والصحيحة. وكانت رحمة كُل يومين تذهب لزيارة إيريني ونورا وأسماء، وبعد أن أصبح لديها عمل أصبحت تزورهُم مرة في الأسبوع، لكن هذا الأسبوع وما قبله كان شاقًا عليها فتأخرت عنهم مُدة أسبوعين!

ورد لرحمة اتصال من إيريني قائلة لها: وحشتيني أوي، كده أسبوعين كاملين ماشوفكيش يا رحمة!

- حقك عليا، بُكرة الصُبح هكون عندك هقعد معاكي لحد معاد الشُغل وأمشي.

- مستنياكي، وليكي عندي خبر حلو..

- شوقتيني.. احكيلي.

- لا، لما تيجي.

- ماشي.. أليس الصُبح بقريب!

- بلى يا سيدتي.. بلى

أنهت المكالمة معها، ومن ثم اتصلت بعدها بنورا..

نورا: رحمة وحشتيني أوي.

- وأنتي والله يا نورا.

وكانت نبرة صوت نورا حزينة، فقالت: نستينا والدنيا أخدتك مننا يا رحمة.

- أبدا أبدا.. بُكرة الصُبح هكون عندكُم إن شاء الله.

- بقالنا اسبوعين ماشوفناكيش.. كُلنا مُفتقدينك.

- وأنا كمان جدًا والله.. أسماء عاملة إيه؟

- عاملالك مُفاجأة، وأنا كمان.

- الله.. شوقتوني يا بنات، بإذن الله بكرة الصبح هاجيلكم.

وفي الصباح ذهبت رحمة لزيارة صديقاتها وطرقت على باب غرفة إيريني قائلة: مُمكن أدخل؟!

فأجابت إيريني بسعادة وفرح: طبعًا طبعًا .. رحمة حبيبتي.

وبعد عناقٍ طويل واشتياق قالت رحمة: قوليلي بقى الخبر الحلو؟!

- بصي كده.. ثم قامت بنزع الغطاء من على قدميها، وقد وضعوا لها قدم صناعية.. فابتسمت رحمة وفرحت كثيرًا وحاولت إيريني أن تقف بمُفردها وساندتها رحمة قائلة: على مهلك.

- أنا هعرف أقوم لوحدي، أنا بقيت شاطرة، من أول ماركبوها وأنا بتمرن عليها عشان لما تيجي أفاجئك وأفرحك.. فأدمعت عين رحمة..

إيريني: أنتي بتعيطي!

مزحت رحمة معها وهي تمسح دموعها قائلة: حد قالك إني جبلة مثلاً!

- عارفة إنك قوية وعمري ما شوفت ليكي دمعة!

- مبسوطة بيكي، دمعة فرح يا بنتي.

فعانقتها إيريني قائلة: ربنا يخليكي ليا.

- أحلى خبر وأحلى مُفاجأة، فرحتي قلبي والله.

- لسه في تاني.. يالا نروح للبنات..

فذهبت إيريني ورحمة إلى غرفة نورا..

نورا: رحمة!

- عرفتي من أين؟ ده أنا ماتكلمتش!

تبسمت نورا، وتنهدت قائلة: ريحتك الحلوة، بتخبطي ثلاث مرات على الباب، عندك حاجات مش موجودة عند حد، زي إنك جميلة ووشك أبيض زي ما قالوا، وضحكتك حلوة! هتفضلي تكلميني من بعيد قربي وحشني حضنك.

- وأنتي وحشتيني

عانقت رحمة نورا طويلاً، فقالت نورا: في رمش واقع على خدك شيليه!

- أنهو خد؟ لحظة! أنتي عرفتي إزاي إن في رمش؟

- شوفته! زي ما أنا شايفة بنوتة زي القمر قدامي، وأجمل مما حكوا عنها كمان..

- لحظة! نورا أنتي بتشوفي؟ أنتي رجعتي تشوفي!

عانقتها رحمة وفرحت، وبكين ثلاثتهن..

نورا: أنا بشوف، أنتي كسبتي بحسن الظن بالله، الدكاترة قالولي مش هشوف، وأنتي عطتيني الأمل، أنتي كُنتي عنيا اللي بشوف بيها وساعدتيني للتغيير، بتمنى من ربنا إني أخف من التبول اللاإرادي، وبالإيمان والإرادة وحُسن الظن بالله مُتأكدة إنهُ هيشفيني..

رحمة: الله اكبر، الله اكبر.. فوق كُل شيء هو أكبر، جهزي حالك نصلي ركعتين شُكر لله، والله أجمل خبرين سمعتهُم، إن شاء الله هتتماسكي لحد ما نصلي يا نورا.

بكُل فرحة وسرور تبتسم إيريني قائلة: اشكرولي ربنا معاكوا على رجليا السليمة والصناعية..

- حاضر.. وأنتي كمان اشكُريه واحمديه.

- أقول إيه؟

- قولي الحمد لله يارب على نعمك التي لا تُعد ولا تُحصي، الحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به غيرنا وفضلنا على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً..

رددت إيريني ما قالته رحمة، ومن بعدها نورا..

نورا: رحمة هينفع أتوضى وأصلي؟ مُمكن أفقد وضوئي وتفسد الصلاة.

- إن شاء الله هتقدري، ولو حصل تبول تعالي نصلي مش همل لحد ما نصلي الركعتين الشُكر مافيش عليكي حرج مادام مريضة وفي حكمة فقهية بتقول: "إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب" وإن شاء الله مش عليكي من ذنب ويتقبلها الله بحسن نيتك، ديننا يسر مش عسر.

- إن شاء الله هصلي الركعتين، وربنا بإذن الله هيقويني، لإني نفسي أصلي..

صلت رحمة ونورا ركعتين شُكر لله وانتظرتهُم إيريني، وبعدها ذهبن جميعًا لغُرفة أسماء، طرقت رحمة باب أسماء، نظرت إليها أسماء وقامت من مكانها وسارعت بعِناق رحمة..

رحمة: ما شاء الله.. بقينا حلوين وبنجري كمان!

- آه بقيت بستحمى لوحدي، وبقوم وباكُل.. بقيت كويسة خُدي شوفي..

قدمت لها أسماء أوراق التحاليل النهائية التي تُظهر تراجع السرطان بنسبة كبيرة من جسدها..

رحمة: الله أكبر.. دي مُعجزة.

- فعلاً مُعجزة، والدكاترة هم كمان استغربوا وتعجبوا، ومش مصدقين وعادوا التحاليل ثلاث مرات عشان يتأكدوا!

رحمة: الله االله ياربي، الله يا عظيم.. أنا بحبكُم جدًا يا بنات.

ومن ثم عانقت الفتيات رحمة وعانقتهُن السعادة والرضا.

رحمة: صدق الله، ادعوني أستجب لكُم.

إيريني: أنا هخرُج النهاردة.

رحمة: بجد! النهاردة.. طيب يالا أساعدك نجهز حاجاتك، هتخرجي من هنا على فين؟

- هطلع على بيتي اللي اتجوزت فيه، جورج سابهولي وهقعد فيه وعايزاكي تقعُدي معايا..

- هزورك في بيتك، ونقعد سوا ماتقلقيش.

- أخيرًا هنخرُج سوا، وهنروح للبحر زي ما أنتي حابة يا رحمة!

- أيوة.. بس لما تتحسني شوية، وتتعودي على الرجل الصناعية.

- موافقة، بس النهاردة هتروحي معايا على بيتي، وتقعُدي معايا.

- عندي شُغل أنتي عارفة.

إيريني وقد بدا عليها الحُزن: مش هعطلك على شُغلك صدقيني.

- بس مُمكن أستأذن ساعتين عشان خاطر إيريني.

إيريني بفرحة شديدة: بجد هتيجي معايا وتقعُدي شوية!

- آه يلا بينا نجهز الحاجات، عشان ناخُذ إذن الخروج ونروح.. عُقبالكُم يا بنات.

أسماء: هتوحشونا كتير، يارب نفسي أخرج أنا كمان.

رحمة: قريب يا حبيبتي إن شاء الله.. "وبشر الصابرين"

خرجت رحمة وإيريني، كان منزل إيريني غاية في الجمال وبه حديقة..

ففتحت رحمة الباب لإيريني بالمفتاح قائلة: بسم الله الرحمن الرحيم.. السلامُ علينا من ربِنَا

- ده دُعاء عندكُم!

- آه أول ما ندخُل البيت ومايكونش فيه حد نسمي الله، ونسلم على أنفُسنا.

- آه، وأنا أرُد عليكي السلام، وعليكُم السلام ورحمة الله وبركاتُه

فابتسمت لها رحمة عن جميل تصرُفها وردها قائلة لها: جميلة أنتي والله.

مر الأسبوع وجاء يوم الجُمعة مرةً أُخرى، أخرجت رحمة الأجهزة، ففتحت التلفاز على القُرآن، لم يكن هناك غيرها بالطابق التاسع كُله! أرادت شُرب الماء ولكنها مشغولة في الرد على تليفون المستشفى واستقبال الحالات، وفجأةً وجدت بجانبها كوبًا بلاستيكيًا شفافًا به ماء! فابتلعت ريقها فجعة وحدثت نفسها قائلة: بسم الله الرحمن الرحيم.

ثم تحدثت وكأنها تُحدث العفاريت: شكرًا والله، أنا هقوم أشرب بنفسي.

فقامت بالاتصال بالكافيتريا: السلام عليكُم الكافيتريا معايا؟!

- آه يافندم، اتفضلي.

- عايزة واحد شاي بلبن و٢ بسكويت لمبادا شيكولاته.

- حاضر يافندم، فين؟

- معاك رحمة في الرمد.

ذهبت رحمة إلى الخلاء تتوضأ استعدادًا لظُهر الجُمعة، وعندما خرجت وجدت على مكتبها صنية بها ما طلبت، فحدثت نفسها قائلة: إيه ده؟ هُم جابوها بالسرعة دي؟ دول كُل مرة يتأخروا! طيب ليه البنت ماستنتش عشان أديها الفلوس؟ أكيد هترجع تاني..

وبعد أن أنهت فطورها، وجدت فتاة الكافتيريا "نادية" جاءت بطلبها..!

رحمة: أنتي روحتي فين يابنتي، كده تسيبي الحاجة وتمشي من غير ماتاخدي فلوسك؟

- فلوس إيه؟ رحمة أنا لسه جاية دلوقتي وجايبه الأوردر بتاعك، معلش اتأخرت عليكي أنتي عارفة الصبح والجمعة بالأخص ببقى شغالة لوحدي فببقي مضغوطة.

- نعم؟ أومال مين اللي جابه؟!

مُمكن زينب الجديدة أو أي حد، شوفي كده؟

- لا يا حبيبتي أنا اللي ماسكة الأوردر بتاعك، وأهو معايا ومافيش غيري شغال الجمعة!

- يا بنتي بقولك لسه جاي، وأكلت وشربت شاي بلبن وبسكويت لمبادا شيكولاته!

- الكافتيريا مافيهاش لمبادا شيكولاته من امبارح الصبح، حتى أنا جايبالك في الأوردر بسكويت أولكر ساده عشان مافيش غيرُه.

- طيب اتصلي بالكافتيريا يمكن حصل لخبطة بينكُم..

اتصلت نادية بالكافتيريا وسألتهم أمام رحمة، وأخبروها أنهُ لم يذهب أحد إلى الطابق التاسع مركز الرمد بعد، إلا نادية مسئولة الأوردر الخاص برحمة!

نادية: ارتاحتي؟ بس مين اللي جابلك الحاجة اللي بتقولي عليها؟!

تذكرت رحمة كلمات عم عادل النقاش عندما أخبرها بأن العفاريت أحضروا لهُ عُلبة سجائر عندما كان بحاجة لها وظنت أنه يمزح ليُخِيفها، فضحكت قائلة لها: اتكلي على الله وسيبي الحاجة..

وظلت تضحك ضحك هستيري مُخيف ولاتتوقف..

نادية: أنتي كويسة؟

رحمة: أنا زي الفُل، ده مافيش حد قدي.. كوبايتين شاي بلبن على الصُبح! روحي أحبيبتي شوفي شُغلك..

قد علمت رحمة من أحضر طلبها فتبسمت قائلة: كمان كُرماء.. وبتكرموا الضيف يعني حاجة ما شاء الله.. إن شاء الله على الغداء عايزة بطاطس سوري من عروس دمشق وتكون سبايسي بقى الله يخليكوا.

أنهت رحمة يومها بسلام، ويوم السبت عندما ذهبت إلى العمل كان هُناك ازدحامًا شديدًا نظرًا لوجود استشاري فإقبال المرضى كبير، كانت إسراء زميلة رحمة أجازة فعملت رحمة بمُفردها وكان يومها شاقًا. انتهى اليوم وذهبت رحمة لتسليم يوميتها (الشيفت) للحسابات العامة لمحمد الملاواني، وقد أخر رحمة إلى الثانية عشر والنصف صباحًا لتعديل الشيفت وإضافة حالة. وفي اليوم التالي في فترة الغداء تحدثت رحمة مع إسراء، وكمال مسئول الكاميرات، وبنات العيادة هدير، ونجلاء..

إسراء: رحمة روحتي امتى امبارح؟

رحمة: ١٢.٣٠

كمال: كتير يا بنتي ومشيتي في الليل لوحدك؟

رحمة: أعمل إيه؟ الملاواني فضل يطلب مني حاجات وأخرني.

هدير: أنتي ماروحتيش بعد ماخلصت العيادة؟

رحمة: لأ.. قفلت الشيفت، وحذفت الحالات اللي استردت فلوسها، وفي عمليات ضفتها طلبها مني محمد الملاواني وكان في حالة شركات ماتسجلتش خلاني أرجع أسجلها، والسيستم كان واقع.

نجلاء: أنتي اللي بتفضلي تاخدي حالات وبتأخرينا كُلنا، رغم إن الدكتور بيوقف أخذ الحالات!

رحمة: بيصعب عليا الناس.. بيكونوا تعبانين جدًا يا بنتي، هو عشان انتوا تروحوا بدري نهمل حق الناس!

كمال: البت دي متمرمطه هنا والله.

رحمة: آه والله.

فغنت رحمة قائلة:

تعبت يانا يانا، في الشغل زهقانة

والضغط بقى عليا كتير

كان مالي بالمجرة، والحالة واقفه بره

دخلوني طوارئ على طول

يا فندم أسفة الدكتور اكتفى

يا بنتي بالله عيني بتنطفي

دخلوها وهاخُذ أنا القفا

روحي يا بنتي الله يراضيكي..

أحلى دعوة وأحلى مسا

كُل اللي معايا ناس فُلة كويسة

يومي خلص.. وهسلم شيفتي للملاواني

يبص فيه ويقول ارجعي بيه تاني

شيفتك محتاج تعدليه..

مالهُ يا محمد هو فيه إيه؟

في إيصال شركات مش متسجل

طب ينفع لبُكرة نأجل!

لأ..

أوكيه

آه!

إيه؟

عندي أمانات، لحالات عملت عمليات، باسم عزيزة ومنصور

يلدغك ميت دبور

إيه؟

اسم الله عليه.. سلامتك

اطلعي يالا

حسبي الله

الوقت أتأخر بيا

والدُنيا مضلمة عليا

رجعت بيتنا بعد عذاب

دخلت وقفلت الباب

لقيت على مكتبي كتاب

الطيبون للطيبات.. الطيبون للطيبات.

انبهر الجميع بالذي قالته رحمة، وصفقوا لها بعدما حكت لهم وهم في فترة الغداء ما حدث بأغنية وأداء مميز، وقامت بتمثيل شخصية محمد الملاواني وطريقتهُ في الكلام بتعبيرات الوجه وروح الدُعابة التي أضحكت الجميع واستمتعوا بها.

في صباح اليوم التالي ذهبت رحمة لزيارة إيريني في منزلها، رحبت إيريني بها وفرحت بقدومِها، تناولن الفطور التي أعدتهُ رحمة..

رحمة: يالا جهزي نفسك عشان نروح نزور أسماء ونورا.

- حاضر هروح أطلع العربية من الجراچ.

- عربية إيه؟ هتسوقي إزاي ورجلك!

- عادي أنا أصلاً بسوق برجل واحدة، والرجل الصناعية هتساعدني.

- ربنا يستُر.

ذهبت الفتاتان سويًا لزيارة أسماء ونورا، وفرحن بقدومهما..

رحمة: غرفتي كُل مرة باجي ألاقيها فاضية النهارده فيها حد!

نورا: آه دي بت شكلها كده حامل، مش بتكلم حد خالص وماحدش بيزورها نهائي، اسمها زينب.

رحمة: الله يقومها بالسلامة يارب.. معقولة ماحدش بيزورها خالص؟ هحاول أزورها أنا.

إيريني: خُديني معاكي.

نورا: وأنا كمان هاجي معاكي.

أسماء: أنا جاية معاكوا.

تبسمت رحمة لرقة قلوبهن، وذهبت ومعها الفتيات إلى غُرفة زينب، وطرقت الباب، لكن لم تُجب زينب لتأذن لهُم بالدخول!

رحمة: إيه الوضع دلوقتي ندخل ولا لأ؟! أنا شايفة إنهُ مادام مأذنتش بالدخول يبقى نرجع.

إيريني: ماشي بس يمكن حصل معاها حاجة لازم نطمن بردوا!

دخلت الفتيات إلى غُرفة زينب، فوجدوها تقف أمام الشباك شاردة لا تُجيب على أحد ولا تنطُق بكلِمة، وكانت بطنها كبيرة..

رحمة: زينب انتي كويسة؟! أنا رحمة كُنت قبلك هنا في الغُرفة وخرجت الحمد لله، عقبالك أنتي كمان تخرُجي بالسلامة.

زينب: أنا مش هخرج من هنا غير على المقابر!

تعجبت الفتيات من قول زينب، وفي نفس الوقت فرحن أنها تحدثت!

رحمة: ماتقوليش كده بعيد السوء عنك، إن شاء الله تطلعي أنتي وطفلك وتكونوا بخير.

نظرت زينب إلى رحمة قائلة: طفل مين! أنا مش حامل!

صدمت رحمة والفتيات، وأخذت كل واحدة تسأل في نفسها عن كبر بطنها بلا حمل!

رحمة: أسفة ماكُنتش أعرف سامحيني، قوليلي أقدر أساعدك بإيه؟

- ماحدش هيقدر يساعدني خلاص.

- خلي عندك أمل في ربنا ما تيأسيش.

نظرت زينب إلى رحمة، وقد سقطت الدمعة من عينيها، فرَبتت رحمة على كتفيها ورأسها قائلة: احكيلي وأنا هساعدك بكُل اللي أقدر عليه..

فبدأت تقص قائلة: اتقطعت عني الدورة مُدة طويلة، وبطني فجأة بدأت تكبر بشكل غريب، أبويا شك فيا واحنا صعايدة وعارفة يعني إيه صعايدة، قعد يضرب فيا جامد إني أعترف حصل معايا إيه؟ أقوله مفيش حاجة

حصلت معايا، يرميني على الأرض ويضربني على بطني جامد لحد مازهق مني وماوصلش لنتيجة، فأخذني وجاب عربية ميكروباص كبيرة وجاب معاه إخواتي وعيال عمي وعمي وكُلهُم في حدود ١٣ شخص، وراحوا بيا المُستشفى، وكانوا ملبسني أسود من أولي لأخري! وفضل يصرخ بصوت عالي: فين الدكتور اللي هنا؟

وجه الدكتور وشدني أبويا من دراعي جامد، وطلع من جيبُه سكينة وقال للدكتور: شوفلنا البت دي لو حامل أنا هدفنها تحت رجليها هنا، ولو مش حامل اعرفلنا ليه الدورة مابتجلهاش وليه بطنها بتكبر؟ قاله طيب طيب استريح هنا هنكشف عليها ونبلغك، كانوا عاملين زُعر ليا وللمُستشفى كُلها.. أخدني الدكتور وكشف عليا وطلع عندي عيب خُلقِي اسمه الغِشاء المُغلق، وكعيب خُلقِي محصلش فيه الفتحة الطبيعية اللي بتحصل مع تطور البنات، أول مرة جاتلي الدورة كان وقتها عندي ١٦ سنة، ففضلت تجيلي الدورة بس مش بتنزل بشكلها الطبيعي بقالها أربع أو خمس سنين وبعدها انقطعت، والسبب إن الدورة بتتخزن جوة البطن! ملت الرحم، وملت الأنابيب، وطلعت على "البرتون" اللي هو الغشاء البرتوني الموجود في تجويف البطن، وكُل ده بطني عماله تكبر ومش بتجيلي الدورة فلما أبويا سأل أمي عن اللي بيحصلي قالتله ماعرفش، ولما جيت المُستشفى كُنت سُخنة، ساعتها الدكتور قال لأبويا إن لازم نحجزها عندنا ونعملها عملية صغيرة جدًا هنفتح بيها الغشاء، فالأول لازم تتعافى ونعملها العملية وهتبقى كويسة وتاخدها وترجع، بنتك زي الفُل ماتخافش ياحاج ماحدش لمسها خالص، قاله هتعملها العملية إزاي؟

قاله هنفتح الغشاء ونعمل تصريف للدم، والدنيا هتبدأ ترجع شوية شوية، أبويا قاله وفي ليله دُخلتها هتجيب الشرف؟ هتنزف وتجيب المنديل اللي عليه الدم؟ الدكتور قاله لأ، الحقيقة بعد العملية دي مش هيبقى فيه

كده، بس احنا هنديك شهادة إنها كان عندها الحالة دي.. فقاله لأ!

رد الدكتور قاله: البنت داخلة في تسمم دم وهتموت! قاله: تموت بس بشرفها، قاله: هتسيب بنتك تموت واحنا في إيدنا علاجها! قاله: آه تموت، إنها ماتجبش شرفها يوم دُخلتها ده عندنا مُصيبة كبيرة تتطير فيها رقاب! قاله: بنتك هتموت! قاله: خليها تموت..! ومارضاش يمضي على الإقرار إني أعمل العملية واتحجزت في المُستشفى وسابوني.. وقال للدكتور: خليها عندكُم لحد أما تموت ابقوا ادفنوها! وبقالي أسبوع هنا وماحدش سأل عني حتى مُت ولا لسه عايشة..!

سمعت لها رحمة، والفتيات بحزن، تحسرن وتألمن على ما مرت به زينب، وقسوة أبيها الذي لا يعرف للرحمة بابًا، ولا يراعي حق الله في ابنته!

رحمة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اصبري وصابري هتعيشي بإذن الله يا زينب.. احنا هنا كُلنا معاكي وجمبك بعد الله سُبحانه وتعالى.

حركت قصة زينب مشاعر رحمة، وقامت وتركت الأصحاب فتبِعتهَا إيريني قائلة: رايحة فين؟

- عايزة أشوف الدكتور اللي متابعها.

فسألت رحمة المُمرضات قائلة لإحداهن: لو سمحتي هي زينب اللي في غُرفة ٣٠٧ مين الدكتور اللي متابعها؟!

- دكتور نبيل عبد الصمد.

- ألاقيه فين؟

- هتلاقيه في عيادة النسا تحت، المبنى التاني عند مدخل المُستشفى، بس الحقيه هو بيمشي ١١ وبيرجع تاني الساعة ٤

- يانهار أبيض! مافيش وقت، يارب ألحقهُ..

إيريني: فهميني أنتي عايزة تعملي إيه؟ استني خُديني معاكي..

أسرعت رحمة، وكانت إيريني تحاول أن تصل إليها، حتى وصلت رحمة إلى غُرفة دكتور نبيل ولحِقتها إيريني..

رحمة: دكتور عُذرًا.. أستأذنك عايزة حضرتك في ٣ دقايق بس.

- تحت أمرك.

- حالة زينب.. عايزة أعرف إيه المطلوب لعلاجها أو عمليتها؟

- زينب مين؟

- اللي في غُرفة ٣٠٧ فوق، اللي والدها عايزها تموت وعندها عيب خُلقِي في الغشاء..

- آه آه عرفتها مالها!

بصي هي هتموت

- كُلنا هنموت يا دكتور بس أسباب.. لو عندنا علاج ليه نفرط فيه؟ وليه ما ناخُدش بالأسباب؟

- والدها رفض العملية.

- حضرتك دكتور، والأمر مش مُتعلق بوالدها ومُتعلق بالإنسانية، لازم نعملها العملية، والدها عايزها تموت بس هي من حقها تعيش..

- معاكي والله وعايز أساعدها.

- يبقى نساعدها ونعمل العملية ونديها حياة، وأنا هاخُدها عندي وأهلها مش هيعرفوا بِها، أنا رحمة زميلتها..

- هاخُدها أعملها العملية أنا ودكتور شاطر بس برة المُستشفى، مش هينفع تتعمل هنا! لإن المُستشفى هترفض إجراء العملية من غير إذن الأهل وتسليم التقرير، تكلفة العملية ١٧ ألف جنية صافي، وأنا كده متنازل عن حقي في العملية عشان الإنسانية يا أنسة رحمة.

- ياه ١٧ ألف!

إيريني: يالا بينا يارحمة نمشي.. الموضوع صعب.

- استني يا إيريني.. لو جبتلك المبلغ هتعملها امتى؟

دكتور نبيل: في وقتها على طول.. هبلغ الدكتور "مشيل حنا" وننقلها على المُستشفى بتاعته، هي جمبنا.

رحمة: هجيبلك المبلغ بإذن الرحمن، عن إذنك يا دكتور ومشكورة جدًا للمُخاطرة اللي هتخاطرها معانا

خرجت رحمة وإيريني، وفي السيارة تحدثت إيريني قائلة: رحمة انتي بتهزري صح! هتجيبي الفلوس دي من أين؟

- اطلعي على المنشية بس.

- حاضر.

- هنروح فين في المنشية؟

- محلات الدهب.

تنظُر إيريني إلى رحمة نظرة تعجب، وعند محل الذهب نزلت رحمة من السيارة وتبعتها إيريني..

رحمة: لو سمحت عايزة أبيع السلسلة دي.

الصائغ: عاملة ١١ ألف.

- تمام.

إيريني: أنتي بتعملي إيه؟ رحمة ده جنان!

رحمة: لو سمحت أقدر أبيع الغويشة كمان!

- آسف ماعنديش سيولة.

- ولايهمك شكرًا ليك.

إيريني: رحمة أنتي بتعملي كده ليه؟ أنتي ماتعرفيهاش حتى!

تنظُر رحمة بابتسامة جميلة هادئة إلى إيريني قائلة: ماكُنتش أعرفكُم برده وبقينا صُحاب واخوات.. ثم إن العمل الطيب الصالح مش بنعملُه للي نعرفوه بس! لأ.. بنعملُه للي نعرفُه واللي مانعرفهوش. لو بإيدك تدي الحياة لإنسان ماتتأخريش، من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا.

- والله انتي رحمة.

- يالا نطلع على محل تاني أبيع الغويشة.

- يالا بينا.

دخلت رحمة محل الذهب قائلة: لو سمحت الغويشة دي عاملة كام؟

الصائغ: ٥٥٠٠

- تمام عايزة أبيعها.

وفي السيارة قالت رحمة: كده المبلغ ١٦٥٠٠، محتاجة ٥٠٠ جنية.. اطلعي على مُستشفى المجرة.

- هتعملي إيه؟

- هاخُد قبضي عشان أكمل المبلغ!

ثم ظلت تحدث نفسها مشغولة الفكر، فنظرت لها إيريني وتبسمت قائلة: كمان قبضك! ليه كُل ده؟ انتي عديتي معنى الإنسانية يا رحمة.

ذهبت رحمة إلى المجرة مقر عملِها، واستأذنت منهُم في سحب راتبها وأخذ اليوم أجازة فسمحوا لها.. خرجت رحمة وكانت تنتظرها إيريني بالسيارة، فأسرعن إلى المستشفى لدفع المبلغ لزينب وإجراء العملية..

رحمة: أنا كده معايا المبلغ وزيادة الحمد لله، تعمل زينب العملية، والمبلغ اللي يفضل نخليه لعلاجها لو كتب الدكتور ليها علاج، بس بعد ما تعمل العملية وتخف أخُدها عندنا البيت إزاي؟

- ماتقلقيش هناخدوها عندي، أنا في البيت وماعنديش حد انتي عارفة، وشنودة سافر خلاص عشان شُغله، فخليها عندي، هتعملي كُل حاجة لوحدك!

- ربنا يجعلُه في ميزان حسناتك.

- انتي اللي ليكي الحق في أخد كُل الحسنات.

كانت رحمة في فرحة عارمة؛ لإنها استطاعت تجميع المبلغ المطلوب لإجراء عملية زينب، وصلت إلى المستشفى الساعة الرابعة والنصف مُتجهة إلى غُرفة الطبيب نبيل، طرُقت الباب، ولم يُجب أحد، فسألت المُمرضة: لو سمحتي هو دكتور نبيل فين؟

- فوق في الدور الثالث غُرفة ٣٠٧

إيريني: ده عندنا.. قصدي في الدور بتاعنا عند زينب!

رحمة: كويس أوي خلينا نروح..

وصلت رحمة غُرفة زينب والفرحة تملأ وجهها، وقبل أن تدخل رأت ظهر الطبيب فاتجهت إليه مُباشرةً في فرحة عارمة قائلة: دكتور دكتور ال..

وبعدها نظرت إلى من بالغُرفة، فوجدت نورا وأسماء والطبيب واثنين من المُمرضات، وزينب نائمة والكُل في صمت، نظرت لمن حولها فلم ينطق أحد، لا أحد يُحدثها، تلعثمت رحمة في الكلام ولم تستطِع إخراج كلمة والرعب قُذف في قلبِها.. شهيق وزفير وكانت تلتقط أنفاسها بصعوبة، رعشة في أطرافها، خائفة، حاولت أن تُصرف الشعور الذي بداخلها، فأخرجت المبلغ المالي من حقيبتها ودقات قلبها في سرعة متزايدة قائلة: دكتور اتفضل الفلوس أهي أعمل لزينب العملية..

- مافيش عملية.

رحمة بخوف: مافيش إزاي؟ حضرتك قولت لما أجيب الفلوس هتعملها في نفس الوقت! يالا دكتور أرجوك..

- رحمة أهدي.. زينب ماتت.

وقعت الكلمة على رحمة كالصاعقة! فسقطت أرضًا على رُكبتيها، فاضت أعيُنها من الدمع وسقطت الأموال على الأرض..

قالت: لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، سُبحان الحي الذي لا يموت. بكت واجتمع حولها الأصدقاء، عانقوها، وقدم الطبيب العزاء لرحمة، واغرورقت عيناه بالدموع قائلاً: رحمة انتي عملتي اللي عليكي والروح بإيد ربنا.. أنا حقيقي فرحان إن في صداقة بالشكل ده وحب عظيم كده، انتوا تعرفوا بعض من كام سنة؟!

رحمة بكُل حُزن وشرود: النهاردة الصُبح.

- إيه؟ النهاردة إزاي مش فاهم! وعملتي كُل ده عشانها!

رحمة: الإنسانية يا دكتور.. اللي اتعلمناها من عظمة دينا، عظمة رسولنا.

- صلِّ الله عليه وسلم، صدقتي والله، ربنا يبارك في أمثالك، نعم الخُلق.. البقاء لله يا رحمة ربنا يرحمها.

- ربنا رحمها فعلاً ونجاها من عالم قاسي ظالم مُفتري، رحمة الله عليكي يا زينب، رحمة الله عليكي يا حبيبتي، هنيئًا لكِ جوار الرحمن إله الرحمة كُلها..

تبسمت رحمة ابتسامة تكسوها الدموع، ثم قامت، وجمعت نورا الأموال وحملتها من على الأرض، ووضعتها في حقيبة رحمة، هَمت رحمة بالذهاب فقالت لها نورا: رحمة خليكي معانا شوية؟

- لأ.. لازم أمشي مش حابة أقعد هنا.

إيريني: أنا جاية معاكي.

- لأ.. ماتجيش معايا، ولا عايزة حد خليكي هنا أنتي تعبتي معايا النهاردة.

- مش هينفع أسيبك، أنا مش تعبانة، مين قالك كده؟

- إيريني أرجوكي ماتجادليش كتير وخليني أمشي..

- طيب وغلاوة الرسول محمد آجي معاكي.

تنهدت رحمة قائلة: يا الله.. عليه أفضل الصلاة والسلام.

فوافقت رحمة، فمن يذكر سيرة النبي محمد ﷺ أمام رحمة فأي رغبةُ لهُ تُلبى، وكانت إيريني تعلم بذلك فدائمًا تستغل هذا الأمر إذا أرادت أن تجعل رحمة توافق على أمر تُريده.

وبينما هما في السيارة قالت رحمة: وقفي العربية!

- ليه؟

- عايزة أقعُد قُدام البحر شوية.

- يالا بينا اللي تؤمري بيه.

جلست رحمة وإيريني أمام البحر، وبعد مُدة قصيرة قالت إيريني: بتفكري في إيه؟

- خُديني لُمحرم بك.

- محرم بك!

- آه.

- حاضر.. بس ليه؟

- حاجة عايزة أعملها..

قامت رحمة وإيريني بعد جلستهن الهادئة على البحر، وذهبت إيريني بالسيارة حيث أرادت رحمة..

رحمة: هنا.. نزلينا، على مهلك وانتي نازلة.

- حاضر.. إيه المكان ده يا رحمة؟ والبيت الغريب ده!

- ده يا ستي بيت الحاجة زينب.

- الحاجة زينب مين؟

طرقت رحمة الباب، ففتحت سيدة عجوز مُسنة قائلة: رحمة! بنتي حبيبتي، اتأخرتي عليا ليه؟!

وأخذت رحمة بين ذراعيها، عانقتها وقبلتها بشوق شديد.

- إزيك يا أمي، حقك عليا.

- ادخُلي.. ادخُلي.

- بُصي جايبالك خبر حلو.

- الوش الحلو ده مايجيش من وراه غير كُل حاجة حلوة.

- قلبك هو اللي حلو يا ست الكُل، بصي كان نفسك تطلعي عُمرة صح!

- أوي أوي يا بنتي، نفسي أزور النبي ﷺ.

فبكت رحمة شوقًا لرسول الله ﷺ قائلة: عليه أفضل الصلاة والسلام.. وأنا والله نفسي أزوره، بُصي أنا هاخدك دلوقتي ونروح نحجزلك عُمرة شهر رمضان الكريم، ونخلص كُل الأوراق المطلوبة بإذن الله.

فنظرت إيريني باستغراب شديد إلى رحمة، كانت متعجبة من كل ما تفعله!

الحاجة زينب: انتي بتتكلمي جد! أنا هروح الكعبة وأبوسها وأدعي عندها!

- أيوة بجد.

- وغلاوة سيدنا مُحمد عندك بتتكلمي جد؟!

- جد الجد ورب سيدنا مُحمد عليه الصلاة والسلام.

الحاجة زينب فرحت، وظلت ترقص كالأطفال قائلة: هعمل عُمرة، هعمل عُمرة، يا كريم يارب.. عارفة يا رحمة! أول ما هشوف الكعبة هدعيلك، أول دعوة مُستجابة وانتي تستاهليها تحبي أدعيلك بإيه؟!

- أن يرضى عني الله، ويرزقني صُحبة رسوله في الفردوس، لو رضي عني أرضاني وأنعم عليا بطاعتهُ وعبادتهُ وخيرهُ ورحمتهُ، وهل فيه بعد رضا الله أماني؟!

- ليكي عندي أدعيلك اللي طلبتيه، والباقي أنا هدعهولك بظهر الغيب.

- حبيبتي يا حاجة يا جميلة.. الله يرضى عنك.. مُمكن أبقى طماعة وأطلب دعوات تاني؟

- طبعًا يا حبيبتي.

- ادعي لأمي وأبويا وأخواتي، ولزينب صديقتي إن ربنا يرحمها لسة متوفية من شوية، وادعي لإيريني وأسماء ونورا صحباتي بالشفاء والعافية والهدايا، هبقى أكتبهُملك في ورقة عشان ماتنسيش.

فأدمعت عين إيريني حينها..

الحاجة زينب: ربنا يرحمها، حاضر هدعيلكُم كُلكُم، بس انتي كُنتي عايزة تطلعي عُمرة ونفسك تزوري الكعبة ومسجد الرسول ﷺ وتصلي فيهُم! ليه هتطلعيني أنا؟

- كُلها أقدار، لسه ربنا مأذنش أطلعها، أنتي أولى بيها يا حبيبتي.

ذهبت الفتاتان ومعهما الحاجة زينب؛ لإنهاء الأوراق المطلوبة للسفر، وبعد الانتهاء أوصلتها رحمة إلى منزلها وودعتها.

إيريني: ليه عملتي كده؟ كان أولى بالفلوس دي تشغليها حتى في تجارة ولو بسيطة!

فنظرت رحمة إلى إيريني بابتسامة رضا قائلة: ما أنا شغلتها في تجارة فعلاً!

- مش فاهمة تجارة إزاي يعني؟

- تجارة مع الله.. أفضل وأجمل تجارة، ثمرتها في الدُنيا والآخرة.

- انتي رحمة، وفوق الرحمة رحمة.. هو ده إسلامكُم!

- إسلامنا مايتحكيش عليه، إسلامنا مُعاملة، إسلامنا عزة ورفعة، الإسلام نعمة عظيمة من ربنا علينا كُلنا يا إيريني.

- طيب ماطلعتيش انتي ليه وانتي حابة تعملي عُمرة ونفسك فيها! كُنتي أنتي أولى..

-ماينفعش.. محتاجة مِحرم.

- إيه مِحرم ده؟

- يعني مثلاً بابا، أخويا، زوجي.. أي حد من دول اسمهم محارم، وأنا ماعنديش زوج، وبابا أو أخويا عشان يطلع حد منهُم معايا يبقى لازم نوفر نفس المبلغ ليه، وده صعب جدًا حاليًا، احنا ناس بسيطة وعلى قدنا..

- كُنتي انتي وأهلك أولى بالفلوس دي طيب!

- ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

أنا وأهلي لينا بعض، إنما هي مالهاش حد بعد الله، ودي حاجة هتفرحها.. علمنا الحبيب مُحمد ﷺ أنه من أعظم الأشياء وأحبها إلى الله سرورٍ تُدخلهُ على مُسلم من خلال حديثهُ النبوي الشريف..

قال رسول الله ﷺ: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجه حتى يقضيها له، ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام.

كانت إيريني تستمع لما تقولُه رحمة، وكأنها تستلذ طعم الدنيا، يراودها شعور ما لم تعرفه من قبل! يشعر قلبها بنوع من السعادة لم تتذوقه يومًا من عُمرِها، فابتسمت وحدثت نفسها قائلة: عظيم دين الإسلام، عظيم برسالتُه، عظيم بنبيه، عظيم ببشر زي رحمة يكونوا رحمة للي يعرفوهُم، أنا حبيت الرسول مُحمد بسببك يا رحمة!

وأثناء قيادة إيريني للسيارة قالت لرحمة: عرفتي الحاجة زينب من أين؟

- من كُلية تجارة.

- كُليه تجارة! إزاي؟

رحمة: كُنت في الكلية بسأل على الدراسات العُليا، ولمحتها بتطلع السلم بصعوبة فسندتها، ووصلتها للمكان اللي هي عايزاه، واتأخرت على شُغلي عشان خاطرها، وقعدت تتكلم معايا وتحكيلي وتدعيلي، وعرفت إنها ماالهاش حد، والناس اللي هناك بيساعدوها باللي فيه النصيب، عرفت بيتها وبقيت بزورها، وبقسم الراتب بتاعي بينها وبيني، وبشتغل شفتات زيادة في المُستشفى عشان أقدر أوفي حقها هي وغيرها من الناس..

- يا الله.. يا الله يا رحمة.

بكت إيريني، لم تستطِع أن تُخفي دمعتها هذه المرة فقد سقطت منها خِلسة، ولكن رحمة لم ترها فكانت تتحدث وهي تنظُر من نافذة السيارة!

رحمة: راحت الفلوس لزينب برده، بعت الذهب لعمليتها، ويشاء الله إن الفلوس تطلع لعُمرة الحاجة زينب!

- سُبحان الله.. عارفة يا رحمة بحس وأنا معاكي بانشراح في صدري، وبشعور مش عارفة أوصفه بس هو جميل.. جميل أوي. نظرت إليها رحمة وأمسكت يدها وابتسمت، وفي داخلها تدعو بأن يشرح صدرها للإسلام..

- إيه الابتسامة الحلوة اللي كُلها رضا دي؟ دعيتيلي في سرك أكيد صح؟

تمزح معها رحمة: مالكيش دعوة.

- عشان خاطري، وغلاوة الرسو....

فقاطعتها رحمة قائلة: أوعي تحلفيني.. قدام شوية وعد مني هقولك دعيتلك بإيه، كُله بأوانهُ.. يالا عايزة أروح وأنام، ارجعي انتي على البيت وأنا هشتري حاجات وأروح، والصبح كلميني طمنيني عليكي.

- حاضر يا قلبي.

بعد يومين رن هاتف رحمة وهي نائمة..

نورا: ألو رحمة أنا اتكتبلي خروج، هخرج النهاردة أنا فرحانة أوي.

فرحت رحمة لما سمعته قائلة: إيه الصباح الجميل ده! وأنا كمان فرحانة أوي ليكي، هجيلك النهاردة أنا وإيريني وناخدك يا جميلة.

- مستنياكوا.

وصلت رحمة إلى المستشفى مع إيريني، والتقى الأصدقاء الأربعة، كن لا يعرفن بعضهن البعض، جمعت بينهن المستشفى، وسبحان من سبب الأسباب وألف بين قلوبهن فصرن أصدقاء حبيبات.

رحمة: أنا مبسوطة بيكُم وبإرادتكمُ على تقبُل العلاج، كدة فاضل أسماء وأنا مُتأكدة إنها قريب هتطلع، وهنكون سوا مع بعض.

بكت أسماء مُتأثرة قائلة: هتسبوني لوحدي!

رحمة: أنا سيبتك برده من يوم ما خرجت من هنا أنا وإيريني! مش بنيجي نزوركُم انتي ونورا! هنيجي احنا الثلاثة نزورك لحد ما تُخرجي وتبقي

وسطنا، وناكل آيس كريم على البحر كُلنا.

فابتسمت أسماء ابتسامة عريضة مليئة بالفرح قائلة: يارب، نفسي يجي اليوم ده.

- ربنا قادر على كُل شيء.. إيه أخبار التحاليل والنتيجة؟

- هتفرحي جدًا خُدي أهي، ورق التحاليل جمب السرير، النسبة بتقل.

- ما شاء الله، تبارك الله، ربنا يشفيكي ويعافيكي يارب.

نورا: هتوحشيني يا أسماء، أما رحمة وإيريني مش هسيبهُم أبدًا.

إيريني: ولا احنا هنسيبك أبدًا.

وفي اليوم التالي نزلت رحمة باكرًا، وعملت طوال اليوم دوريتين (شفتين) صباحًا ومساءً، بدأ الشيفت الثاني.. وفي لحة رأت رحمة الثُعبان الأسود في الخَزينة عند إسماعيل، ففتحت عيناها في خُوف قائلة: شكلها كدة في حاجة مش كويسة هتحصل! وكانت هي وزميلتها إسراء في حاجة إلى فك أموال لإعادة الباقي للناس، فنزلت رحمة إلى إسماعيل قائلة: السلام عليكُم، إسماعيل إزيك؟ ثم أخذت تنظُر يُمنةً ويُسرى بحثًا عن الثُعبان!

- الحمد لله، انتي عاملة إيه؟ دقيقة وهفُكلك اللي انتي عايزاه.

- إيه يابني اللي أنت عاملُه ده؟ في حد يطلع الفلوس كده على الملأ! ومالك متوتر ليه؟ هو مش المفروض إن الفلوس بتتورد على طول للبنك!

- متوتر جدًا فعلاً.. آه المفروض بتتورد للبنك، بس البنك وقف الحساب وبيقول في مشاكل!

- إزاي يعني ومشاكل إيه؟ هو لو فيه مشاكل البنك هيقولك ماتبعتلناش الفلوس! ده غرض البنك جمع أموال.. يعني لو فيه مُشكلة عندُه

هيحاول يعالجها من غير ما يقول للعميل ويوقف مورد مُهم زي المجرة، هو مين قالك كده؟

- مجاهد.. مجاهد اللي قالي إن البنك مش هياخد من المجرة فلوس غير لما يراجع حسابها.

- مجاهد! وأنتَ مصدق اللي بتقولُه ده؟ مُقتنع!

- قصدك إيه؟

- ماتكلم البنك أنتَ وشوف الدنيا!

- هتصل بيهُم.. بس أفُكلك الأول عشان ما أوقفكيش على الفاضي وتطلعي لشُغلك.

- ماتشغلش بالك، كلمهُم الأول بس بسرعة، وأنا هستناك أطمن وبعدها أطلع عشان سايبة إسراء لوحدها فوق.

اتصل إسماعيل بالبنك، وكانت رحمة تنتظره..

إسماعيل: ألو البنك الأهلي المصري معايا!

- أيوه يا فندم مع حضرتك..

- عايز أستفسر عن حساب المجرة!

- بخصوص إيه يا فندم؟

- بخصوص إن الحساب واقف أو فيه مُشكلة!

- لحظة واحدة يا فندم خليك معايا..

أبعد إسماعيل سماعة الهاتف عنه، وتحدث إلى رحمة قائلاً: معلقني تقريبًا بيبحث..

- شغل الإسبيكر خليني أسمع كدة!

- ألو أيوه يا فندم حضرتك معايا؟

- أيوة مع حضرتك..

- الحساب شغال عادي جدًا يا فندم مافيش حاجة واقفة، الهجرة ماوردتش أي مبلغ من أسبوع كامل!

- أسبوع كامل! تمام شُكرًا جدًا ليك.

- تحت أمرك يا فندم شرفنا اتصالك.

إسماعيل: رحمة انتي عندك حق.. البنك مش موقف حسابنا.

- في إنّة في الموضوع!

- قصدك مجاهد مخبي علينا حاجة أو بيخطط لحاجة!

- الله أعلم، بص احنا لازم نخبي الفلوس دي بسرعة ماينفعش تكون باينة كده، في حاجة بتحصل مش مظبوطة.

- ماتقلقيش، في كاميرات.

- مش مريحني موضوع الكاميرات ده!

نظرت رحمة إلى الكاميرات، فصعدت فوق المكتب وقامت بتغطيتها..

فقال لها إسماعيل: بتعملي إيه! ليه بتغطي الكاميرات؟!

حدثته بصوت مُنخفض قائلة: إسماعيل في كاميرات تاني هنا؟!

- لأ.

- قوم بسرعة نفضي صندوق الزبالة اللي عندك على الأرض.. مجاهد

ماجاش النهاردة ولا الصُبح كمان صح؟

- آه فعلاً عرفتي من أين؟

- أنا شغالة شفتين، من الصبح وأنا هنا، ولما نزلت أفُك مالقتهوش، ولما سألت قالولي مجاش.

- يعني إيه؟

- يعني يا إسماعيل لو مجاهد ليه طرف في اللي بيحصل وصح اللي بتقولُه في إنهُ قالك البنك موقف الحساب، وده ماطلعش صح يبقى النهاردة من المحتمل تنفيذ الخطة، لإنه مش من الناس اللي بتاخُد أجازة أبدًا! هتفضل تسأل كتير قوم بسرعة فضي الصندوق.

- طيب فهميني هتعملي إيه؟

- هننقل الفلوس كُلها هنا، ونغطي الفلوس بالورق والحاجات دي المرمية في الزبالة.

- فكرة كويسة يالا بينا.

- الحمد لله خلصنا، شيل الغطاء من على الكاميرا بقى..

- أشيل الغطاء ليه؟

- بعدين هتفهم.. فُكلي يالا الفلوس.

إسماعيل بصوت مُنخفض: هنعمل إيه؟

- لازم نبلغ المُدير المالي، وأنا هطلع أدورعليه وأبلغه لإنه مش في المكتب، وأنت خليك جمب الخَزينَة أوعى تسيبها وتطلع تمام!

- أنا قلقان جدًا واترعبت.

- لا ماتخافش، اجمد كده ربنا يستُرها..

خرجت رحمة من الخَزينَة؛ وهي غُرفة صغيرة بداخل غُرفة الموارد البشرية، وفي طريقها للخروج إذ بمجموعة أفراد يقتحمون المكتب! أغلقوا الباب، وقاموا بتعطيل الكاميرات، كانت رؤوسهم مغطاة بقبعة طبية، ووجوههم بكمامات، ويرتدون بالطوا طبي ولا يُرى إلا أعيُنهم، ويتحدثون بصوتٍ غريبٍ وعالي!

أحد أفراد العصابة: كُل واحد كده بالذوق يترزع مكانه، وماحدش يحاول يتحرك أو يتنفس، ماسمعش صوت.

ارتعب الجميع، وحاول أن يفهم أستاذ مروان مُدير الموارد البشرية ماذا يحدُث قائلاً: مين انتوا وعايزين إيه؟

- إخرس وماسمعلكش صوت!

وكان يُنادي زعيم العصابة "كاواكا" بربط كُل من بالمكتب. وكان كاواكا طويلاً، شديد النحافة، حاولت رحمة التسحب والخروج!

فأمسك بها قائلاً: رايحة فين يا أمورة؟

رحمة بغضب ونظرة حادة لهُ: ابعد إيدك عني.. عايزة أرجع شُغلي.

- مافيش شغل يا حلوة، أقعدي هنا.

- قولتلك ابعد إيدك عني، أنت مين؟

رد عليها بسخرية: حمو أمين، أوعبدُه شاهين.

وظل يضحك ضحكات استفزازية..

- ده أنتَ عايزلك تنين ينفُخك حبتين.

دفع رحمة بعيدًا بعدما أخرستهُ بكلامِها، فصمت عن الضحك والاستهزاء. دخل بعض منهُم الخَزينَة لإسماعيل..

كبير العصابة: طلّع يا شاطر الفلوس كُلها الموجودة.

- مافيش فلوس في الخَزينة، الفلوس اتوردت للبنك.

كبير العصابة بضحكة ساخرة: الفلوس مارحتش البنك من أسبوع يا روح أُمك!

رحمة: وعرفت من أين يا أستاذ لص؟

- دي لعبتنا.. واسكتي خالص شكلك لمضة!

أوقع رحمة على الأرض، وأوقع الجميع ثم قاموا بربطهم، كان عدد الأفراد بغُرفة الموارد البشرية خمسة أفراد: أستاذ فايز مُدير الشركات، وأستاذ مروان مُدير الموارد البشرية، وجاد موظف شركات، ورحمة، وإسماعيل في الخَزينة. فأخرجوا إسماعيل من الخَزينة وأجلسوه مع زملائه، وكان عدد أفراد العصابة سبعة أفراد، وعندما أوقع رحمة على الأرض سقطت من جيبها زُجاجة الدواء التى أعطتها لها الطبيبة سلوى عندما كانت محجوزة بالمستشفى، وتذكرت حينها أن الطبيبة قالت: قُرص واحد من هذا الدواء كفيل أن يُدخلها بغيبوبة من النوم طويلة عندما تعجز عن النوم، ويُشغلها التفكير فهو سريع المفعول!

وهنا فكرت رحمة في استغلال الدواء لإنقاذ الجميع والتخلص من هؤلاء اللصوص.. تعجبت رحمة من مرور الوقت ولم يحدُث شيء، حتى أنه لم يأتِ أو يعلم أحد بما حدث! فحدثت نفسها قائلة: العصابة دي فاتت إزاي من كاميرات المُراقبة في المُستشفى وماحدش حس بحاجة! وإزاي هجموا مرة واحدة وماحدش لاحظ، حتى لو متخفيين في شكل دكاترة!

وإزاي ماحدش لاحظ تعطيل الكاميرات هنا! تقريبًا في حد متورط معاهُم.

ثم وجهت حديثها إلى كبير العصابة مدبرة مكيدة ما.. قائلة: بقول إيه يا أُستاذ.. هو اسم حضرتك إيه يا فندم؟

- شريف.

رحمة بسخرية: ما شاء الله، اسم على مُسمى!

هو اللي يقولك على مكان الفلوس؟!

- قصدك إيه؟

- بص أنا مُضطهدة هنا باخُد ملاليم وابن مُدير الحسابات واللي ليهُم واسطة هنا بياخدوا بالآلاف! يعني مافيش عدل! أصلاً كلهم فلاحين! يبقى حقي أخده غصب عنهُم.. أهم حاجة في الدنيا الفلوس.. هتاخذ ٦ مليون وهتديني منهم ٢٥٠ ألف بس، طبعًا مبلغ تافه وبسيط بالنسبة للي هتاخُده أنت وعصابتك!

نظر الجميع إلى رحمة وهي تتحدث ولم يتوقعوا منها هذا الكلام، خاصة وقد بدا عليها الجدية.

شريف: وإيه يضمني ويخليني أثق فيكي؟!

تبسمت رحمة ابتسامة ثقة قائلة: مافيش ضمان.. فكر وقولي.

- موافق.. فين الفلوس؟

- الفلوس إسماعيل نقلها مكان برة عن هنا عشان حس إن في خطر وإنكُم جاين!

فصرخ إسماعيل هنا قائلاً: رحمة!

فضربه شريف، ومسكه من قميصه قائلاً: آه يا حقير بتلعب بينا!

فتعجبت رحمة من ردة فعل شريف لإسماعيل، واندفاعه نحوه وكأنهُم يعرفون بعضهما البعض! فردت على إسماعيل محاولة إكمال المكِيدة التي تُدبرها قائلة: إخرس خالص ماتتكلمش، فالتفت تُحدث شريف قائلة: الفلوس برة عن هنا هروح أجيبها وحد فيكُم يجي معايا بس براحة مش عايزين حد يحس بحاجة نهائي.

شريف: معاها حق.. صفوت خمس دقايق وجاي يروح معاكي هو وكاواكا.

- فكوني بقى، ولا هروح أجيب الفلوس وإيدي مربوطة!

- فكوها.

- ريقي ناشف جدًا عايزة أشرب.

ثم أسرعت ومسكت الهاتف ولكن أوقفها كبير العصابة شريف قائلاً: إيه يا أستاذة؟

- نعم! هطلب الكافتيريا تجيبليماية.. قلقان؟ أطلُبهُم أنت على ١٧١٢ قولهُم يجيبوا واحدة ماية كبيرة ساقعة، إيه رأيك تشرب شاي أنت ورجالتك؟

- نشرب شاي.

- خلاص قولهُم مع الماية يجيبوا ٧ شاي سادة، وواحد شاي بلبن.

- واشمعنة واحد شاي بلبن!

- أنت مُمل أوي، شاي بلبن عشان أنا بحب الشاي بلبن، تحب أخليهُم الـ ٨ شاي بلبن؟!

- لا سادة أحسن.

- زي الفُل.. أطلُبهُم.

وبعد فترة قصيرة من الزمن.. وصلت الفتاة من الكافتيريا حاملة معها ٨ أكواب والسكر بالخارج.

شريف: كاواكا خُد كوبايات الشاي من البت واقفه بره..

- خلوني أنا آخُدها منها وأحاسبها، إزاي هياخد منها الصنية باللي لابسه وعلى أي أساس! انتوا عايزين تنكشفوا؟

فسند شريف على صندوق القمامة الكبير الذي به الأموال، وهو لا يدري أن الأموال تحت يديه، فهو لم يرَ سوى الكثير من المُخلفات والأوراق التالفة!

شريف: ماشي.. خُديه منها وادخلي علاطول، وأي حركة منك كده ولا كده هتبقي جنيتي على نفسك.

أدخلت رحمة الصنية ووضعتها على المكتب، وأخرجت زُجاجة الدواء في غفلةٍ منهُم، ثم وضعت في كُل كوب قُرص من المُنوم وقلبت الشاي بالدواء وهي تتحدث لتُلهيهُم قائلة: مُستشفى غريبة وناس ظالمة، كُل همهُم نفسهُم، أتعب أنا واتمرمط على الفاضي عشان يراضوا بعضهُم وقرايبهُم!

فنظر الجميع إلى رحمة في عجب وغضب مم تقول، فتنظُر لهُم رحمة وتغمز بعينيها وكأنها تُريد إخبارهُم أنها مكيدة وليس حقيقة، فاطمأنوا جميعهم.

قدمت رحمة لكُل واحد من أفراد العصابة كوبًا من الشاي، والجميع في انتظار صفوت وهو فرد منهُم، يُحدثه شريف هاتفيًا قائلاً: خلص ياعم صفوت في سنتك دي!

رحمة: يالا اشربوا في الإنجاز، وعايزة اتنين يجوا معايا مش لازم صفوت نطلع الفلوس من..

حينها بدا تأثير المُخدر واضحًا، يسقُط كُلاً منهُم على الأرض واحدًا تلو الآخر! فغضب شريف قائلاً: عملتي إيه.. عملتي إيه!

بهدوء وثقة تقترب منهُ رحمة قائلة: لا بأس يا سيدي إنهُ فقط منوم وستذهب إلى نومٍ عميق، بعدها هتشوف أيام سودة.

- فين الفلوس؟

وضعت رحمة يدها في الصندوق وأمسكت بعض المال في يدها قائلة: تحت إيديك.. أهي!

فابتسمت رحمة، وأُغشي على شريف، فأسرعت وقامت بتحرير الجميع من الحبل الملفوف بهم، ثم قامت بنزع الغطاء من علي وجوه العصابة وربطتهُم، وعلى الفور استدعوا الشرطة.

اندهش الجميع مما فعلتهُ رحمة، ولشجاعتها وخِطتها لتُوقِع بالعصابة..

أستاذ فايز: والله كُنت هصدق اللي عملتيه! شكلك وطريقة كلامك كأنك كُنتي بتتكلمي بجد وبثقة وشر! آه صح، بتقولي عنا فلاحين يا رحمة!

- هو أنا كذبت ده انتوا كُلكُم فلاحين.. ومن رشيد كمان! بس دي مش شتيمة! الفلاحين ناس قلوبهُم حلوة وطيبين أوعى تستقل بنسبك، أو مكان ولادتك، كُلنا سواء مافيش فرق بين ابن المدينة وابن القُرى، الفرق في العمل بس عند الله.

أستاذ مروان: الله يفتحها عليكي.

إسماعيل: رحمة انتي جبتي المنوم من فين؟ وفكرتي إزاي في الفكرة دي؟

- كُنت في مرة مريضة ومحجوزة في المُستشفى ومش بعرف أنام والدكتورة عطيتني العلبة دي؛ أقراص أخُذها هتنيمني لمُدة طويلة ومفعولها قوي، وأنا مابحبش أخد حاجات من دي! فحطيت العلبة في جيبي وماستعملتهاش، ويشاء الله النهاردة إني ألبس الجاكيت اللي بقالي سنة مالبستهوش وهو اللي ينقذنا! فطلبت شاي مخصوص لإنهُ الوحيد اللي بيجيبوا السُكر بتاعه بره، فكانت الفرصة أني أحط الأقراص وأقلبهُ، ويفكروا أنهُ السُكر هو اللي بقلبهُ، بس وطلبت شاي بلبن عشان كان نفسي فيه وبحبه طبعا!

فضحك الجميع وقال إسماعيل: برنسيسة والله.. عجبتيني جدا، بس ماخوفتيش الخطة بتاعتك تفشل؟

- استعنت بالله، وقولت يا مُجيب دعوة المُضطرين أغيثنا.. فجاء الفرج من رب العالمين.

- عملتي اللي ماحدش فينا عملُه.. برافو عليكي والله.

- يا بني كُله بحكمة من الله.

- الحمد لله لما نشوف مجاهد ده حكايته إيه؟

- بسيطة هو واحد من أفراد العصابة بس مش موجود معاهُم هنا!

- بتهزري عرفتي من أين؟

- القلم اللي جالُه من سويسرا ومافيش منهُ هنا خالص، واحد من العصابة لما وقعني علي الأرض وبعدها جيه يلف وقع منه القلم، معنى كده إنهُ هو عطهوله أو هُم بس اللي معاهُم النوع ده من الأقلام!

نظر إسماعيل إلى الأرض في حُزن شديد قائلاً: ماكُنتش أتوقع كُل ده يطلع من مجاهد!

- هو احنا مافيش حد سأل علينا خالص! والريسبشن وضعه إيه؟

- تقريبًا احنا لو مُتنا ماحدش هيسأل علينا أصلاً!

- هيسألوا عليا أنا.. عشان أخدة ألف جنية أُفُكها.

فضحك كُل من بالمكتب، وجاء المُدير الإداري "الدكتور عامر شفيع" والمُدير المالي "أستاذ مرسي الطيبي"..

رحمة: خلوا البوليس يدخل من مدخل الطوارئ، ومن الأفضل ماحدش يعرف بحاجة عشان الناس ماتتوترش، دي مُستشفى وكُل الناس فيها على أعصابهُم فبلاش ترعبوهُم، ونفس الشيء وهُم خارجين بالعصابة يخرجوا من باب الطوارئ.

أستاذ مرسي: عندك حق يا رحمة.

دكتور عامر: كلامك مظبوط يا رحمة.

وأثناء هذا الحديث شعرت رحمة فجأة بالدوار فجلست، وقلق عليها الجميع فأحضروا لها ماء بالسُكر وهي في الأساس تكرهُه بشدة! وفي لحظة أغمضت فيها عيناها رأت الثُعبان الأسود وهو يلتف حول إسماعيل حتى قتلُه! ففتحت عيناها قائلة في فزع: إسماعيل.. إسماعيل، إسماعيل فين؟

أستاذ فايز: إسماعيل بيجبلك عصير وجاي مالك يا رحمة؟

لم تُجب على أحد وحدثت نفسها قائلة: إسماعيل هيموت! لا لا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

والجميع في انتظار عودة إسماعيل، لكنه تأخر ولم يأتِ!

ثم أتت نادية عاملة الكافتيريا مُسرعة تستغيث قائلة: جماعة إسماعيل أمين الخزنة أغم عليه وهو بيشتري العصير!

فأسرع الجميع، وسبقتهُم رحمة إلى الكافتيريا، وجدوه مُستلقي على الأرض حملوه الشباب وأخذوه إلى غُرفة ووضعوه على السرير، واستتدعوا الطبيب.

وبعدما جاء الطبيب وقام بفحصه نظر إليهم قائلاً: البقاء لله.

فوقعت هذه الجملة على رحمة كالصاعقة، صُعقت من هول الصدمة ولم تستطِع التنفس، تجمدت في مكانها، عجز لسانها عن الحديث ولكن سالت دموعها وهي تُحدق في إسماعيل! ثم التفتت إلى الطبيب قائلة: إزاي مات! ده كان لسه بخير وبيضحك، وبيكلمنا وبنكلمه؟!

- أزمة قلبية.

- أزمة قلبية!

بكت رحمة، فأخذها الجميع خارج الغُرفة.

رحمة: كُنت بحبهُ جدًا، كان أخويا الصغير، وظلت تتذكر المواقف الجميلة بينهُما، تُحدث نفسها في ألم شديد قائلة: ليه بيموتوا؟ ليه الثُعبان ده بياخُدهُم مني؟ ليه الناس اللي بحبُهُم؟ كُل اللي حواليا بيتأذوا بسببي! وعادت إلى مكتبها أخذت حقيبتها واستأذنت كي تذهب، ومن بعد هذا الحادث المؤلم لم تعُد أبدًا. جلست في منزلها تكسب رزقها من عمل الإكسسوارات اليدوية وبيعها على الإنترنت. وبعد مرور أيام ذهبت إلى إيريني..

رحمة: يالا بينا نروح لنورا ناخُدها ونزور أسماء.

- يالا بينا، بس انتي كويسة؟

- الحمد لله يا حبيبتي.

وصلت الفتاتان إلى نورا، التي فرحت بزيارتهما قائلة: مبسوطة أوي إني شوفتكُم.

رحمة: واحنا كمان جدًا، يالا نروح سوا لأسماء.

ذهبت الفتيات لزيارة أسماء التي فرحت كثيرًا بزيارتهُن، وكانت المُفاجأة عندما دخل دكتور شوكت في نفس لحظة وصول رحمة، وإيريني، ونورا..

قال: مُمكن أدخل يا بنات؟

رحمة: طبعًا يا دكتور اتفضل.

- أسماء تقدري تُخرجي النهاردة من المُستشفى، انتي مُعافاة يا بنتي من السرطان تمامًا، والتحاليل والأشاعات كلها بتقول كده، وده التحليل رقم ٢٣ نعملُه ويطلع مافيهوش سرطان، وده إعجاز من عنده سبحانه وتعالى، ومن كرمُه إنهُ مَنّ عليكِ بالشفاء والعافية.

فرحت الفتيات بشفائها، وبكت أسماء من فرحتها قائلة: أنا خفيت.. خفيت! أنا خفيت مافيش كيماوي تاني!

رحمة: آه خفيتي بفضل الرحمن زي ما كان قلبي متعشم بالله بشفائك، خفيتي وهيطلع لك شعر تاني، وحواجب وهتبقي قمراية.

- أنا فرحانة أوي يا رحمة.

عانقت الفتيات بعضهن البعض، فقالت إيريني: أسماء من هنا ورايح هتقعدي عندي وهنفضل مع بعض.

- موافقة أنا ماليش غيركُم في الدنيا أصلاً.

رحمة: يالا يا بنات نجمع حاجة أسماء ونجهزها للخروج.

دكتور شوكت: رحمة فوتي عليا خُدي إذن الخروج لأسماء.

- حاضر يا دكتور، بإذن الرحمن.

أسماء: أنا مش مصدقة أخيرًا هخرج، وأشوف الشوارع، ونور ربنا والبحر!

رحمة: آه هنخرج من هنا، نطلع على البحر احنا الأربعة ونحقق الحلم.. ناكل ترمس وآيس كريم.

- بجد يا رحمة.. بجد!

- جد الجد إن شاء الله، يالا يا بنات أسرعوا.. هروح أجيب إذن الخزوج وجاية.

خرجت الفتيات جميعًا من المستشفى، وكان هذا اليوم أسعد يوم؛ حيث امتلأت قلوبهُن بالسرور والفرح، وبعدها ذهبن إلى منزل إيريني؛ لتُقيم معها أسماء، وأصبح منزل إيريني دائمًا مُلتقى الأصدقاء الأربعة.

رحمة: هسيبكُم وأمشي عندي شغل إكسسوارات كتير ماخلصتهوش ومش عايزة أتاخر عشان عليا طلبية لازم أخلصها وأسلمها.

إيريني: رحمة هو شغل الإكسسوارات جايب معاكي نتيجة؟ قصدي يعني فلوسه كويسه؟!

- والله يا إيريني أي رزق من الله حلو، ولو قليل ربنا بيبارك.

- بس انتي بتجهدي نفسك فيه!

- عشان محتاجة أعمل حاجات وهو الوسيلة الوحيدة قدامي! بُكرة الصبح إن شاء الله همُرعليكُم.

- باتي معانا النهاردة؟

أسماء: بالله عليكي باتي معانا النهاردة يا رحمة.

- ماينفعش أبات برة بيتنا.

نورا: حاولي، احنا هنكلم والدك ووالدتك ونستأذنهُم، أنا أول ماكلمت بابا وماما وقولتلهُم إنك معايا اطمنوا ووافقوا إني أبات هنا معاكُم!

وعلى الفور تحدثن إلى أهل رحمة واستأذنوهم، فأذنوا لرحمة بعد عدة محايلات، ومن ثم عكفت رحمة الليلة كاملة تصنع الإكسسوارات وكُلمَا استيقظت إحدى الفتيات وجدت رحمة على وضعها كما تركتها تعمل!

إيريني: رحمة انتي مانمتيش!

- لأ.

- يا بنتي حرام عليكي نامي حبة طيب.

- لازم أخلص الشغل اللي في إيدي يا إيريني، بإذن الله.

- مُمكن تأجلي براحتك، وتأخري براحتك.

- لا ماينفعش تأجيل.

- ليه؟ انتي بتعملي كُل ده ليه؟

- لإني محتاجة الفلوس.

- في حاجة مخبياها عليا؟ في أزمة عندك؟ احكيلي..

فابتسمت لها رحمة قائلة: الحمد لله مافيش حاجة اطمني، وارجعي كملي نومك.

- لو فيه حاجة أقدر أساعدك فيها قوليلي.

- كوني بخير دايمًا وانتي كده هتساعديني، وجودك بالدُنيا.

فعانقت إيريني رحمة، وقبلت رأسها..

رحمة: يالا روحي كملي نومك.

- وانتي هتنامي امتى؟

- لما أرجع من مشواري بُكرة إن شاء الله.

- فين المشوار ده؟

- هبيع الإكسسوارات.

- طيب مُمكن آجي معاكي؟

- الصُبح يحلها ربنا، ارجعي نامي.

- حاضر، تصبحي على خير.

وفي الصباح استيقظت الفتيات جميعهن، ووجدوا رحمة مازالت تعمل على الإكسسوارات!

نورا: رحمة انتي مانمتيش؟

- حضري الفطار يلا عشان ناكل سوا وأمشي.

إيريني: أنا جاهزة آجي معاكي..

فطرت الفتيات سويا، وخرجت رحمة وإيريني لتسليم الإكسسوارات لأحد عملاء رحمة من الإنترنت..

إيريني: رحمة.. العربية مش شغالة!

- مش مُشكلة، أروح مواصلات وخليكي انتي عشان رجليكي ماتتعبيش.

- لا هاجي معاكي، مش هتعب.

- عنيدة.

وصلت الفتاتان إلى العميلة، وسلمت رحمة لها الإكسسوارات، وقبضت المبلغ.

إيريني: هتروحي فين؟

- هروحك وأروح مشوار.

- هاجي معاكي المشوار.

- لا، هترجعي.

- وغلاوة الرسول محمد عندك خُديني معاكي.

- عليه أفضل الصلاة والسلام، اتفضلي يا ستي..

- هموت وأعرف إيه المشوار اللي عايزة تروحيه، ومُهم عندك ده وبقالك ثلاثة أيام شغالة على الإكسسوارات بسببهُ، وامبارح مانمتيش!

ذهبت رحمة واشترت الألعاب، والملابس، وكعكة الشيكولاتة الكبيرة..

إيريني: إيه يارحمة كُل ده؟ رحمة.. رحمة!

ظلت إيريني تُحدثها ورحمة لا تجيب على أسئلتها..

إيريني: رحمة رُدي عليا طيب!

- مش انتي عايزة تيجي معايا! ماتسألنيش على حاجة خالص.

- حاضر.

وصلت الفتاتان إلى مكان ما، وعندما التفتت إيريني رأت أنه دار أيتام..

فتحدثت بدهشة وتعجب: إيه ده؟ دار أيتام!

- عندك مُشكلة؟

- هو ده المكان؟! هو ده المشوار؟!

فلم تُجب رحمة، ودخلت هي وإيريني، رحبت مدام نشوى مسئولة الملجأ برحمة قائلة: رحمة إزيك يا حبيبتي، الأولاد سـألوا عليكي كتير.

إيريني: أولاد مين يا رحمة!

وعندما لمح الأطفال رحمة! أسرعوا إليها مهرولين يُعانقونها، ويُقبلونها فرحين بها، وكانت إيريني تنظُر بعجب من جمال المنظر وغرابة ما يحدُث بالنسبة إليها..

رحمة: فين خالد بن الوليد؟

- أنا هنا يا رحمة.. أنا هنا، زرعت الوردة الصفراء اللي عطيتهالي، فعملت ورد أصفر كتير جميل، ولما شوفتك واقفة مع أبله نشوى روحت قطفت ليكي وردة وجيت.

- ياروحي.. جميلة الوردة عشان خالد اهتم بيها.. جبتلك تورتة النهاردة عيد ميلاد خالد الجميل كل سنة وهو طيب، وقبلته وعانقته، ثم أجلسته على قدميها.

فرح خالد أشد الفرح وقبل رحمة

رحمة: فين مريم؟

فتحدثت مريم ببراءة ورقة: أنا هنا عرفت أعمل إكسسوارت زي ما علمتيني بُصي كده..! دي ليكي يا رحمة.

- الله.. شطورة الأمورة.. جميلة جدًا زي مريم بالظبط.

خديجة: مُفاجأة.. أنا لبست الحجاب.

- الله إيه القمر الجميل ده!

باركوا لأُختكُم يالا..

خديجة: عُثمان قلمُه اتكسر وأنا عطيته قلمي.

- الله على خديجة الطيبة المُتعاونة مع إخواتها.

يالا مُحمد، عُمر، أبا بكر، علي، عُثمان، خالد، عمرو، صلاح، عائشة، خديجة، فاطمة، مريم، كُلكُم بالدور هتسمعولي القُرآن، والنهارده هحكيلكُم قصة عن رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعُمر لما جاع كُل واحد فيهُم وخرجوا واتقابلوا في الطريق و..

فقاطعها عُمر قائلاً: أنا عارف القصة دي.

أبو بكر: وأنا كمان عارفها.

فتحدث علي بكل براءة: لما سيدنا مُحمد عليه الصلاة والسلام كان جعان هو والصحابة ومش لاقيين أكل! وقابلوا واحد أكرمهُم وأطعمهُم والرسول قال وقتها: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

فبكت رحمة قائلة: صدقت يا علي، عليه أفضل الصلاة والسلام.. حبايبي شُطار برافو عليكُم.

علي: احنا عرفناها منك، حكتيهالنا كتير.

وكانت إيريني واقفة منتظرة كل هذا الوقت، تشاهد ما يحدث من بعيد، تتعجب ولا تتحدث، فهي أول مرة في حياتها ترى مثل هذه الأشياء الجميلة تحدث أمامها، أحبتهم وأحبت حديثهم، والبراءة التي يتحدثون بها.

مريم: رحمة.. ليه بتحبي تحكيها لينا علاطول!

- عشان أذكركُم بإن الدُنيا لا شيء، وإن الآخرة خيرُ وأبقى، و إن الدنيا هي ثمرة الأخرة.

فين صلاح الدين؟

- أنا هنا يا رحمة.

- ابدأ بتسميع القرآن، وانعش قلبي بصوتك الدافئ الخاشع، ورتل ترتيلا.

- حاضر.. أُعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم..

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا
﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ
ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾

تأثرت رحمة بتلاوته، فكان صوته جميلاً، وترتيله للقرآن مميزًا، فأجهشت بالبكاء، كما تأثرت إيريني وأدمعت عيناها. أنهت رحمة جلستها الطيبة مع الأطفال وقبل أن تتركهُم زرعت فيهم الخُلق الحميدة، والصفات الإيجابية الطيبة السليمة، وزعت عليهم الملابس والألعاب، وأطعمتهُم الحلوى، ثم قبلتهم وودعتهم، وعادت إلى مدام نشوى وأعطتها المال كُله المُتبقي معها من أجل الأطفال.

رحمة: مدام نشوى زي ماطلبت منك مش عايزة حد فيهُم يشوف تليفون أو تلفزيون أو يعرفوا حاجة اسمها نت! كُل وسائل التواصل الاجتماعي إعزليهُم عنها.

- والله زي ما طلبتي ما يعرفوش عنها حاجة.

- كُل واحد ليه كتاب لُمدة أسبوع يكون خالص ويطلعلي منهُ مُلخص، تابعيهُم ولما أرجع هسألهُم فيهُم، وكل مُدة هزودكُم بكُتب تعليمية ودينية، وهاجي أنا أعلمهُم بإذن الرحمن.

- ربنا يجازيكي كُل خير ويجعلُه في ميزان حسناتك يارب.

غادرت رحمة وإيريني المكان..

إيريني: يعني كُل السهر ده والشغل كان عشان الأطفال دول! رحمة انتي اللي مسمياهُم؟

- آه كُل واحد على اسم صحابي أو صحابية.

- ليه مكلفة نفسك وبتعلميهُم ومسئولة عنهُم، وشايلة همهُم، وبتصرفي عليهُم وانتي اللي بحاجة للفلوس دي! انتي ماعندكيش شغل يا رحمة وده مصدر رزقك الوحيد، ومش علاطول بتبيعي وتُرزقي!

- يا إيريني الرزق من الرحمن مش شايله همهُ، الآية عندنا بتقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. أما عن كلامك أنا أولى بالفلوس فهرجع أقولهالك ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾

- وليه عزلاهُم عن العالم من تلفزيون ونت ووسائل تواصل اجتماعي؟! وبتعلميهُم بنفسك كمان!

- أما عن تعليمهُم فبتمنى يطلع منهُم عالم أو إمام زي أبي حنيفة، أو مالك، أو الشافعي، أو ابن حنبل، أو الشعراوي يحمل الدعوة وينشُرها، ونفسي يطلع منهُم مُحرر للأقصي زي صلاح الدين، أو حاكم عادل يكون زي الفاروق يوحد المُسلمين.. أما البنات المؤنسات الغاليات يكن عفيفات

يطلع من نسلهُن ذُرية تُصلح ولا تُفسد! الدور الأساسي في تربية الأبناء في المُجتمعات بيرجع للأم ونشأتها وتربيتها وتعليمها لما يكونوا مُتعلمين هيحاربوا الجهل، هيطلع جيل مُتعلم حابب العلم مش بيُساق وراء الموضة والانترنت، وكُل هدفهُ صورة سيلفي في مكان حلو عشان ينزلها على مواقع التواصل الاجتماعي! عشان الناس تُعجب بيها ويعلقوا عليها يقولوا ليه إنها صورة حلوة، إنك جميل أو جميلة سواء ولد أو بنت! يعني أنت مستني أو مستنية رأي الناس في جمالك؟ ومش بس كده! الحقيقة إنها كُلها برامج لاعبين في وشهُم عشان يبقوا حلوين وفي الآخر يجوا يقولوا اتحسدنا! ولو أكلوا في مطعم ينزلوا صورهُم بالأكل! طيب ألف هنا.. الناس بقى هتستفاد إيه من صورة حضرتك وأنتَ بتاكل في المطعم الفُلاني والأكل الفُلاني!

ناس في بيوتها على قدها مُمكن تصعب عليها نفسها إنها مش قادرة تاكل الأكل اللي ربنا رزقك به، وواحدة وجوزها أو خطيبها بيحبوا بعض من خمس سنين ومغرقين الدنيا بصورهُم والمنشورات عن قصة حُبهُم، ماكملوش شهر جواز واطلقوا! والبنات اللي مُعاملاتهُم بالولاد زادت والعلاقات انفتحت واتبعوا الشهوات وضاعوا.. كان سببها إيه؟ النت، فين المُثقفين والمُحبين للقراءة والعلم والتعلم، واللي بيشرفوا بلادهُم في أي مكان يروحوه، راحوا فين؟ الناس انشغلوا بالنعمة عمن خلقهَا، ازادت التفاهة بشكل كبير يا إيريني كُل اللي بيعملوه بينقلب عليهُم حسد، وحقد، وغرور، وتضييع وقت، ومرض وخلافات! ليه، وعشان إيه؟ فتن، والقابض على دينهُ كالقابض على الجمر! دي مش وسائل تواصل اجتماعي دي وسائل دمار اجتماعي، وسائل التواصل الاجتماعي أكبر مُصيبة حلت على روؤسنا، والكُل غفلان، وبُكرة يموت الإنسان وماعملش أي إنجاز في حياتهُ، ماعرفش يأدي مُهمته، فشل في تبليغ الرسالة! يارب نجينا ولا تؤاخذنا بما فعل السُفهاء منا، اهدِنا وردنا إليك ردًّا جميلاً يا الله.

- عارفة انتي مافيش إنسانة دخلت لأعماق قلبي زيك.. تفكيرك، طريقتك، أسلوبك، صبرك، حلمك، حنانك، هزارك، جدك، عطفك كُل الصفات الحلوة اتجمعت فيكي.

- ده من فضل ربنا.. يالا أركبك وأروح أنا.

- أنا اللي هركبك المرة دي يالا.

- أنا همشيها.

- نعم؟ تمشي إيه!

- همشي من هنا لحد البيت.

- ده جنان يا ماما تتعبي هتمشي من المنشية للمندرة!

- الله المُستعان يا إيريني.

- انتي ماعكيش فلوس؟

فنظرت رحمة إلى إيريني، وحاولت تغيير الموضوع، لكن لاحظت إيريني، فتأثرت وترقرت عيناها من الدمع قائلة: انتي عطيتي الفلوس كُلها للملجأ، وماخلتيش ليكي حتى تمن مواصلاتك!

ازداد الحرج على رحمة فدمعت عيناها قائلة: والله نسيت، ماهتمتش كُنت مبسوطة إني شوفتهُم ونسيت كل حاجة.

- هو اللي عايز يدخل الإسلام يعمل إيه؟

فالتفتت رحمة إلى إيريني ولم تُصدق ما سمعته قائلة: يشهد أنهُ لا إله إلا الله، وأن مُحمد رسول الله.

- أشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحمد رسول الله، وأنكِ على دين

الحق، وإن دين الإسلام حق، وإن مُعاملتك وطيبتك وأخلاقك وتواضعك مش نابعة غير من دين الحق.

لم تسع الفرحة رحمة، كانت في نفسها تدعو لها دومًا أن يشرح الله قلبها للإسلام، أحبتها بصدق ودعائها لها كان صادقًا فاستجاب الله لها، فظلت تكبر: الله أكبر.. الله أكبر، أسلمتي! من هنا ورايح اسمك سالمة.

- سالمة! الله اسم جميل.

فعانقتها والسعادة تغمرهما، فتذكرت سالمة قول أخيها شنودة قبل سفره، وقالت: عارفة يا رحمة شنودة قبل ما يسافر سمعك وانتي بتقرأي القرآن وبكى، وبعدها قالي خليكي مع رحمة هي على حق، لسه فاهمة دلوقتي كلامُه!

- ربنا يشرح صدرة بالإسلام يارب، ده إن ماكنش أسلم.

- هو مُمكن يكون أسلم؟!

- ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ مش قولتي إنه سمع القرآن وبكى، وقال أنه حق! القرآن ليه حلاوة بتسر القلب، إزاي يسمعه حد ومايدوبش قلبه خشوع!

- يارب يا رحمة، هفرح أوي لو أسلم.

- إن شاء الله.

- هتعلميني الصلاة؟

- طبعًا طبعًا.

- وهصوم معاكي الإثنين والخميس.

- إن شاء الله يا جميلة.

- كُنت دايمًا شايفة إن الإسلام وحش، والمُسلمين وحشين وإرهاب.

- لو هتلومي لومي المُسلمين، لكن الإسلام بريء منا ومن أفعالنا، الاسلام نقي، جميل، المُسلمين هُما اللي بعضهُم وحشين ماحملوش الرسالة اللي تعب في حملها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام عشان يوصلهالنا، انتي مش غلطانة بمفهومك عن المُسلمين لإن فيهُم الصالح، وفيهُم الطالح وللأسف الفئة الطالحة باينة أكثر! انتي الصورة وصلالك غلط عن الإسلام.

- بس الصورة وضحت لما عرفتك لقيت فيكي آية الإسلام، عرفتُه وأيقنت إنهُ بريء من نفوس كتير، عرفت إنه الرحمة يا رحمة، وطريق الحق.

- أنا مبسوطة أوي، كده هروح معاكي وأقعد شويه أعرفك حاجات زي الوضوء، والصلاة، وحاجات بسيطة، والحجاب.

- الله هتيجي معايا! يالا بينا ونتغدا سوا..

وهما في طريق العودة قالت رحمة: فاكرة لما كُنا طالعين من عند بيت الحاجة زينب وحسيتي إني دعيتلك وكُنتي هتموتي وتعرفي دعيتلك بإيه؟!

- آه وغلاوة سيدنا مُحمد قولي بقى؟

- غيرتي الدعوة وبقى سيدنا مُحمد، كُنتي الأول بتقولي وغلاوة الرسول مُحمد، خليتي نفسك من عموم المُسلمين، برافوا عليكي حبيبتي دلوقتي الرسول فرحان بيكي في الإسلام.

- الرسول فرحان بيا أنا؟

- أيوة، وربنا والملائكة بتحتفل بيكي كمان.

فبكت سالمة من شدة فرحتها، ولأنها أضاعت الكثير من عمرها بدون الاسلام، وقالت: كُل ده عشاني!

- آه.

- يا رحمن، يا رحيم، يارب العالمين.. طب دعيتي بإيه وقتها؟

- دعيت وقتها بإن ربنا يشرح صدرك للإسلام، كان قلبي حاسس إن جواكي حاجة حلوة، وإن الله سبحانه وتعالى هيكتبلك الخير خاصة لما حكتيلي إن أهلك وانتي صُغيرة كانوا بيضربوكي لما بتصلي على الرسول، ولما قولتلهُم أنا من المُسلمين!

فتبسمت رحمة وسالمة، وكانت الفرحة تتراقص في قلوبهن. وصلت الفتاتان إلى منزل سالمة وكانت نورا وأسماء في انتظارهن..

رحمة: بنات في مُفاجأة..

أسماء: مُفاجأة إيه؟

- إيريني أسلمت، وسمتها سالمة.

أسماء: إيه! بجد؟!

فارتفعت أصوتهن سرورًا من شدة المُفاجأة، والتفت الفتيات حول سالمة يكبرن، يهللن، وعانقن سالمة في فرحة شديدة.

رحمة: كده هنصلي جماعة وزادنا فرد.

نورا: أنا مبسوطة أوي يا بنات.. هحضر الغداء عشان ناكل كُلنا.

سالمة: وأنا هدخل آخد دوش.

رحمة: استني عشان أقولك شروط الطهارة، والغسل، وكيفية الوضوء.

سالمة: حاضر يا أجمل رحمة في الدُنيا.

ذهبت نورا لتحضير الغداء، بينما جلست رحمة على الأريكة بعد أن

علّمت سالمة كيفية الغسل، والطهارة، والوضوء.. وغلبها النعاس بسبب الإرهاق ولعدم نومها الليلة الماضية..

فلمحتها أسماء فقالت: رحمة نامت.. هصحيها..

فأسرعت سالمة قائلة: لا، سبيها هي مانمتش طول الليل أصلاً.

نورا: بس الغداء جاهز، هي ما أكلتش من مُدة عشان الأنسولين!

سالمة: معلش سبوها نص ساعة كمان.

أسماء: رحمة تليفونها بيرن!

سالمة: هاتي أعملُه صامت عشان مايزعجهاش.

استيقظت رحمة فزعة من نومِها، فتعجبت الفتيات حولها لأنهن كن لا يردن إيقاظها، ولم يصدرن صوتًا عاليًا لأجلها!

سالمة: رحمة مالك يا حبيبتي! هاتيماية يا أسماء.

نورا: رحمة انتي كويسة؟

لاحظت الفتيات أن ضربات قلبها سريعة، بدا على وجهها الخوف، تلتقط أنفاسها بصعوبة!

رحمة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

أسماء: رحمة اهدي يا حبيبتي، اهدي احنا جمبك.

رحمة: هيموت.. هيموت!

فعانقتها سالمة قائلة: رحمة اشربي مايه واستهدي بالله، مين ده اللي هيموت؟

رحمة: خالي هيموت.. خالي اللي بحبُه جدًا.

سالمة: إيه اللي بتقوليه ده بس! اهدي كده واحكيلي مالك؟!

- خالي سواق أتوبيس، شغال في هيئة النقل العام، شوفته في المنام بيسوق الأتوبيس ومافيش ولا راكب معاه! كان ماشي في الطريق، فطلع قُدامه تُعبان أسود ضخم كبير أوي يا سالمة ولف حوالين الأتوبيس لحد ما انفجر وبقى قطع صغيرة!

أسماء: مُجرد أحلام يا رحمة ماتخافيش اطمني يا حبيبتي.

فرن هاتف رحمة في ذلك الوقت..

سالمة: رحمة تليفونك بيرن.. والدتك.

رحمة: هو التليفون صامت ليه؟

سالمة: لاقيناكي نمتي صعب علينا نصحيكي، وخوفت يزعجك فعملته صامت عشان رن كتير!

فاقشعر جسد رحمة، وشعرت بشيء ما ليس بجيد قادم! وقالت: مش قادرة أمسكهُ، سالمة افتحي وشغلي الإسبيكر.. إيدي بتترعش.

رحمة: أيوة يا ماما، خير؟

فتحدثت والدتها بصوت يشوبه القلق والبكاء قائلة: انتي فين يا رحمة؟

- عند سالمة يا أمي، مالك!

- سالمة مين!

- إيريني.. إيريني يا أمي.

- خالك اتقلب بيه الأتوبيس وراحوا بيه كوم الدكة يا رحمة.. تعالي بسُرعة!

نظرت الفتيات إلى رحمة والصدمة والفزع على وجوههن.. فردت رحمة بكُل حُزن وضعف: حاضر يا أُمي جيالك.

أغلقت الهاتف، ناظرة إلى الأرض، في حالة صدمة، وظلت تقول والدموع تسيل على وجنتيها: لا إله إلا الله، لا حول ولاقوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون، سُبحان الحي الذي لا يموت..

فتلعثمت سالمة بالكلام قائلة: رحمة! إزاي.. إزاي!

نورا: رحمة احنا جايين معاكي..

- لا خليكُم هنا.

فنظرت رحمة إلى هاتفها، فوجدت سبع مُكالمات من خالها قبل الحادث مباشرةً! في الوقت الذي وضعت سالمة فيه الهاتف على وضعية الصامت كي لا يزعجها!

رحمة: سالمة ياريتك ماقفلتي الصوت، كان عايز يقولي حاجة..

نظرت إليها سالمة بكُل حُزن وندم قائلة: أنا آسفة، آسفة.

رحمة: لعلهُ خير، أمر الله كُله خير.

ذهبت رحمة وهي شاردة تُحدث نفسها: ليه! ليه بيموتوا؟ ويا ترى أنا السبب؟ يارب.. مؤمنة إن لكُل أجلٍ كتاب، وكُلنا هنموت طيب ليه بيحصل معايا كده؟ وإيه الثُعبان ده! حكايته إيه؟! يارب.. يارب.. يارب هون على قلبي يارب. وكانت في حالة بُكاءٍ شديد، وألم موجع.

مرت الأيام والشهور، وتفرق الجمع السعيد من الصُحبة، سالمة سافرت إلى إنجلترا لمرض والدها، وأخذت معها أسماء لتُساعدها، بينما نورا تزوجت وسافرت إلى السعودية مع زوجها، عاشت رحمة أيامها في عُزلة ووحدة وألم،

لم تستطِع الوصول إليهِم ولا هُم أيضًا! فقد سُرق هاتف سالمة عندما وصلت إنجلترا.. وحدث مسح كامل للأرقام من هاتف نورا بالسعودية! فكانت الطريقة الوحيدة للتواصل بينهُم "الفيس بوك" ولكن رحمة الوحيدة بينهُم التي ليس لديها فيس بوك! تتحدث الفتيات فيديو كول؛ نورا من السعودية، وسالمة وأسماء من إنجلترا، وقد علمن أنه تم فقد رقم هاتف رحمة تمامًا من الجميع!

سالمة: نورا ماعرفتيش توصلي لرحمة!

- لا والله خالص.. مش عارفة أعمل إيه؟

- أنا قلقانة أوي عليها، وحشتني أوي.. عدت ثلاثة شهور!

أسماء: قلبي وجعني عليها أوي.

نورا: أنا هموت وأشوفها.. أنا هنزل الثلاثاء الجاي بعد بُكرة يعني، لوحدي وهسيب جوزي هنا.. لازم أنزلها.

سالمة: أنا حجزت وهننزل بُكرة أنا وأسماء، هنوصل بالليل إن شاء الله.. نتقابل ونروحلها الثلاثاء .

جمعت الفتيات بعضهن وذهبن إلى منزل رحمة، فرحت رحمة كثيرًا ورحبت بهم في شوق وبُكاء.. وفي جلسة الاصدقاء عرفت ما حدث لكُل منهن طيلة الفترة الماضية، ولـمَ لـمْ يستطعن الوصول إليها! وبعد حديث طال كل واحدة حكت فيه عن سفرها..! جاء موعد أذان الظُهر فقالت رحمة: يالا الظهر أذن يا بنات خلينا نصلي.

سالمة: صلي بينا يا رحمة.

رحمة: يارب ماتحرمناش من نعمة الصلاة أبدًا.

فترقرقت عين رحمة بالدموع، وعندها لاحظت نورا وقالت: مالك يا رحمة؟

- شوفت رؤيا مش عارفة تفسيرها كويس.. كُنت بصلي على يمين الشيخ الشعراوي ورا باب بيتنا الضيق الصغير، وفجأة اتوسع المكان وبقينا في الحرم عند الكعبة، والناس اللي كانت هتصلي مشيوا والمكان فضي، والناس رفضوا يصلوا، وأنا بس اللي فضلت معاه! وببص عليه بعد السلام من الصلاة لقيته حزين منزل راسه وبيهزها يمين وشمال حسرة على ترك الناس الصلاة، وبقى المكان فاضي وخالي بشكل مُرعب، فضى الحرم من الناس اللي متعودين عليه يكون مليان بملايين المُعتمرين أو الحجاج في منظرعمري ما شوفته قبل كده..!

سالمة: ده تفسيره إيه يا رحمة؟

- خايفة يكون اللي فكرت فيه وفسرته.

نورا: إيه هو؟

- إن الناس بإرادتها بتغفل عن مساجد الله وهُم اللي بيسبوها ويمشوا، وإن الأيام الجاية هيمنعهُم الله من الصلاة في مساجده بإرادتهُ هو سُبحانه وتعالى.

"نسوا الله فنسيهُم" اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك اغفر لنا ذلاتنا يا رب، وتولنا أنتَ أرحم الراحمين.

سالمة: لا حول ولا قوة إلا بالله.

أسماء: يا رب سلم.

رحمة: يالا نصلي الظهر.

وبعدما أدين الصلاة ظلت رحمة تذكر الله، وقامت الفتيات يتحدثن..

سالمة: بنات.. حاسة إن رحمة في حاجة مضايقاها.

نورا: أنا كمان حاسة بكده، وإنها بتداري علينا.

أسماء: أكيد في حاجة حاصلة معاها، جواها حُزن ومش عايزة تقولنا، وبتشيل كُل هم لوحدها مابتشاركش حد حُزنها.

وفي تلك اللحظة انضمت رحمة إليهن فقالت لها سالمة: رحمة حبيبتي.. حاسة إن فيكي حاجة! في شيء وجعك؟ مزعلك! احكي واحنا نهون عليكي، ياما هونتي علينا.

نورا: قاعدة مع نفسك طول الوقت والدتك قالت كده من شوية! وأنا حاسة إن فيكي حاجة والحُزن مالي عيونك!

أسماء: فضفضي واحنا كُلنا آذانٌ صَاغية.

فابتسمت رحمة ابتسامة هادئة ممزوجة بالرضا قائلة: الحمد لله على كُل حال.. أمر الله كُله خير، أنا بخير جدًا وبنعم من الله يا حبايبي ومبسوطة إني شوفتكُم.

سالمة: والله واحنا كمان فرحانين أوي إننا شوفناكي، واالله مافي حد بيضحكنا ولا بيفرحنا ولا بيدخل السعادة في قلبنا غيرك يا بونبوناية.. افتقدتك كُل لحظة، وكُل ألم كُنت بصبر نفسي بيكي وبضحكتك.

رحمة: حبيبتي وأنا كمان أفتقدتكُم كتير جدًا.

ظلت الفتيات بصحبة رحمة مستمتعين بالحديث مع بعضهن البعض، تحدثن بفرح ومرح عن المواقف التي تعرضت لها كُل منهُن في فترة السفر، ثم تناولن الطعام سويًا وبعدها ودعن رحمة..

سالمة: احنا هنمشي بقى.

رحمة: بالسُرعة دي!

نورا: يا بنتي احنا عندك من الصُبح.. ولسه راجعين من السفر.

رحمة: قعدتكُم جميلة والوقت مش بنحس به واحنا سوا.

أسماء: بيكون الوقت مُمتع وشيق والله، قعدتك يا رحمة بالدُنيا كُلها.. كُنت هموت وأشوفك، أنا بحبك أوي.

رحمة: وأنا بحبكُم كُلكُم جدًا، خلاص هنزل معاكوا أروح لخالتي أسلم عليها.

سالمة: خالتك اللي جوزها متوفي وعندها عيال صُغيرين!

رحمة: آه، أشوفها لو محتاجة حاجة.

نورا: ربنا يجعلُه في ميزان حسناتك.

رحمة: يارب.. أشوفكُم بُكرة بإذن الله.

سالمة: عندي المرة دي.

رحمة: أيوة طبعًا، أشوفكم على خير.

كانت رحمة هذه المرة تشعر بشعور غريب، شيء ما يقلقها، أحست أن هذه آخر مرة سترى فيها صديقاتها! فحاولت أن تُخفي ما بداخلها ولا تُبديه لهن، عانقت سالمة بقوة، فشعرت سالمة أن هُناك خطبُ ما.. وراودها أيضًا نفس شعور رحمة!

ذهبت رحمة عند خالتها، وزارتها وكان لها محل بقالة صغير تجلس فيه، اطمأنت عليها رحمة وجلست معها قليلاً، وودعتها وذهبت، وبعد أن تركتها

عادت إليها مرة أخرى لتسألها عن أبناء وزوجة خالها الذي توفي إثر الحادث..

رحمة: خالتو هي طنط مها فين؟

- يا بنتي ماعرفش فجأة سابت البيت، وماحدش يعرف عنها حاجة، وبنتصل بيها مابتردش على حد! شكلها نقلت لمكان تاني ومش عايزة حد يعرف من أهل جوزها.

- لا حول ولاقوة إلا بالله، يمكن في حاجة أو بتمر بحاجة! لازم نلاقيها ونشوفها لو محتاجة حاجة نساعدها.

ظلت رحمة تتصل على رقم زوجة خالها وتُلح في الاتصال مرارًا وتكرارًا إلى أن أجابتها مها قائلة: إيه يا رحمة يا حبيبتي عاملة إيه؟

- الحمد لله يا طنط قلقت عليكي، انتي بخير؟ وفينك؟

- أنا مشيت من المكان اللي أنا فيه.

- مالك يا طنط انتي كويسة؟ قوليلي العنوان عايزة أجيلك..

- ماينفعش، أنا متراقبة!

- متراقبة من مين؟!

- مش هعرف أقولك حاجة في التليفون..

- طيب قوليلي انتي فين وأنا هجيلك.

- طيب تعالي.. ولوحدك وأوعي تقولي لحد على مكاني خالص.

- حاضر..

أغلقت معها الهاتف بعد أن أخذت العنوان وهي تُفكر وتُحدث نفسها قائلة: يا ترى في إيه ومالها مرعوبة كدة! ربنا يستُرها يارب.

وصلت رحمة إلى منزل زوجة خالها كما وصفته لها، طرقت الباب ولا أحد يُجيب

رحمة: طنط مها.. ماتخافيش أنا رحمة.

ففتحت لها وأدخلتها على عجلة من أمرها.. قائلة: ادخلي بسرعة يا رحمة.. بسرعة.. ثم أغلقت الباب وكانت خائفة.

- مالك يا طنط، والعيال فين وليه الرعب ده كُله؟!

- العيال نايمين.

- نوم العافية انتي بقى فيكي إيه!

- أنا هحكيلك كُل حاجة، وعايزاكي تسامحيني.

- أسامحك! علي إيه؟!

- خالك كان متورط مع جماعة في المُخدرات.

فنظرت لها رحمة في صدمة شديدة قائلة: خالي!

- آه، وأنا لقيت في الشغل ده فلوس حلوة وكُنت بشجعهُ عليه للأسف.

ظلت رحمة تسمع ولا تصدق ما يُقال أمامها، تسمع ولا تنطق بكلمة واحدة..

مها: وفي مرة كُنا خارجين كُلنا وانتي معانا والشرطي اللي كان بيفتش طلع زميلك من أيام ابتدائي، واتعرفتُم على بعض، وسمح لينا نعدي كُلنا من غير تفتيش كرامة ليكي!

- آه فاكرة حُسني، إيه علاقتهُ بيكُم؟

- كان طريق خالك سالك في إنهُ يودي البضاعة، يسلم ويستلم وكان بيبقى مطمن بأُوتوبيس الهيئة وإنه نادرًا لما يتفتش، أو مُمكن نقول إنه مش بيتفتش أصلاً! فاللي حصل إن زميلك الظابط مسك تفتيش الطريق اللي خالك بيمشي منُه يسلم البضاعة، وهو الطريق الوحيد والظابط ده نزيه جدًا، بيقوم بواجبه على أكمل وجه وبيفتش كُل العربيات حكومية وغيرها، فلما خالك عرف كده حاول يكلمك عشان تقابليه ويعدي بيكي البضاعة، لإن الظابط مش هيفتشه وانتي معاه زي ما حصل قبل كده! وفضل يكلمك وانتي مابترديش وماعرفش وقتها يسلم ويستلم، كلمني وقالي إنه راجع لإنك ماردتيش عليه، وفي طريقه راجع عشان يشوف حل اتقلب بيه الأوتوبيس ومات! مات على سوء خاتمة واحنا كُنا بنستغل طيبتك وحُبك لينا!

عارفة إني كُنت وحشة وطماعة ومأخدتش غير الرُعب والهم من جريي ورا الفلوس، خسرت جوزي ودلوقتي مُشردة من مكان لمكان بهرب، وعايزني أكمل مكانه معاهم عشان البضاعة اللي خسروها، مأخدتش غير دُل ومهانة، وكمان طلع بسوء خدمة لإن وقتها وهم بيحققوا في الحادثة اكتشفوا إن العربية فيها مُخدرات!

نظرت رحمة في الأرض والحُزن يغمُرها، لم تلم مها، ولم تتحدث معها، قامت واقتربت من الباب في صمت، فتعجبت مها من رد فعل رحمة ولم تنطق بشيء.

- سامحيني.. رحمة قولي حاجة انتي ساكتة ليه؟!

- استغفري الله، واطلبي منهُ العفو.. لاحول ولاقوة إلا بالله.

تركتها رحمة وغادرت المنزل، غادرتها غارقة في دموع الندم والحسرة، عادت إلى منزلها لا تتحدث مع أحد! وبعدها كلمت خالتها في الهاتف قائلة:

خالتو بقولك.. طنط مها في دار السلام عمارة ٦ الدور الرابع، روحيلها من غير ما تعرفي حد بمكانها، خُديلها حاجات من عندك زيت وسكر ورز وغيره.. وحلويات للعيال، وسمك من الراجل اللي على أول الشارع.. وأنا بُكرة هفوت عليكي أديكي الفلوس حق الحاجة، هي حالتها النفسية مش كويسة، وياريت لو تاخديها تقعُد عندك كام يوم لحد ما تروق.

- حاضر.. بس من إيه نفسيتها وحشة للدرجة دي؟

- من الفقدان ياخالتو، الفقدان..

ثم حدثت نفسها قائلة: فُقدان الضمير.

وصلت خالة رحمة إلى مها، فتحت لها مها وتعجبت من مجيئها، ومن كل هذه الأشياء التي تحملها!

- إيه ده كُله! وعرفتي من أين مكاني؟

- رحمة اللي قالتلي.

- رحمة!

- وهي اللي بعتتلك الأكل ده ليكي وللأولاد.

- رحمة! معقول! والله هي فعلاً رحمة.. برغم كُل اللي عملتهُ! هو ده عقابي منها إني ألاقي الإحسان والرحمة!

وظلت تبكي بكاء شديدًا، وخالة رحمة أمامها لا تفهم شيئًا..

خالة رحمة: عقاب إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة!

- هي رحمة ماحكتش ليكي حاجة!

- لأ.. حاجة زي إيه؟

فرفعت أيديها إلى السماء ودعت لها بأن يراضيها الله دنيا وآخرة، وإن يسترها وينجيها من كل شر.

قامت رحمة لصلاة القيام، دعت ربها قائلة: يارب أنا عفوت عنهُم، قد أغوتهُم أنفسهُم وزين لهُم الشيطان أعمالهُم، فاللهُمَ مغفرةً لي ولهُم.. يارب أنني أحببت خالي هذا كثيرًا بينما هو أراد بي السوء! فاللهم إني أُشهدك أني قد عفوت عنه.. اللهُمَ اغفر له و لزوجه، واحفظ أولاده من الأذى إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا يا أرحم الراحمين.

وجلست تفكر في كل هذا الذي يحدث لها، تفكر فيمن كانت تحبهم وتثق بهم وفجأة تكتشف أنهم يريدون أذيتها! تفكر فيمن تحسبهم على خير وهم كذلك أمامها ولكن ما خفي كان أعظم! تفكر فيمن أعطته الثقة يومًا فخذلها!

مسكينةُ أنتِ أيتُها الحسناء، تصفحين دائمًا عمن ذل، قلبُكِ أبيض يشبه الزهرة حلاوة وعطرًا، تعزف الأوتار على قساوة الدنيا معك، وتعزفين أنتِ لحنًا طيبًا يداوي الأسى، ليت البشر جميعهُم يرحمون بعضهم بعضًا.. ليت بقلوبهم رحمة!

تنفس الصُبح، واتصلت سالمة برحمة قائلة: رحمة مستنياكي النهاردة.. في مُفاجأة! غادة وعبير جايين النهاردة وهنتغدا سوا.

- بجد! وحشوني جدًا.. بس اتغدوا انتوا، النهاردة الإثنين أنا صايمة.

- آه صحيح نسيت.. طيب أنا كمان هصوم إن شاء الله.

- تقبل الله.. عندي مشوار، هزور شركة الخُضار اللي كُنت شغالة فيها، وهقعد شوية في مكتبة إسكندرية، وحشتني الكُتب، وريحتها، وشكلها.. هخلص وأطلع عليكُم بإذن الله.

- طيب يا حبيبتي ماتتأخريش.. البنات كُلهُم في انتظارك.

قامت رحمة من على فراشها، نظرت للساعة وتبسمت قائلة: لسه الساعة ٨ الصبح، هنجز بسرعة بإذن الله وأطلع عليكُم.

- أنا هموت واتصل من ٦ الصبح أصلاً! مش عارفة حاسة بإحساس غريب! وحشاني وعايزة أقعد معاكي كتير وعايزة أحضُنك.

- كُنا لسه مع بعض امبارح يا بنتي، ماتقلقيش كُلها سويعات وأكون عندك إن شاء الله.

- تيجي بألف سلامة إن شاء الله.

- سلمك الله من كُل سوء يا جميلة.

أغلقت سالمة الهاتف مع رحمة ولا يزال يراودها الشعور نفسه؛ شعور غير جيد على الإطلاق! وكانت شديدة القلق على رحمة.. وعلى الجانب الآخر قالت رحمة: يارب سلم.. حاجة جوايا بتقولي مش هشوفك تاني يا سالمة!

رأت أسماء سالمة شاردة بعدما أنهت كلامها مع رحمة فقالت لها: مالك يا سالمة؟

- مش عارفة عندي إحساس مش حلو من امبارح وإحنا بنسلم على رحمة قبل ما نُخرج من بيتها، والنهاردة قلقانة ومتوترة حاسة إني مش هشوفها تاني!

- بعد الشر إيه اللي بتقوليه ده! انتي مش كلمتيها دلوقتي ولقتيها بخير؟

- آه الحمد لله.

قلقت أسماء ولكنها حاولت أن تُطمئن قلبها وقلب سالمة قائلة: اهدي وخلينا نسمع كلام رحمة إننا نكون مُتفائلين ونُحسن الظن بالله وبلاش تشاؤم.

سالمة بابتسامة ممزوجة بالقلق: عندك حق.

ذهبت رحمة إلى شركة الخُضار لتُسلم على زميلاتها؛ روان، وملك، ومدام سامية.. وعندما علم الجميع بزيارتها فرحوا، أجلسوها وسطهم، وقامت رحمة من بينهِم وجلست على مكتب أُستاذ صبري، فتجدد الحزن، فنظر لها الجميع وكان الحُزن يتغمدها وظلت تتذكره بالخير.. وفجأة قالت روان: انتي زعلانة على مين؟ على واحد قذر!

فنظرت مدام سامية إلى روان وهي تُحدق بعينها وكأنها تُريد إسكاتها قائلة: روان!

رحمة: قصدك مين بالقذر!

روان: أنا لازم أقولها.. لازم عشان تعرف حقيقتهُ هي كمان.

رحمة: حقيقة إيه؟ في إيه يا روان؟

- أُستاذ صبري ماكنش كويس!

- روان انتي بتقولي إيه؟ ليه بتقولي كده! ده انتي حزنتي عليه جدًا لما مات!

- بعد ما مات أُستاذ صبري جه مُدير مكانهُ للمخازن، وأخد مفاتيح كُل حاجة ومفاتيح المكتب، بيفتح دُرج مكتب أُستاذ صبري بعد ما استلم مكانهُ لقى تابلت صُغير، أخدهُ لقاه مفتوح على كاميرا في المخزن الصُغير اللي فوق اللي كُنا بنطلع وننام فيه! اللي احنا عارفين إن ده مافيهوش كاميرات! وكُنت مفكرة أستاذ صبري كان بيقولي لوحدي اطلعي ريحي وأنا مش هقول لحد، وكان طيب معايا جدًا، وكان نفس الكلام بيقوله لملك وأي بنت بتيجي المخزن، بعد البحث لقيناه مصورنا واحنا بنغير هدومنا أنا وملك، انتي الوحيدة اللي في الفيديوهات كُنتي بتصلي أو حاطة شوال على

الأرض ونايمة عليه، لكن احنا بكُل قذارة صورنا واحنا بنغير.. حقير.. حقير.

ملك: ربنا بيحبك يا رحمة.

لم تستطِع رحمة الاستيعاب، فجلست تلتقط أنفسها بصعوبة، شعرت باختناق، مُحدقة في الأرض لا تُصدق مايحدُث! قائلة لنفسها: كاميرات! وكُل مرة يقولي اطلعي صلي واعملي اللي انتي عايزاه مفيش شباب هتدخُل عليكي! اقفلي الباب من جوة.. كُل ده كذب عشان نديلهُ الأمان ونثق فيه! تذكرت ما كان يحدُث لها في المخزن.. صوت الشيخ الذي قال لها أيتُها الصالحة! والثُعبان، وموت أُستاذ صبري.. وبعد برهة من التفكير قالت لهم: لحظة واحدة! كانت فين الكاميرا محطوطة؟ وفين الفيديوهات؟

ملك: الفيديوهات اتمسحت، والكاميرا كانت محطوطة مكان ما خرج الثُعبان اللي قتلتيه.

رحمة في صدمة مما تسمع، تُحدث نفسها: مكان الثُعبان! يعني الثُعبان حاول مرتين يحذرني وأنا فكرتهُ شر وقتلتهُ، وأُستاذ صبري اللي كُنت بعزه جدًا يطلع هو الشر كُله! إيه الحكاية؟ فدخل في نفس الأونة أستاذ مرزوق مُدير المخزن..

مدام سامية: أستاذ مرزوق دي رحمة اللي كانت شغالة معانا قبل كده..

- آه دي اللي قولنا عندها صرع!

فنظرت إليه رحمة باستغراب: صرع! أنا؟

روان: لما شوفنا الفيديوهات لقيناكي بعد ما صليتي قومتي من الصلاة مفزوعة، ولو نمتي تريحي بتقومي مفزوعة، فقال أُستاذ مرزوق إن ده صرع.. عندك صرع فعلاً يا رحمة؟

لم تُجب رحمة على كلام روان فلن يفهم أحد ما مرت به في المخزن، ولن يصدق أحد ما كانت تسمعهُ!

رحمة: ماحدش فيكُم شاف حاجة تاني غريبه مثلاً لما فحصتم الكاميرا؟

أستاذ مرزوق: الموضوع ده مر عليه سنة تقريبًا.

رحمة: طب هستأذن أنا.. مع السلامة.

خرجت رحمة من باب المكتب، فنادى عليها الجميع، لكنها لم تُجب عليهم، ذهبت تنعى نفسها عم حدث من خالها، ومن مُديرها أُستاذ صبري، اللذان رأتهُما بعينيها يموتان من قبل الثُعبان، أرادوا بها السوء ومكروا بها.. ظلت تسير وهي شاردة الذهن، وردها اتصال من زميلتها إسراء التي كانت تعمل معها في مركز الرمد بالمجرة..

رحمة: السلام عليكُم، إزيك يا إسراء؟

- وعليكمُ السلام، إزيك يا رحمة، فينك يا.بنتي ومابترديش على حد فينا ليه ومش بتزورينا ليه؟

- حقك عليا ماكُنتش عايزة أدخل المجرة تاني من بعد موت إسماعيل.

- طيب تعالي زورينا احنا، معقولة نستينا!

- لا والله مانسيتكُم حقكُم عليا، بصي عنيا بتزغلل وبصدع وبقالي مُدة بدوخ ومابقتش بشوف من غير النظارة خالص، لابساها ليل ونهار ومزغللة برده! احجزيلي عندك رمد.

- عنيا.. أحجزلك عند مين؟

- عند دكتور محمد المصري، واعرفيلي يومه إيه وقوليلي.

- دكتور محمد المصري جاي النهارده.

- مش كان يوم الثلاثاء! معقولة بقى الإثنين؟

- برافو عليكي لسه فاكرة المواعيد! آه ميعاده الثلاثاء فعلاً، بس هو نازل النهاردة مكان دكتور محمد صُبحي عشان دكتور محمد صُبحي اعتذر.

- طيب هجيلك النهاردة بإذن الله.

- طيب تعالي قُدامه أقل من ساعة.

- حاضر في طريقي ليكُم.

وصلت رحمة الهجرة وقبل أن تذهب إلى طبيب الرمد مرت على مكتب إسماعيل، وسلمت على المُديرين وحيت الجميع، ورأت مجاهد يجلس فلم تُلقِ عليه السلام، فناداها أستاذ مروان مُدير الموارد البشرية وأجلسها وتحدث معها..

أستاذ مروان: رحمة حاولت أتصل بيكي كتير ماعرفتش أوصلك! وكلمتك على الواتس آب ماردتيش، دورت عليكي على الفيس مالقتكيش!

- معلش من مُدة قافلة كُل حاجة.

- ليه يا بنتي كده؟

- برتاح والله، مافيش حاجة شغالة غير قناة اليوتيوب بتاعتي بس.

- احنا غلطنا في حقك وعايزينك ترجعي وسطنا، مش هنلاقي حد في كفاءتك وتعامُلك مع الناس، كُل المرضى والدكاترة بيحبوكي.

- وانتوا غلطوا في حقي إزاي؟ أنا اللي مشيت بعد موت إسماعيل ماستحملتش.

- للدرجاتي يا رحمة كان مأثر فيكي!

- آه كُنت بعتبره أخويا الصغير، كُنت بقوله إيه الملزمات اللي يجيبها ويذاكرها، ولو روحت أنا الكُليه بشتريها له وبذاكرلُهُ الحاجات اللي تُقف معاه، وكُنت بوصي عليه المُعيدين، وحاجات كتير كان بينا كُل خير، إسماعيل شخصية جميلة وجدع وطيب.

- واضح إنك غلطانة في حكمك ده يا رحمة.. انتي اللي جميلة وطيبة وجدعة وبتشوفي الناس كُلها طيبة، بس للأسف اتخدعتي!

تلعثمت رحمة في الكلام قائلة: مخدوعة! مش فاهمة!

- فاكرة اليوم اللي أنقذتينا فيه من العصابة! أهو إسماعيل اللي كان مخطط لكُل ده!

- مُستحيل.. ده كان مجاهد اللي خطط مش إسماعيل!

فشاورت رحمة على مجاهد وهي تتحدث، فقام مجاهد من مكتبه واقترب منها، وتوقف كل من بالمكتب عن عمله مستمعًا إلى الحوار..

مجاهد: رحمة.. أنا كُنت واخد أجازة ثلاث أيام لإن بنتي كانت بتعمل عملية أنابيب في الأُذن الإثنين، وعبد النبي كان معايا واسأليه، وإسماعيل اللي قالي لازم أخُد أجازة وأبقى مع بنتي!

- والقلم بتاعك اللي من سويسرا؟

- ماله القلم! نفس اليوم اللي أبديتي إعجابك بيه وقولتلك خُديه ورفضتي.. إسماعيل عجبُه قولتله اتفضله؛ فأخده.

أستاذ مروان: أنا عارف إنك مصدومة، احنا كمان اتصدمنا وماكناش قادرين نصدق.

رحمة: لا، أكيد في سوء تفاهُم إسماعيل كويس ومُحترم ومش بتاع عصابات.

فغضب أُستاذ مروان وارتفعت نبرة صوته قليلاً حزنًا على رحمة وعدم تصديقها كلامهم.. فقال: رحمة.. كان بيسرقك! كُنتي بتسلمي الشيفت بتاعك متقفل لا زيادة ولا عجز، أول ما تستلمهُ الحسابات العامة بتلاقي عجز! واتكرر الموضوع كذا مرة وماحدش عرف يكلمك، لإننا بلغنا مسئول وحدة الحاسب وفتح حسابك كُنا بنلاقي إن الشيفت متقفل تمام، لكن تحت في الحسابات لأ! بقى فريق بيقول عليكي نصابة وفريق بيقول غريب الأمر، وماحدش فاهم حاجة.

فنظرت رحمة إليه، ولم تسطِع الرد عليه وكأن لسانها شُل من الصدمة!

أستاذ مروان: عارف إنك مصدومة، وإننا ناس حقيرة إننا فكرنا فيكي كده، بس اتضح الأمر إن إسماعيل كان بيودك ومخلي العلاقة بينكُم حلوة عشان بيخدعك، هو شاطر في عمليات الاختراق، وكمان كان عامل أبليكشن يسرق منه يومياتك، مجرد ماتقفلي الشيفت تتحول عنده قبل ما توصل للحسابات العامة، فيتشك في أمرك انتي، زي ما رسم اللعبة عليكي إن مجاهد اللي مع العصابة عشان يبعد أي شُبهة عنه، وكُلنا من حبنا فيكي وإن ماعندناش دليل ضدك ماعرفناش نوقفك، وفكرناكي عرفتي اللي بيحصل حواليكي فسيبتي المُستشفى ومشيتي لإننا عارفين برده إنك مالكيش في المشاكل، فسامحينا وأرجوكي ارجعي وسطنا، أنتِ بريئة من أي اتهام في حقك.

فوقفت رحمة، وأدارت ظهرها لهُم، وسارت إلى الأمام وهي تردد: حسبي الله ونعم الوكيل.. حسبي الله ونعم الوكيل.

خرجت من المستشفى، ولم تذهب للكشف واتجهت إلى مكتبة الإسكندرية، جلست أمام البحر ناظرة إلى السماء تشكو الله و تبكي بحُرقة قائلة: يارب.. الكُل خذلني، الكل، مافيش حد ماخذلنيش! كُلهُم كذبوا،

لبسوا أقنعة، كُلهُم ذئاب.. حسبي الله أنتَ وكيلي، أنتَ ولِيِ في الدُنيا والأخرة توفني مُسلمة وألحقني بالصالحين.. حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوق، حسبي الرازق من المرزوق، حسبي الله لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنتَ رب العرش العظيم.

نظرت إلى الماء وحركة الأمواج، ورفعت رأسها إلى السماء ترجو الله وتُناجيه

يا الله.. أليسَ اللهُ بكافٍ عَبَده! بلى يارب، أنتَ الكافي وأنتَ ذو الجلال والإكرام، أنتَ محرك الموج هذا، وفاصل بين الماء العذب والمالح، ورافع السماء بغير عمد، ومُحي الموتى، ورب كُل شيء ومليكَه، اجبر خاطري، وفك كُربتي وداوي حُزني.

اللهُم إليك أشكو ضعفي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنتَ أرحم الراحمين، ورب المستضعفين، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملَكتهُ أمري! إن لم تكُن غضبانُ عليّ فلا أُبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت لهُ الظُلمات، وصلح عليه أمر الدُنيا والآخرة أن تُنزل عليّ غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لكَ العُتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. يارب المُعجزات سخر لي معجزة فكُلي يقين بك.

وبعد برهة من الوقت قامت واشترت زجاجة ماء، ولم تستطِع الدخول إلى مكتبة الإسكندرية، فلم تَعُد قادرة على القراءة، ولم تطق شيئًا، فعادت وجلست أمام البحر مرةً أخرى. مر بجانبها بائع الآيس كريم؛ رجل لهُ لحية بيضاء طيب الوجه، بشوش، وقف قائلاً لها: أيس كريم يا بنتي؟

- شُكرًا يا حاج، ربنا يديك الصحة.

- انتي بتحبي الآيس كريم، خُديه.

فتعجبت رحمة قائلة: حضرتك عرفت من أين!

- خُدي دي مني ليكي هدية، ومش عايز منك فلوس.

- تسلم، مش هقدر والله.

- يا بنتي الحُزن هيعمل إيه؟ اللي خان خان، واللي كاد كاد، واللي ظلم ظلم.. أهم شيء نتعلم من اللي بيحصل معانا في حياتنا، الدنيا أرض تجارب، نتعلم إننا مانثقش في حد من مُعاملته الظاهرة قُدامنا، وإن الناس دي كُلها مظاهر يا رحمة.. اتعاملي بحكمة في أمورك، واتصرفي بذكاء اصبري وصابري الله إله المُعجزات.

فتعجبت رحمة من معرفته اسمها: حضرتك عرفت اسمي من أين؟

رفع سبابته إلى السماء قاصدًا: أخبرني الله، فنظرت رحمة إلى السماء وهي في دهشة من أمر هذا الرجل، الحكيم الناصح، ثم التفت ثانية لتحدثه، فلم تجدُه ولم تجد عربة الآيس كريم، ووجدت بجانبها واحدة آيس كريم مكتوب عليها "عندما تعجز قُدُراتُنا يُبهرنا الله بالمُعجزات".

- يا حاج.. يا حاج.

بسم الله.. هو راح فين؟ ده اختفى! ده هو! أيوة هو اللي شوفته في المخزن.. هو اللي قالي أيتُها الصالحة.. يا الله مين ده!

وانتبهت للآيس كريم الذي تركه لها؛ فتناولته وكان طيب المذاق، وبعدها بقليل شعرت أن السُكر قد ارتفع نتيجة ما مرت به من صعوبات، وحُزن، وألَم هذه الفترة! لم تستطِع أن تضغط على أعصابها أكثر من ذلك.. ففضلت المكوث وحدها قليلاً..

وبينما هي جالسة أمام البحر أرادت دخول الخلاء، فعبرت الطريق إلى الجهة الأخرى، وكانت أمام المسرح التونسي، وكانت تعلم أن هُناك إحدى المقاهي الكبيرة والنظيفة، وعندما وصلت دخلت سريعًا، لكنها لم تنتبه للورقة التي كُتبَ عليها مُغلق؛ لأنها عندما اقتربتت من الباب أزاح الهواء الورقة فسقطت على الأرض، فدخلت ولم تجد أحدًا لتستأذنه! كانت تعرف جيدًا مكان الخلاء لأنها دخلتهُ من قبل مع سالمة، وبعد أن انتهت.. أخرجت الصابون من حقيبتها لتغسل يديها ووجهها من أثر البُكاء.. سمعت صوت قطرات ماء تتساقط ببُطئ في الخلاء الآخر، فظنت أن أحدهم ترك الصنبور مفتوحًا، وكان يزعجها هذا الشيء؛ لأنه إهدار للنعمة، فذهبت تبحث عن مصدر الصوت قائلة: هي الناس مافهاش صحة تقفل الحنفيات وراها! ولا كسل وإهمال؟ مش هيقدّروا نعمة ربنا وعظمة المياه في حياتنا!

دخلت لتُغلقها وكان المكان مظلم، وفوجئت بأن الماء يسقُط من فوقها ليس من الصنبور بعدما نزلت القطرات عليها، فأضاءت النور فوجدت جُثة معلقة تتساقط منها الدماء! فخرجت فزعة سحبت حقيبتها سريعا تريد مغادرة المكان وفوجئت بوجود خمسة رجال يرتدون زي رُمادي اللون، وسبعة آخرين يتحدثون معهُم يرتدون زي أسود اللون، وفي كلامهُم ريبة، فأخرجت هاتفها وفتحت الكاميرا وصورت فيديو لما يدور بينهُم كاملاً، كانت خائفة، يداها ترتجفان فمنظر الجُثة أرعبها كثيرًا، وكُل ما يدور يُزيدها رُعبًا، لكنها علمت أن الأمر خطير.

زعيم العصابة ذات الرداء الرمادي اللون يدعى البرنس، وزعيم العصابة ذات الرداء الأسود يُدعى ثروت.

البرنس: إيه يا ثروت بيه اتأخرت أوي في التسليم!

- كُل تأخيرة وفيها خيرة يا برنس.

تبادل كُل منهُمَا الحقائب، ونظر كُل منهُما في حقيبته، فوجد ثروت البضاعة كما تم الاتفاق، لكن البرنس تم خِداعه هو وأفراد عصابته.

البرنس: إيه ده؟ دي خيانة!

فقام ثروت على الفور بإطلاق الرصاص على البرنس من مسدسه الكاتم للصوت قائلاً بكل سخرية واستهزاء: واحنا في الأمانة ملناش، وبنبيعها ببلاش.

وبالفعل قام بقتل البرنس وعصابتهُ جميعهم، كان مُدبر الأمر لقتله من البداية.. سجلت رحمة كل ما حدث بالفيديو، بالرغم من أنها كانت ترتعد خوفًا، وفقدت أعصابها، قامت بتحميله سريعًا على قناتِها على اليوتيوب وكتبت "جريمة قتل أون لاين"! وفي لحظة تحميلُه كانت تُفكر بطريقة ما للهروب، فهُم قريبون جدًا من الباب وإن حاولت الخروج سيمسكون بها ولا مخرج من هذا المكان إلا من هذا الباب! حاولت التسلُل ببُطء، وكادت تقترب من الباب لمحها ثروت زعيم العصابة قائلاً: مين دي؟ ودخلت إزاي؟ هاتوهالي.

فأسرعت رحمة وفتحت الباب وخرجت، خرج ثلاثة أفراد من العصابة خلفها، فرأت "الأوتوبيس" قادمًا فصعدت به، فضرب أحدهم الأرض بقدمه غضبًا، وعزموا على مُلاحقتها بالسيارة!

ركبوا الثلاثة سيارتهُم "الجيب السوداء" ليلحقوا برحمة، وقد ذهب الأوتوبيس بعيدًا عنهُم، لكنهُ ما زال تحت أنظارهم ورحمة تُتابع الأمر من النافذة تدعو الله أن ينجيها قائلة:

يارب نجيني وماحدش يمسكني أو يصبني بأذى.

فاضل ١٧٪ ويحمل، لو كلمت البيت أو أي حد هيفصل التحميل، وهيرجع يحمل تاني من الأول! خلاص بلاش.

فاتصلت والدة رحمة فاغلقت عليها رحمة، وكذلك سالمة، حتى لا يتوقف التحميل، وبعدها تعطلت حركة المرور، اقتربت سيارة العصابة من الأوتوبيس، توقف الأوتوبيس أمام فُندق توليب، خرجت العصابة من السيارة، وعندما رأتهُم رحمة غادرت الأوتوبيس دون أن يروها، وعندما وصلوا لم يجدوها! لكن أحدهم نظر من نافذة الأوتوبيس ورآها تدخُل الفُندق فأسرعوا خلفها..

دخلت رحمة خِلسةً إلى الفُندق، وعبرت طُرق صغيرة وممرات ولم تدرِ إلى أين ستأخذها هذه الطُرق وهذه الممرات! إلى أن وصلت إلى طُرقة طويلةَ كُلها أبوب مُرقمة، ففتحت بابًا ودخلتهُ وأغلقت عليها، ولا تدري أي بابٍ قد دخلتهُ وماذا هُناك؟ وجدتها غُرفة مملوءة بالملابس والشعر المُستعار وأدوات الماكياج والزينة والنظارات وغيره.. ففكرت كيف تُصرف نظر العصابة عنها فغيرت ملابسها وغيرت لفة حِجابها، ونزعت النظارة من على أعيُنها حتى تخرُج ولا يعرفها أحد، ولكن فجأة طرق الباب!

حنان: أميرة انجزي دورك قرب افتحي..

فأجابت أميرة من داخل الحمام قائلة: حنان مش قادرة عندي إسهال، اتصرفي اعملي حاجة!

- ياربي! ده وقته! هنزل أشوفلك في الصيدلية أنتينال.

فحدثت رحمة نفسها همسًا: إيه ده! ماكُنتش أعرف إن فيه حد هنا! كويس إني ماعملتش صوت وإنها ماحستش بيا.. الحمد لله تم التحميل.

انتظرت رحمة ذهاب حنان، وفتحت الباب وهمت بالخروج فوجدت أمامها رجُلاً وامراة.

المرأة: يلا يا أميرة اطلعي على المسرح، دورك.

الرجل: ورينا موهبتك يا أميرة..

رحمة: مسرح إيه وموهبة إيه؟ أنا ماسميش أميرة.. في سوء تفاهُم!

ولم تجد رحمة نفسها إلا على المسرح نظرت يمينًا ويسارًا، حاولت أن ترى بدون النظارة، لكن كل شيء كان مشوشًا، فوضعت النظارة، وصدمت بعدما عرفت أنها في برنامج المواهب الشهير! وكانت تكره هذا النوع من البرامج.

فظلت تُحدث نفسها وهي على المسرح: إيه اللي جبني هنا ياربي!

كان الحُكام: نغم، أمجد، منصور يحدثونها وهي لا تجيب..

نغم: يلا يا جميلة عرفينا بنفسك؟ وإيه الموهبة اللي هتقدميها؟

أمجد: اسمك إيه؟

- اسمي رحمة.

نغم: انتي من أين يا رحمة؟

- من هنا.. من إسكندرية.

ظلت تنظر حولها خوفًا من العصابة، فلمحتهم في استوديو البرنامج!

أمجد: متوترة ليه كدة؟ خليكي عادي خالص، هتغني ولا هتقدمي إيه يا رحمة؟

تعثرت رحمة في الكلام بعدما رأت أفراد العصابة فقالت: آه هغني..

العصر.. العصر القديم والعصر الحديث ماليش فيهُم

منصور: مش فاهمين.

- قصدي يعني مش هغني لحد لا قديم ولا جديد، هغني أغنية من تأليفي.

أمجد: حلو جدًا ابدأي، شغلوا الموسيقى.

- من غير موسيقى.

منصور: ماشي ابهرينا.

- يارب سلم.

بدأت بهدوء أُغنيتها التي في أولها حُزن، وبعدها أتى الأمل، والأماني، وعلت أصوات الجمهور صياحًا وهتافًا يحيونها.. وزاد حماس كُل الحكام والحضور

أغمضت رحمة عيناها وقالت:

ماشية في حياتي تايهة.. ماليش ولا غاية

سور القفص عالي.. وجناحي مش طايله

فين الفرح؟ فين الهنا؟

كُلها حكاية تتغنى في فيلم أو قصة! ماهُمش ع الواقع آية

ياااه

لو حياتي تتحول جنة! وأفرح بقى واتهنى

وأشوف نجاحي بعنيا.. مالي الدنيا عليا

وأعيش قصة حب كبيرة، كبيرة

بين الملِك والأميرة

وأُرزق الذُرية الصالحة..

عُمر، مريم هُما الفرحة

عُمر يكون زي الفاروق ويرجّع للأُمة العزة

مريم تكون زي العذراء.. في طهارتها كده وفي العفة

وأعيش حياتي رضيانة.. وبعملي للخير فرحانة

وأنسى كُل اللي فاتني.. من هم وحُزن خدني

تُختم حياتي بالحسنى.. وأكون ذكرى حلوة كاليُسرا

ياه لو حياتي تتحول جنة!

فوقفت لجنة الحكام والجمهور، صفقوا لها من جمال صوتها وكلماتها..

أمجد: روحك حلوة ملت كُل المكان، أنا جسمي أقشعر يا بنتي.

منصور: والله قولتلك ابهرينا تلقائي كدة، لكن ماكُنتش أعرف إني هنبر بالجمال ده بجد!

نغم: روعة، روعة يا رحمة ما شاء الله حبيتك كتير.

أمجد: الباز الذهبي من حقك.

تطايرت الزينة، واشتعل المكان بالصياح، ورحمة لا تعرف ماهو الباز الذهبي، ولا يُشغل بالها سوى أن تخرج من المكان هربًا من العصابة التي عرفتها بعد أن وضعت النظارة! وبينما الجميع يُحيونها هربت مُسرعة من خلف السِتار، وخرجت من الفُندق بشكل تعجب منهُ الحضور والمُشاهدين والحُكام! خرج خلفها أفراد عصابة ثروت الذي ازداد عددهُم إلى سبعة أشخاص، وبينما تجري منهُم تجاه كوبري استانلي عبرت الطريق وكادت تصل إلى الجهة الأخرى من البحر بسلام.. لكن صدمتها سيارة وقذفت بها في البحر من فوق الكوبري قذفة قاتلة! كانت الضربة قوية جدًا شعرت رحمة بأنها النهاية، رددت "أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله".

وبعدما بحثت العصابة عنها، وتأكدوا أنها مستحيل أن تنجو من سقطة كهذه أبدًا. نظروا فلم يجدوا لها أثرًا في ليل البحر وظُلمته فتراجعوا وعادوا إلى زعيمهُم.

كانت الفتيات ينتظرن رحمة.. فقالت سالمة: يا بنات أنا هموت من القلق على رحمة، دي صايمة واتفقنا إنها هتيجي وهنفطر سوا معاها، تليفونها مقفول مش عارفة أوصلها!

غادة: أنا اتصلت بيها كتير العصرية قبل ما أوصل أنا وعبير، وأول ماوصلنا وكنسلت عليا!

أصبح منزل رحمة كله في قلق ورعب من غيابها، وكذلك الأصدقاء الخمسة..

أمسكت نورا هاتفها؛ لتتصل برحمة، وحاولت مرة أُخرى لعلها تُجيب.. فوصل لها إشعار من اليوتيوب ففتحته لتجد عنوانًا شد انتباهها.. "موهبة تحصل على الباز الذهبي" نظرت إلى الفيديو جاحظة العينين وقالت: بنات.. بنات مش دي رحمة!

فنظرت الفتيات بدهشة وقد فتحت نورا الفيديو وفي صوت واحد.. رحمة!

سالمة: في حاجة غلط! رحمة عُمرها ما اهتمت بالبرامج دي، دي بتكرها جدًا.

نورا: كانت قالتلي وكُنت روحت معاها، أنا بعشق البرنامج ده.

سالمة: إيه اللي بتقوليه ده يا نورا؟ أنا قلبي مقبوض افتحي الفيديو يمكن نوصل لحاجة.

وأثناء مشاهدتهُم الفيديو قالت سالمة: وقفي وقفي.. رجعي الحته دي تاني كدة!

أسماء: في إيه يا سالمة؟

ففعلت نورا مثلما أرادت..

سالمة: أنا قولت رحمة في خطر، في مُصيبة.

غادة: في إيه يا سالمة رعبتينا؟

نورا: انطقي يا سالمة رحمة مالها

سالمة: العيد اللي فات أنا ورحمة كُنا هنتخطف وربنا نجانا، والحمد لله رحمة قدرت تتصرف بحيلة وذكاء.. وقتها قالتلي لازم يكون بينا كلمة سر لو أي حد فينا في خطر أو في مُشكلة التاني يعرف، قولتها وإيه كلمة السر؟ وساعتها احتارنا فيها، فأذن وقتها العصر، فقالتلي العصر! العصر هي كلمة السر، هنكررها ثلاث مرات، وتعدي على إيدك ثلاث مرات وانتي بتقوليها، وهي هنا في الفيديو لو رجعتوا وبصيتوا معايا قالت العصر دي أول مرة وعدت على إيدها، وبعدها قالت العصر القديم وعدت برده على إيدها، وقالت العصر الحديث وعدت على إيدها! كده الثلاث مرات، رحمة كانت بتبعتلي رسالة، لازم نعمل حاجة وننقذها.. يا حبيبتي يا رحمة..

غادة: بنات الحقوا.. رحمة منزلة على القناة بتاعتها فيديو مكتوب عليه جريمة قتل أونلاين!

فانهارت سالمة وصرخت قائلة: يا الله.. طب افتحي بسرعة.. رحمة في مُصيبة قولتلكُم!

إيه ده؟ ده كافيه لابرنسيس!

نورا اعرفيلي البرنامج ده بيتعرض فين؟ أكيد هنا في إسكندرية

نورا: لحظة وهعرف..

بحثت نورا، وبعدها نظرت بدهشة للجميع قائلة: في فُندق توليب

سالمة: كدة رحمة في المنطقة دي ما بين الشاطبي وتوليب..

وحدثت والدة رحمة سالمة وكانت تبكي من القلق على رحمة..

والدة رحمة: عرفتي مكانها يا سالمة؟

سالمة: ماتقلقيش يا أمي، رحمة بخير إن شاء الله، احتمال تكون في فُندق توليب، نزل اثنين من الفيديوهات ليها، واحد عند الشاطبي والتاني في فُندق توليب

والدة رحمة: فُندق توليب! طيب احنا رايحين لهناك أنا وأبوها وأخواتها.

أغلقت سالمة الهاتف، وزاد الخوف في قلب سالمة، حدثت نفسها قائلة: يارب أنا كان قلبي حاسس إني مش هشوفها تاني.. يارب خيب الإحساس ده وتكون بخير.

وصلت سالمة والأصدقاء إلى كوبري استانلي بصعوبة؛ لوجود ازدحام شديد، والبعض يقولون أنه نتيجة حادث أوقف المرور كُله!

نورا: حادثة!

سالمة: مالناش دعوة يا نورا، ربنا ينجي صاحبها، يالا بينا ننزل هنا ونكمل على رجلينا الباقي وندور على رحمة.

تجهزت الفتيات للعبور إلى الجهة الأخرى، عندها مر أحد الضُباط من جانبهن يتحدث في الهاتف قائلاً: اسمها رحمة.. هشوف الشهود وهنفتح محضر بالحادث..

سمعت الفتيات اسم رحمة فتخشبن من الصدمة! ارتجفت قلوبهن، نظرت كُل واحدة للأُخرى في فزع وخوف، أما سالمة فقد سقطت دموعها من شدة الرُعب ولحقت بالضابط قائلة: لو سمحت.. لو سمحت حضرتك إيه حصل؟ ومين رحمة اللي بتتكلم عنها؟

– الشهود بيقولوا إن في بنت كانت بتجري بسرعة بين العربيات، فجت عربية خطبتها واتحدفت في البحر!

– حضرتك عرفت اسمها من أين؟

– لقينا التليفون ده مكسر من الحادثة، وفي ظهر الجراب بطاقتها.. تقريبًا اتحدف من إيدها من شدة الضربة!

أمسكت سالمة البطاقة والهاتف، نظرت فيهمَا، فارتعد جسدها وهرولت ناحية البحر تصرخ قائلة: رحمة.. رحمة.. رحمة.

جرت إليها صديقاتها، فعلمن الفتيات أن من سقطت في الماء نتيجة الحادث هي رحمة! فقالت نورا بصوت حزين خائف، رحمة! رحمة ماتت!

فصرخت سالمة في وجهها قائلة: ماتقوليش ماتت.. ماتقوليش ماتت.

وأخذت تنادي على رحمة وهي تبكي في خوف شديد، ترجوهم أن ينزل أحدهم إليها.. ظلت تبكي إلى أن اختل توازنها وسقطت على الأرض وسقطت القدم الصناعية، فحملتها نورا وأسندتها على الرصيف، أما أسماء فقد نزل عليها الخبر كالصاعقة، ظلت تنظُر في الماء ولا تُحدث صوتًا وكأنها في عالم آخر من هول الصدمة!

بلغت الشُرطة أهل رحمة، وجاءت والدتها تبكي على ابنتها، جلست على أمل أن تخرج من الماء. استمر البحث عن رحمة ثلاثة أيام لم يُعثر عليها، وتوقف البحث بعدها، لكن الفتيات وأهلها ظلوا أمام البحر لا يريدون أن

يغادروا المكان علهم يرونها ثانية.

سالمة: ماما.. قومي يالا رحمة خلاص راحت للي خلقها.

والدة رحمة تنظُر بشرود إلى البحر وتُحدث سالمة قائلة: مابتعرفش تعوم.. بنتي مامتتش يا سالمة.. مش قادرة أصدق!

- لازم نتقبل الأمر يا أمي، ده أمر الله.

- ماتت! ماتت صايمة يا بختها.

زدادت سالمة فوق البُكاء بُكاء على حالة الأم، حاولت أن تجعلها تهدأ قليلاً قائلة: ماتت صايمة يا أمي، يا بختها فعلاً.. كانت دايمًا تقول يارب أموت على ما تُحبه، يارب أموت على حُسن خاتمة، ماتت وهي شاهدة بالحق على جريمة كبيرة وبضاعة كانت هتدمر شباب بلدنا.. أنقذت الناس، ماتت محبوبة وهي ناشرة الحب والود والطيبة، ماتت وهي بارة بوالديها، وواصلة الرحم، ومُطعمة الجائع، خسرتك الأرض وكسبتك السماء يا صديقتي. ومن ثم انفجرت سالمة ووالدة رحمة من البكاء، وعانقن الفتيات الأم، وبكين قهرًا على فُقدان الحبيبة.

انتشرت الأخبار وملأ الخبر الصحائف بأكثر من عنوان أحدهُم "اغتيال موهوبة" والآخر "قتل نجمة برنامج المواهب الشهير" وآخر "قتل صاحبة أعلى فيديو مشاهدة على اليوتيوب: "جريمة قتل أون لاين" وعنوان "حادث سير قلب الموازين" طالبت الناس تحقيق العدالة لرحمة، تعاطف الجميع مع رحمة على وسائل التواصل الاجتماعي، وتم القبض على العصابة ونالت رحمة شرفًا عظيمًا وتكريمًا جليلاً.

***

الفصـــل الثاني

تستيقظ الأميرة رَايُوس من نومِها على سريرها المُنعم المفروش بالحرير، تُزينهُ الورود، حولها الخدم. تفتح عيناها وتُحدث خادمتها المُفضلة "مانيشا" التي تعتبرها صديقتها قائلة: صباح الخير مانيشا.

- صباح الخير مولاتي.. قد أتى مولاي الملك وبحث عنكِ في كُل مكان وهو يُريدُكِ في البلاط الملكي.

- أبي! ماذا هُناك؟

- مولاتي.. قد شُغل بال الملِك عليكِ، فعندما عدتِ بالنصر مع الجيش، واحتفل عامة الناس.. اختفيتِ!

- كُنت مُرهقه كثيرًا مانيشا، فقد كُنت أنتظر اللحظة التي سأضع رأسي فيها على الوسادة وأنام بعد معركة دامت ثلاثةً أشهر لم أرَ فيها النوم!

- أعلم مولاتي.. فقد أثنى عليكِ قائد الجيش ثناءً حسنًا جعل مولاي الملِك يفتخر بكِ، قال: "لولا وجودكِ لخسِروا، ولولا رجاحة عقلكِ لهلكوا، فقد كُنتِ المُحفز الأساسي للجُند، المُهتمة بأمورهِم من طعامٍ وشرابٍ وكسوةٍ وأسلحة، سهرتي على تفقُد أحوالهُم، لم تتذوقي طعم النوم أو الراحة".

- صحيح ما قاله، لكني لم أكُن وحدي السبب في النصر يا مانيشا الفضل يرجع لشخصٍ آخر، ومن ثم إلى قوة جيشنا المُناضل المُكافح.

- من هو مولاتي! قُصي عليّ من؟ وماذا حدث؟

- سأقُص عليكِ ما حدث مانيشا وكأنكِ معنا تمامًا..

وبدأت تقص الأميرة رَايُوس على مانيشا ما حدث؛ فقبل بدء الحرب بينها وبين العدو كان الجيش في حماسٍ شديد، وازداد حماسهُ وقوته بعدما نادتهُم الأميرة قائلة: أيها الجنود حاربوا العدو اللدود، يا جنود رَايُوس قاتلوا حتى الممات فالموت في سبيل البلاد هو أعظم شرف لكم، أيها الجُند قاتلوا بثبات.

وبالفعل بدأت المعركة الأولى التي قتل فيها جيشُ رَايُوس آلاف من جيوش العدو، ولكنها لم تكُن الحرب النهائية، فقد تراجعوا وفروا، وأثناء تدريب الجُند ونصب الخيام استعدادًا للمعركة الحاسمة وجدت رَايُوس منحلاً للعسل؛ مكان مُمتلئ بالنحل فكانت تأخُذ منهُ يوميًا وتُطعم بهِ الجُند، وكانت ترتدي كِسوة كاملة للجسم خشية من أن تلدغها نحلة، ولم يظهر إلا عيناها.

أصبحت كُل يوم تأخُذ العسل دون أن يقترب منها النحل، ولم يتحرك وكأنه اعتاد عليها وعرفها. بدأت الحرب الثانية ولكن كانت هُناك خُدعة من العدو، فلم تكن جيوش من البشر فقط هي التي تُحارب، بل كانت هُناك وحوشًا ضخمة! أول مرة ترى رَايُوس وجيشها مثل هذه الوحوش الضخمة، فقاتلوهم الأعداء وقتلوا من جيش رَايُوس الآلاف! فأمرت رَايُوس الجيش بالتراجع حتى لا تفقد الجيش كُلِه ورجعت حزينة على الهزيمة الساحقة التي وقعوا فيها، اقترح عليها قائد الجُند "تيجاروش" أن تعود إلى المملَكة، فأبت ألا ترجع إلا وقد حققت النصر، فحل الليل ونام الجنود، مرت تُداوي الجرحى منهُم وتسمع أنين أوجاعهُم حتى أقسمت حينها أنها لن تعود إلا بالنصر، وأثناء سيرها وهي تُفكر ماذا تفعل وجدت مجموعة من الأفراد ما يقرُب الثمانية يُقاتلون شخصًا واحدًا! لكنها وجدتهُ يُحارب بقوة وشجاعة، ظلت تشاهد ووجدت أن سلوكه في القتال معهُم أخلاقي، فقد

سنحت لهُ الفرصة أن يقتل أحدهم ولم يقتله، فكادت تُصيبه طعنة فثارها الغضب وما وجدت نفسها إلا مخرجة سيفها وذهبت لمُساعدته، أنقذته بالفعل وحاربا سويًا حتى فر الآخرين.

كان الشاب خمري اللون، طويل القامة عيناه بُنية وبياضها يشعُ نورًا، شعر رأسه ناعمُ طويل أسود، وحاجباه كثيف الشعر، مفتول العضلات، آية في الجمال، بدا عليه الجدية، لا يبتسم، تُتوجه الهيبة والوقار.

علمت بعدها أن اسمهُ "نبَّاز" وهنا دار الحديث بينهم..

نبَّاز: شكرًا لمساعدتك أيتُها الأميرة رَايُوس.

فنظرت إليه بتعجُب قائلة: أتعرفُني؟

- ومن لا يعرف أميرة في شجاعتكِ وقوتك! أنتِ التي تأتي كُل يوم إلى منحل العسل الخاص بي، تأخُذين العسل وتذهبي.

فأجابتهُ رَايُوس والخجل يتملكُها: أهو لك! عُذرًا لم أكُن أعلم، لم أرَ أحدًا هُناك، ولم أراك من قبل.. حقًا آسفة، لمَ لم تُخبرُني؟

- يكفي أنكِ تقومين بفعل هذا الأمر من أجل جُندكِ.

- أنتَ شخصُ يبدو عليه الصلاح والكرم، لم هجم عليك هؤلاء وكادوا يقتلونك؟

- وما رأي الأميرة رايوس في أن نجلس سويًا هنا لأقص عليها قصتي..؟

وافقت الأميرة رايوس وجلسا على صخرة أمام البحر، نظر نبَّاز إلى الماء الجاري وقصَّ عليها..

- أنا لستُ من جِنسُ البشر بل من الجن، اسمي "الأمير نبَّازيوس" والدَاي المَلك والمِلكة اللذان يحكُمان عرش مملَكة الجن، وكانوا مُحبين للخير

على عكس طباع الجن المعهودة، ولكن عمي "زَنَيم" كان من الحاقدين علينا دائمًا وزاد حقده عندما تولى والدي الحُكم لإنهُ صاحب حكمة عنهُ، فدبر مكيدة وبكل مكر قتل والدَاي ولم يكتفِ بهذا بل حاول قتلي أيضًا! فهربتُ على الفور، وادعى للناس كلها أنهُ حزين مما حدث لأخيه وزوجته وبفقدان الأمير نبَّازيوس، ثم أعلن نفسه مَلك مملَكة الجن عُنوة، وحصل على القوة؛ قوة السلطة لكنها ليست القوة الكاملة. وجدوني عدة مرات من قبل، لكني في كُل مرة أستطيع الهرب، فقد سُلبت مني قوتي عندما هربت من المملَكة، حينها علمتُ أن قوتي وقوة والدَاي منذُ أن اختفيتُ وماتوا حُبست بداخل زهرة تسمى "زهرة جنياس" وهي زهرة الشفاء، من يجد هذه الزهرة يصبح قويًا وسيحصل على قوة عُظمى. بحثتُ عنها كثيرًا شرقًا وغربًا ولم أصل إليها! وأنا في خوف أن يحصُل عليها عمي زَنِيم ملِكُ الشر، وابنهُ "هَمّاز" وإن حصلا عليها سيُدمر العالم ويصبح عالمًا للشر فقط، ولن يبقى وجود للخير أبدًا.

- كُنت أعلم أنك صالح، سأساعدك وهذا وعد مني إليك سأبحث عن هذه الزهرة من أجلك لتعود إلى مملَكتك وتحكُم بالعدل والخير وتقضي على الظُلم والشر.

- وأنا خَادمُكِ مولاتي.

- كيف! أنتَ كُنت أميرًا وبعد مقتل والدايك ستُصبح الملك فكيف تقول خادمي؟!

- خَادمُكِ مولاتي، فأنتِ مَن أنقذتينني من الموت.

- بل الخير الذي بداخلك هو الذي أنقذك.

- ولكن ما الذي أخرجكِ من خَيمتك في هذا الوقت أيتُها الأميرة؟

- التفكير القاتل! فقد هُزِمَ جيشي من قِبَل وحوش ضخمة لم أرها من قبل.

- تقصدين الماموث!

- ماذا! أهَكذا اسمها؟

- نعم، "الماموث" أو "البهيموث"

وحوش ضخمة لها أنياب معقوفة، وخرطوم طويل،

- نعم، كانت وحوش غريبة وضخمة ومُخيفة.

- اطمئني فالحرب القادمة سيكون النصر لكِ ولجيشك.

- كيف؟ وكيف سنُقاتل هذه الوحوش؟!

نبَّاز: ليست وحوشًا، فلكُل مخلوق نُقطة ضعف.

- وما هي نُقطة ضعفهم؟

- المنحل.

- المنحل!

- النحل يا مولاتي يخضع لأوامري، والماموث تخَافُ النحل.

- وكيف علمت هذا؟

نبَّاز بابتسامة هادئة: ألم أُخبركِ أنني من الجن!

ابتسمت لهُ، وبعدها مازحتهُ قائلة: أتعلم! لولا أنك من الجن لوقعتُ في غرامك.

وكان نبَّاز في هذه اللحظة ينظر إلى الأميرة رَايُوس نظرة الحب والهُيام ويقول في داخله: أنا الذي قد وقع في غرامكِ من أول وهلة أيتُها الأميرة.

أخذ نبَّاز الأميرة رَايُوس إلى منحل العسل، وبدأ يأمر النحل فيتشكل

جماعات جماعات، فتحمست واندهشت من قُدرته في هذا، وأحبت ما يفعل..

بدأت المعركة الثالثة بين جيش الأميرة رَايُوس وجيش العدو، وأشار نبَّاز إلى النحل فهجمت أسراب النحل على الماموث وجنود العدو، فتزعزعت صفوفهُم وفزع الماموث واختل توازنه، فهجمت جنود رَايُوس عليهُم كأسراب الجراد، وقتل جُندها جنود العدو والماموث وعادوا منتصرين بفضل فكرة نبَّاز.

مانيشا: أراكِ مُعجبة بنبَّاز يا مولاتي!

- نعم، معجبة بشجاعتهُ، وقوتهُ، وذكائه.

- كما أنه أيضًا وسيم جدًا.

- كيف عرفتِ؟

- حال الخدم من النساء والعامة من الناس عندما رأوه عائدًا مع الجُند.

- قد قطعت وعدًا لهُ أنني سأبحث عن هذه الزهرة التي ستُعيد لهُ قواه وستمنحهُ القوة العُظمى

- أتمنى أن يحصُل عليها في القريب العاجل.. هيا مولاتي لترتدي الفُستان الذي صنعتهُ والدتكِ لكِ.

- تبًا للفساتين جميعها.. لا أستطيع تحملها عليّ، لا أعرف لِمَ تُصر أمي عليّ أن أرتديهُم!

- مولاتي أنتِ امرأة في الخامسة والعشرين من عُمرك، جميلة فلمَ تعيشين كالرجال في ثوبهِم ومُعاملاتهِم وتحرُكاتهِم؟! لا تجعلي قيادتُكِ للجيش تُنسيكِ أنكِ أُنثى!

– مانيشا.. مَللتُ من حديثكِ هذا مرارًا وتكرارًا، اذهبي واحضري الفُستان الذي صنعتهُ أُمي سأرتديه حتى لا تحزن الملكة فقط.

ففرحت مانيشا وسر قلبهَا بموافقة رَايُوس قائلة لها: في الحال يا مولاتي.

أتت مانيشا إلى غُرفة الأميرة رَايُوس، ومعها الفُستان واثنتين من المُساعِدَات..

رَايُوس: فُستانُ أزرق!

مانيشا: مولاتي صنعتْ لكِ الفُستان على اللون الذي تُفضِلينهُ.

فنظرت رَايُوس إلى الفُستان بحب قائلة: إنه حقًا رائع، لكني لا أُريد أن أرتديه.

فنظرت إليها مانيشا بحُزن قائلة: مولاتي.. ستحزن المِلكة!

فتنهدت رايوس بغضب قائلة: هيا ساعدوني هل سأرتدي هذه الخَيمَة بمُفردي؟!

فرحت مانيشا مرة أخرى؛ لأن الأميرة سترتدي الفُستان.

ارتدت رَايُوس الفُستان وبدت وكأنها بدرًا منيرًا، فلم يرها أحد بفستان من قبل، حتى أنهُم لم يُصدقوا أنها هي الأميرة رَايُوس! خرجت من غُرفتها والخدم جميعهُم واقفين ينظرون إليها في دهشة، يُحيونها ويباركون لها على النصر. وصلت البلاط الملَكي عند والدها الملك ماجدونيس والوزراء، فوقف الجميع احترامًا لمجيئها وانحنى لها الوزراء تبجيلاً، فتح الملك ذراعيه؛ ليُعانق ابنته سعيدًا فخورًا بها قائلاً: الابنة العظيمة والمُحاربة الشجاعة، كُنت أتمنى أن أنجب ولدًا يحكُم بعدي فأنجبت الإثنين معًا قُمتي بدور الابن والابنة وأظهرتي لي الشجاعة والقوة وحُسن التصرف، أنتِ من تستحق أن تكون

ملكة البلاد، أُشهد الجميع أنه من اليوم سيتم تتويج رَايُوس مِلِكة للبلاد، أعدوا الاحتفالات وليسعد الجميع.

بدا تأثير هذه الكلمات على عكس ما يظن الجميع، فقد أحبطت رَايُوس كثيرًا، لم تُرد أن تكون ملكة الآن! فالأمر من وجهة نظرها باكرًا جدًا، فقالت لأبيها: أبي.. ماذا تقول؟!

المِلِك ماجدونيس: أقول ما تستحقينهُ، أنتِ مِلِكة البلاد.

فاحتضنت المِلِكة ابنتها رَايُوس قائلة: تبدين كالقمر ليلة البدر أيتُها الجميلة.

- أُشبه أُمي.. ودائمًا جميلةُ في نظرك، وإن كُنتُ بملابس الحرب أُشبه الرجال.

فقبلت المِلِكة رأس ابنتها قائلة: حقًا صدقتي.. هيا تجهزي فقد أصبحتي الآن ملكة البلاد.

- إنهُ لعبء ثقيل يا أُمي.

- وأنتِ قادرة على تحمله حبيبتي.. لا تقلقي فأنا ووالدك بجانبكِ.

- لا حُرمت منكُما أبدًا.

فعانقت رَايُوس أمها، وخرجت عائدة إلى غُرفتها، وأثناء سيرها سمعت صوت عزف على الناي بدأ لها أنه آتٍ من الحديقة فتحركت ناحيته، وعندما اقتربت قالت بصوت مسموع: من أين يأتي هذا الصوت؟ فسمعها نبَّاز الذي كان جالسًا تحت شجرة ولم تلحظه رايوس، فالتفت لصوتها الذي هو محفور بداخله، فتحرك تجاهها.. فاندهشت قائلة: نبَّاز!

انبهر بجمالها وجمال فستانها وقال محدثًا نفسه: كالورد الأحمر وقمر الليالي تزدادين جمالاً على جمال رايوس.

رايوس: نبَّاز أأنت من كنت تعزف؟!

- نعم مولاتي، أسقطت الشمس وأخذتِ مكانها لتُشرقي اليوم؟!

تبسمت رَايُوس خَجلَةً من قوله قائلة: طيب الكلام أنتَ يا نبَّاز.. فإن كُنتُ أنا شمسًا فانظر أنتَ في المرآة ستجد قمرًا. عندي لكَ خبرًا جميلاً استعد لأخبرك به..

- ستصبحين ملكة البلاد.

- نعم، ولكن ليس هذا الخبر الذي أُريد إخبارك به!

- إذن فما هو الخبر؟

- إنها مُفاجأة فلتنتظر قليلاً..

- على شوق مولاتي.

- صحيح.. ماذا يعني اسم نبَّاز؟

- اسم نبَّاز يعني الفصيح، ونبَّازيوس يعني مَلك الفصاحة.

وماذا يعني اسم رَايُوس؟

- تزوجا والداي عن قصة حب وعشق جميلة، ولذلك اختارا لي اسم رَايُوس وهي تعني العِشق.

ثم أتت رياح خفيفة، وتحركت مشاعر نبَّاز فقال: وهي كذلك.

- ماذا؟

- لا شيء رَايُوس.

وبعدها عادت رَايُوس إلى غُرفتها ونظرت من شُرفتِها إلى الاحتفالات فتبسمَت وغمرت البهجة والسرور قلبها.

دخلت مانيشا قائلة: عدتِ بالنصر فعادت السعادة في قلوب الرعية.

- حقًا إنها الحُرية.

تجهزت الاحتفالات وتُوجت رَايُوس ملِكةً للبلاد، وبعد تتويجها كرمت نبَّاز وسط الحضور الغفيرة من الرعية، وأعلنت توليه مَنصب الوزيرالأول لها، وهو أمر تعجب منهُ جميع الوزراء ونبَّاز نفسه كثيرًا!

الوزير نِيفاس: مولاتي.. كيف!

فقاطعته رَايُوس قائلة: لا نقاش.. قُضي الأمر.

أصبح نبَّاز الصديق والمقرب إلى الملِكة رَايُوس، أعطته الثقة كاملة. تجولت وبصُحبتها نبَّاز في حديقة القصر..

رَايُوس: لا أعلم نبَّاز.. هل سأستطيع أن أتحمل هذه المسولية الكبيرة؟

- نعم يا مولاتي تستطيعين، أنتِ قوية وشُجاعة وذكية.

فنظرت إليه رَايُوس وبداخلها بعض الحُزن من قرار التتويج هذا.. قالت: لن أُخفي عليك.. ولكني لا أًحب المُلك أو السُلطة!

- هذا الأمر سيجعل منكِ ملِكة رائعة، فكُل من أحبوا المُلك والسُلطة هلكوا، ومن لم يُحبها كان هو من يستحقها فأتتهُ رغم كُرههُ لها، ولعل الخير يكمُن في الشر.

- ماذا تقصد؟

- أي أنه يُمكن للمرء أن يرى في الأمر خيرًا ويكون شرًا! وكذلك العكس.

تبسمت رَايُوس مقتنعة من قوله قائلة: صدقت.. صدقت يا صديقي المُقرب.

- إذًا صديقك المقرب يريد أخذ يومان للبحث فيهما عن الزهرة، أتسمحين لي بالذهاب؟

- نعم بكُل سرور نبَّاز، أتمنى أن تحصُل عليها في القريب العاجل، لولا هذه المسئولية التي حُملت على عاتقي لأتيت معكَ بحثًا عنها.

- لا عليكِ.. أعلم مولاتي.

- لا تنسي أنك أيضًا مَلك! وإن غفل الناس ولم يعلموا بذلك، فأنتَ في نظري مَلِك بقوةٍ أو بدونها فتوقف عن مُناداتي مولاتي.. هذا يُشعرني بالضيق.

- لولا وجودكِ لهلكت وفنيت، كيف أرد لكِ معروفك؟

- أي معروف! فبدونك ما كُنا لننتصر في حربنا ولكنا عدنا خائبي الأمل منكسي الرؤوس، فكلانا يُكمل الآخر.

نظر لها نبَّاز بحُبِ بعد كلمة كلانا يُكمل الآخر وازداد عِشقًا لها.

نبَّاز: سأكون لكِ حارسًا، وأحميكِ طوال حياتي.. هذا وعدي لكِ.

- كُن بجانبي فقط، هذا يشعرني بالأمان نبَّاز.

تبسمت رَايُوس، وتَبسم نبَّاز خفية والعشق يخفق بقلبه لكنهُ يداري ما بداخله من مشاعر تجاه رَايُوس.

عادت رايوس إلى غُرفتها تُحدث ما نيشا قائلة: سأفتقد نبَّاز، أتمنى أن يعود بسلام.

وفي ظهيرة اليوم التالي نظرت رَايُوس من شُرفتِهَا التي من خلالِها ترى المملَكة كُلها، تحدث مانيشا قائلة: كيف حال الرعية؟

- بخير يا مولاتي.

- وكيف عرفتي أنهُم بخير؟

فتعثرت مانيشا في الكلام خوفًا من غضب رَايُوس إن أخطأت الرد فهي شديدة الطباع في هذه الأمور..

مانيشا: مولاتي إنني أسمع أن الجميع سُعداء بتتويجك مَلِكة عليهُم، فهم يُحبونك.

- سُعداء بتتويجي! لكن هل مُجابة مطَالبهُم ليكونوا سُعداء في حياتهِم؟!

- لا أعلم مولاتي.

- هكذا كان من المفترض أن يكون جوابك أول مرة!

- آسفة مولاتي.

- جهزي لي ثياب من ثياب الخادمات، أُريد أن أرى بنفسي ما تمُر بهِ الرعية، فلن يأتيني أحد بإجابة عنهُم أصدقها إلا إذا رأت عيناي.

- مولاتي ماذا تقصُدين؟ أتخرجين بينهُم!

- نعم، وافعلي ما آمرك به.

- وحدكِ مولاتي بدون حرس! هذا أمر خطير.

- لن يعرفني أحد ليؤذيني، كما أنني لم أفعل شيئًا لأحد ولا أخاف من أحد، فاحضري لي ما طلبتهُ منكِ، وإن عرف أحد سأُعلقكِ في ساحة القصر شنقًا!

فارتعبت مانيشا خوفًا قائلة: حسناً يامولاتي لن أُخبر أحداً أبداً، لكن أرجوكي خُذي حذركِ.

- لا تقلقي.. قد افتقدت نبَّاز.

- مولاتي قد مر يوم واحد فقط على غيابهِ!

- كأنها سنة مانيشا وليس يومًا!

بعد أن بعُدَ نبَّاز مسافة من القصر قرر العودة، فلم يستطع هو الآخر تحمُل البُعد عن رَايُوس فحدث نفسه قائلاً: هذا الأمر سيأخذ مني أيامًا عدة وقد أخبرت رَايُوس بأنني سأتغيب ليومين فقط فإن تأخرت ستقلق، لابد أن أعود كي أُودعها وأُشبع نَظريَ من نور وجهها ثم أستئذنها في أخذ مُدةٍ أطول.

أتت مانيشا بملابس الخادمة، ارتدتها رَايُوس وخرجت من باب المطبخ خفية، ركبت العربَة التي تحمل الحطب.. وهُنا قد عاد نبَّاز ولاحظ أمرًا غريبًا؛ لقد ثار في داخله الشك عندما رأى امراة تخرج مُتخفية في عربةَ الحطب!

فتساءل: من هذه؟ ولِمَ تخرج بهذه الطريقة؟ لرُبما جاسوسة سأتبعها.

خرجت رَايُوس خارج القصر وتبعها نبَّاز، شعرت بسعادة عارمة وهي وسط العامة من الناس وكأنها واحدة مثلهُم ليست ملِكة يُفسح لها الطريق ومُحاطة بحرس، بل تسيرُ بحُرية تامة، فنزعت الغِطاء عن وجهها وهي تعلم أن لا أحد سيعرفها فعرفها نبَّاز الذي قال حينها: رَايُوس! لم خرجت، وكيف تخرج بلا حرس؟!

غضب وقلق عليها واقترب منها لكي يسألها ما الذي دفعها للخروج بهذه الطريقة.. فوجدها تنظُر لكُل شيء من بعيد، فقرر أن يتأنى ليرى ما تُريد فعلهُ، وفي نفس الوقت يكون بجانبها إن حدث أمرًا ما ليحميهَا.. وجدت رَايُوس رجلاً فقيرًا يطلب من بائع تفاح تفاحة قائلاً: أرجوك إنني جائع أُريد تُفاحة.

- خُذ هاتين التُفاحتين، وإن أردت في أي وقت ثمار الُتفاح فلتأتي وخُذ ما تُريد.

ففرحت رَايُوس بأخلاق وكرم هذا التاجر وتمنت أن يكون كُل التُجار في المملَكة مثله، فذهبت وتحدثت معهُ قائلة: إنك رجُل كريم وأمين.

- شُكرًا لكِ أيتها الشابة الجميلة، خُذي هذه التُفاحة لكِ.

فأخذتها رَايُوس منه وشكرته، وقضمت منها قضمة فوجدت طعمها جميلاً جدًا، فحدثت نفسها بصوت سمعه نبَّاز قالت: إنها أجمل مما أتناولهُ في القصر، أهي لذيذة لأنها من رجُل كريم أعطاها لي بمحبةٍ وود!

فابتسم نبَّاز قائلاً في نفسه: نقية، رقيقة القلب أنتِ يا رَايُوس.

حدثت رَايُوس التاجر الكريم وهي تودعه: أشكرك أيها التاجر على الثمرة اللذيذة.

- مُري عليّ كُل يوم وخُذي ما تريدين.

- سأفعل أيُها الكريم.

- ما اسمُكِ؟

- رَايُو.. وأنتَ؟

- نِعمَار.. رافقتكِ السعادة والسرور يا رَايُو.

وفي نفس الأونة وجدت رَايُوس فتاة صغيرة تسرُق الخُبز، فذهبت إليها وحدثتها وتبعها نبَّاز..

رَايُوس: ما اسمُك أيتها الفتاةُ الشقية الجميلة؟!

- أونا.. اسمي أونا سيدتي.

وكانت تتحدث بخوف خشية من أن تمسكها..

رَايُوس: ولِمَ تسرقين يا أونا؟ ألا تعلمي أن السرِقَه أمرُ غير جيد على الإطلاق!

- نعم يا سيدتي أعلم، لكني مُضطرة.

- وما الذي يجعلُكِ مُضطرة لفعل هذا الأمر؟!

- أبي مات في الحرب مع المَلِكة رَايُوس، وأُمي مريضة مُنذُ أن مات أبي، وأنا وحيدة أمي.. أسرقُ الخُبز؛ كي أُطعمها وأُطعم نفسي يا سيدتي.

كانت أونا تتحدث وهي تبكي، وحزنت رَايُوس كثيرًا على ما سمعت، وقالت لها: خُذيني إلى منزلكُم أريد رؤية والدتك.

ذهبت رَايُوس مع أونا وتبعهما نبَّاز إلى المنزل الذي هو عبارة عن كوخ صغير قد امتلأ بالحشرات ولايوجد كِسرة خُبز واحدة فيه! فقد رأت رايوس أن الأم مريضة، والحال صدقًا كما وصفته أونا، فدمعت عين رَايُوس وانفطر قلبها، استندت إلى النافذة الصغيرة التى كان واقفًا عندها نبَّاز فتوارى حتى لا تراه رَايُوس، حدثت نفسها بصوت مهموس سمعهُ نبَّاز قائلة: أي ظُلم فعلتهُ بكُم أنا وأنتُم رعيتي! أنتم مسئولون مني كيف أترككُم هكذا؟!

نبَّاز: من أي طين خُلقتي! لستِ من جنس الإنسان، كحلوة مصنوعة بدقةٍ عالية من حليبٍ وعسلٍ وزعفران، تُظهرين القوة كقوة الأسد بينما قلبُكِ أرق من ريش الحمام نفسه! يا لجمال قلبكِ!

تحدثت والدة أونا بضعف، لا تفتح عينيها مُستلقية على الأرض: هل أتيتِ بالخُبز يا أونا؟!

- نعم يا أُمي، وأتت معي صديقة تُريد أن تطمئن عليكِ.

- صديقة! من هي؟

- لم أعرف اسمها بعد!

رَايُوس: كيف حالُك يا خالة.. أنا رَايُو.. كادت أن تقول اسمها كاملاً فحدثت نفسها وقالت: رَايُو، وجئت أُقدم لكِ المُساعدة، ساعديني أونا لنُنظف البيت وأعدكُم أنني سآتي إليكُم بالطعام.

- باركتكِ الشمس أيتُها الصالحة.

- لا أؤمن بها لتُباركني، أشعر أن هُناك قوة أعظم منها.. يومًا ما سأعرفها.

نبَّاز: صدقتي ..فهُناك قوة أعظم حقًا.

فانحنت رَايُوس وهمست في أُذن أونا قائلة: لاتسرقي مرة أُخرى وسآتي إليكِ بالطعام، أتعدينني؟!

قالتها رايوس وهي تمد لها يدها..

أونا: أعدك رَايُو، هل سنكون أصدقاء؟

- بالطبع فنحنُ أصدقاء مُنذُ أن التقينا.

عانقت أونا رَايُوس، وابتسمت رَايُوس وودعتهما وذهبت وتبعها نبَّاز، وبعد أن خرجت وجدت رجُل بسيط يُعتدى عليه بالضرب من قبل شاب قوي مفتول العضلات لدرجة أن الرجل بكى متوسلاً إليه قائلاً: أرجوك لا تأخذ أموالي هذه المرة، ابنتي مريضة.

الشاب: فلتذهب أنتَ وابنتك إلى الجحيم

فسألت رَايُوس الناس حولها: ماذا يحدُث؟

فأخبرتها إحدى النساء أنه "حاذق" كُل يوم يبيع بضاعتهُ ويأتي "شروان" ليأخُذ أُموالِهِ نهبًا، والتي ظل طوال اليوم يجمع فيهم حاذق، فاستشاطت رَايُوس غضبًا مما سمعت قائلة: لمِ؟ ولمِ لا يوقفه أحد ما؟

فأجابها الناس لأنهُ قوي والجميع يهابهُ.

فغضبت رَايُوس واندفعت؛ لتنقذ الرجُل البسيط حاذق، لاحظ نبَّاز ردود أفعال رَايُوس وغضبها، وعندها مر موكب الوزير "هارمان" وسارع الرجل الفقير ليستغيث به، فحينها اطمأنت رَايُوس أن الوزير ظهر وحتمًا سينقذ الرجُل، فتراجعت؛ كي لا تُلفت أنظار الناس إليها، ولكن ما حدث خِلاف ما توقعته!

حاذق: سيدي الوزير.. أرجوك أنقذني من هذا الرجُل.

وكانت الصدمة عندما دفعه الوزير هارمان بقدمه بقوة قائلاً: ابتعد عني أيها الفقير المعدوم القذر! فسقط على الأرض مغشيًا عليه.

غضبت رَايُوس أشد الغضب مما فعلهُ الوزير، وأقسمت أنها ستُدفعه ثمن فِعلتهِ غاليًا.. وعندما عادت إلى القصر، دخلت مع عربة الخُضار مُتخفية مرةً أُخرى وتبعها نبَّاز، وعادت إلى غُرفتها فحدثتها مانيشا قائلة: مولاتي.. أخيرًا عُدتِ! خِفتُ عليكِ كثيرًا قد تأخرتِ، وكُنت سُأبلغ الملِك.

- وعندها كُنتِ ستُعلقين شنقًا.

- قلقتُ عليكِ مولاتي.

- لاتخافي مانيشا، لا تخافي.

وجلست رَايُوس على كُرسي لها حيث بدا على وجهها نار الغضب.

مانيشا: أأنتِ بخير مولاتي؟ ماذا بكِ؟

- هيا نخرج قليلاً نتفقد القصر، رُبما هُناك ما يُفزع بداخلهِ كما أفزعني خارجه!

فخرجت رَايُوس من الغُرفة وبصُحبتِها مانيشا، ولم يُخبرها نبَّاز بعودته بل ظل يُراقبها كالظل من بعيد، وبصمت يُشبع عينيه من حُسنها وردود أفعالها في كُل الأمور غضبًا كان، أم سكون وهدوء.

مانيشا: ماذا أفزعكِ مولاتي خارج القصر حتى أصبحتي غاضبة هكذا؟!

- الظُلم، التكبُر، الفقر، المرض، الغرور، والخيانة.

- ما كُل هذا مولاتي؟!

وعندما اقتربت المَلكة رَايُوس من السُلم وجدت رجل وامراة يتغازلان ويقبلان بعضهُما البعض! وعندما رأوها فروا خجلاً.. فسألت رَايُوس مانيشا بجدةً وصوت عالي على عكس صوتها الهادئ من كثرة غضبها قائلة: من هؤلاء أيضًا مانيشا؟

فخافت مانيشا وفزعت من غضب رَايُوس وتعثرت في الكلام: مولاتي إنها "سلا" ابنة "زولفا" كبيرة الطباخين و"أندوس" الحَمَّار صاحب عربة الخُضار.

- وماذا يفعلان؟

- مولاتي إنهُما يُحبان بعضهُمَا البعض، والمملَكة كُلهَا تعرف بهذا.

- ولم لا يتزوجان!

- لا تتقبل زولفا أندوس الحَمَّار.

- فلتأتينني بهَا وبهِ وبابنتها على الفور.

- أمرُكِ مولاتي.

ذهبت مانيشا فنادت عليها المِلكة رايوس قائلة: مانيشا استدعي "تيجاروش" قائد الجيش، أُريده في الحال فهو ونبَّاز من أثق فيهمَا من وسط الجميع.. هو ونبَّاز فقط

- سأفعل يا مولاتي.

ذهبت مانيشا، والحُزن والغضب يتملكان من رَايُوس، والتي وقفت بمُفردها في شُرفة غُرفتها ونظرت للمملَكة تحدث نفسها قائلة: أين أنتَ نبَّاز لترى ما أنا فيه.. أفتقدُك بشدة.

- بجواركِ مولاتي، أين سأكون وليس لي مكان سوى عندَكِ وبين يديكِ!

ثم انحنى للمِلكة رَايُوس، وسرعان ما تبدلت ملامح رَايُوس الغاضبة لملامح فرحة وسرور.

- نبَّاز! متى عُدت؟ وكيف ولم يمر يومان؟

- سيأخذ الأمر معي أكثر من يومين، خِفت أن تقلقي وأخلف وعدي معكِ؛ أن أحميَكِ.

فنظرت إليه وعيناها تلمعان ببراءة وشغف قائلة: لم يكن يومًا نبَّاز فقد مرعليّ أكثر!

- كان يومًا بألف عام.

فابتسمت لهُ رَايُوس والفرحة تغمُرها بعودتهِ قائلة: لكن لابد أن تجد جنياس، لابد لكَ أن تجدها.. مهلاً! ماهذا الذي حول رقبتك؟ إنه نور أزرق يُشبه الخِتم!

- إنه علامة للجن المسلوب قواه؛ يزداد كُلما تأخر الوقت ولم أحصل على القوة.

- أفي هذا خطرُ عليك؟

- رُبما انتهاء الحياة لي!

فغضبت رَايُوس وصرخت في وجههِ خوفًا وقلقًا عليه قائلة: لا تقل هذا أبدًا نبَّاز.

- لا تقلقي مولاتي لن يحدُث شيء.

- ما هذا! لديك ابتسامة جميلة لم تُخفيها كُل هذه المُدة ولم تُرني إياها؟

- لأن هذه الابتسامة لم ولن تكُن إلا لكِ، أنتِ من جَعلَتني أبتسم.

أتت مانيشا بكبيرة الطباخين "زولفا" وابنتها "سلا" و"أندوس الحَمَّار" وانحنوا جميعًا أمام المَلِكة.

رَايُوس: أتعلمين إن ابنتكِ تُحبه؟

- نعم مولاتي.

- وما هو اعتراضكِ على زواجهما؟

تحدثت زولفا وبداخلها الكُره الشديد تجاه أندوس الحمّار قائلة: إنه الحَمَّار يا مولاتي.. كيف سأسمح لابنتي أن تكون زوجةً حَمَّار!

- وما بهِ عملهُ كحَمَّار؟ أليس عملاً شريفًا!

- بلى يا مولاتي، لكن..

- لكن ماذا؟! أتُحبين أن تقع ابنتك في خطأ ما معهُ من أجل هذا الحب! ويُنتج عن هذا الخطأ ابن أو ابنة بدون زواج! فيصير هذا الأمر دارجًا بين الناس جميعًا، وكُل مُحبٍ يخلو بحبيبته سرًا، وتصبح الأطفال مُشردين، لا معروف لهم أهل ولا نسب! مَن ابن مَن؟ ومَن والد مَن؟ لا أُسرة، لا

شرف، لا نسب، ولا أعراف من أجل غرور تتملكيه في ألا تتزوج ابنتك الحَمَّار الذي يعمل عملاً شريفًا ولا يسرق.. أتريدينها تتزوج من مَلِك، أم من وزير؟ وإن حدث فهل ستعيش بسعادة معُه! لم تنظُرين للجاه والمنصب! عليكِ أن تنظُري فيما فيه راحة القلب وسكينة العقل، لا أُريد نشر ما أُسميه فاحشة بين الناس "فليس للمُحبين إلا الزواج".

فعم الهدوء المكان، وسعد نبَّاز بما قالتهُ رَايُوس، وأتى قائد الجيش تيجاروش قائلاً: سمعًا وطاعةً مولاتي.

رَايُوس: غدًا سيُقام حفل كبير لتزويج سلا وأندوس، والمنزل الصغير الخاص بي الذي أُحبه في ساحة القصر أُعطيه لهُم هدية مني لزواجهما.

فنظرت سلا لأندوس بفرحةً وعانقا بعضهما البعض، وشكرا المِلكة رَايُوس.

رَايُوس: وخُذ أندوس؛ ليتعلم التجارة ليكون لهُ شأنًا كبيرًا بها، فقد علمتُ أنه يُحبها ويتمنى العمل كتاجر.

ففرح أندوس كثيرًا، من كرم رَايُوس، وجمال عطائها وطيبتها، فقال مندهشًا: كيف علمتي مولاتي! حقًا أنا ممتن لكِ.. أنتِ عظيمة.

زولفا: شكرًا لكِ مولاتي، أنا الآن راضية عن زواجهُما، قد كان معكِ الحق منذ البداية.

رَايُوس: اذهبوا وعودوا إلى أعمالكم.. وأنت يا تيجاروش أُريدك في شيء لا تذهب!

تيجاروش: أمرُكِ مولاتي.

ذهبت كبيرة الطباخين زولفا وسلا وأندوس، وظلت مانيشا وتيجاروش ونبَّاز مع المِلكة رَايُوس..

رَايُوس: تيجاروش.. هنُاك تاجر كريم يبيع التُفاح بالقرب من القصر يُدعى "نِعمَار" أغدق عليه من الهدايا، وأعطِه بساتين من جميع الفواكه، وقل لهُ أن المِلِكة رَايُوس تشكُرك وتُجزيك أجر كرمك وما فعلته مع الرجل الفقير.

فسمع نبَّاز وابتسم، وسُرّ قلبه فقد رأى كل ما حدث رأي العين.

- أي رجُلٍ فقير مولاتي! وماذا فعل؟ ومن أين علمتِ؟

- لا تسألني عن شيء تيجاروش، افعل ما أمرتك به فقط.. وهُناك كوخ لوالدة أونا بالقُرب من النهر لا يوجد بهِ طعام فخُذ الكثير من الطعام، والفواكه، واللحوم وغيره واذهب أنت بها، أنت بنفسك يا تيجاروش.. لا تُرسل أحدًا غيرك وخذ معك الحكيم فقط.

فبدا على ملامحهُ التعجب! يُريد أن يعرف من أين للمَلِكة أن تعلم بكل هذا! وفي نفس الوقت لايريد أن يسألها حتى لا تغضب منهُ.

رَايُوس: وأخيرًا هُناك شاب سيئ الخُلق ينهب أموال الناس بالباطل ويعتدي على حقوقهم يُدعى "شروان" فلتُحضره لي هو والتاجر "حاذق" وأيضًا الوزير "هارمان" جميعهُم في حفل غد أمام الجمع من الناس في ساحة القصر.

- حسنًا يا مولاتي.

وكان نبَّاز يُفكر فيما أمرت به المِلِكة ويعلم أنها ستُعذب الوزير هارمان لما فعلهُ بالرجُل الفقير، فقال في نفسه: من سينقذك أيُها الوزير من رَايُوس؟ فما علم أحد حِدة غضبهَا ولم يعلم أحد ما ستفعله بك!

رَايُوس: نبَّاز.. كُل من مات في الحرب اصرف لأهله مبلغًا شهريًا من خزينتي، وآتني أنتَ وتيجاروش بكُل من ذكرت أسمائهم غدًا؛ لكي أُعاقب مَن أُعاقب وأُكافئ مَن أُكافئ، ولا تُخبرا أحدًا بشيء.

نبَّاز: أمركِ مولاتي.

تيجاروش: من سأخبر، وبأي شيء مولاتي وأنا لا أعلم شيئًا!

– هذا أفضل تيجاروش، غدًا ستعلم.

غادر تيجاروش ونبّاز، فحدثت مانيشا الملِكة قائلة: خيرٌ ما فعلتِي مولاتي في أمر سلا وأندوس، فقد جمعهم الحب مُنذُ فترة طويلة.

فردت عليها رَايُوس بلا مُبالاة وهي تُجهز السهام والسيوف وتُرتبها: وهل الحُب جميلُ لهذه الدرجة!

– نعم مولاتي، الحب شعور لا مثيل لهُ؛ اشتياق، تناغُم بين طرفين، تواصل روحي وعقلي، من يرى المحبوب يخفقُ قلبه ويكادُ أن يخرج من بين أضلُعه! المُحب مُضحي، المُحب غيور، المُحب يطيرُ فرِحًا وكأنه لهُ أجنحة يطيرُ في سماءِ العشقُ والهُيام.. لا حديث يكفي عن الحُبَ يا مولاتي رَايُوس فهو شعور داخلي لا يوصف، وعندما يقع الشخص حقًا في الحُب تفضحه سلوكه وتصرفاته، تفضحه لمعة عيونه، فمن محب ليس بمجنون؟!

فتبسمت رَايُوس قائلة: ما هذا الذي أسمع ألدي خادمة خبيرة في أمور الحُب! لقد أبدلتِي مزاجي السيئ مانيشا.

فابتسمت مانيشا خجلاً قائلة: يومًا ما ستعشقين حد الجنون يا مولاتي، لن تري إلا هو في كُل لحظةِ بصر وانتباهتهَا، لن يجري الدم في عروقكِ إلا باسمهِ، لن تسمع أُذنك إلا صوتهِ، لن تمشي قدمُكِ إلا إليه، لن تلمس يدكِ سواه، يومًا ما سيكون لكِ أجنحة في سماء العشق مولاتي تتحاكى عنها أجيال وأجيال، سيُبنى على عشقكِ حضارات.

– يبدو أن الخيال ذهب بعقلِك مانيشا.. ثم شردت تُفكر في أمر المملَكة، نظرت إلى السماء فترةً وبعدها تحدثت قائلة لنفسها: كُنت أفتقد نبَّاز

وسُررت بعودته، وكأن القصر عادت إليه الحياة.

أُقيم حفل زواج سلا وأندوس بحضور المِلكة رَايُوس، وعامة الناس تحتفل بالزواج، سلا وأندوس وزولفا في سعادة عارمة.. وبعد انتهاء المراسم قامت رَايُوس ونادت في الناس بأعلى صوت لها فهدأت الأصوات ولم يُسمع إلا صوت المِلكة رَايُوس فقط..

رَايُوس: أين التاجر نِعمَار؟

- أنا هُنا مولاتي.

ثم بدأت رايوس تُحدث الشعب قائلة: هذا التاجر الكريم الأمين سألهُ فقيرًا عن ثمرة تُفاح واحدة فأعطاه اثنين وقال لهُ: "إن شئت ثمر التُفاح في أي وقت فأتِ إليّ وخُذ ما تُريد" فكان جزاء عمله الطيب أن يحصل على بساتين من كُل أنواع الفاكهة.

فهمهم الجميع بتعجُب ودهشة قائلين: يالهُ من رجلُ محظوظ! إنهُ حقًا محظوظًا، ليتنا لنا مما حصل عليه.

كان التاجر نِعمَار في عجب لمعرفة المِلكة بأمر الرجل الفقير، فاقترب من المِلكة ليشكُرها ففوجئ عندما اقترب ونظر إليها! فقال في نفسه: رَايُو! رَايُو هي الملَكة رَايُوس!

فابتسمت لهُ ابتسامة هادئة بعدما أيقنت أنه عرفهَا، وابتسم لها نِعمَار بسرور وسعادةً تغمُرهُ من كرم عطائها وفيض بركاتِهَا.

نادت رايوس على أونا ووالدتها قائلة: من أجل هذه الأُسرة البسيطة التي مات من يعولها أثناء الحرب، تم منح أُسر كل من مات في الحرب ومن لم يجد من يعوله شهرية من أموال المَملَكة الخاصة بي وسيكونون تحت رعايتي إلى أن أفنى.

أونا: مولاتي شكرًا لكِ لقد أنقذتينا.. أريد أن أُقبلك.

فأمرت الملِكة الحرس بـأن يسمحوا لأونا بالعبور إليها، فاقتربت أونا من المَلِكة ونظرت إليها، اقتربت أكثر فعيناها لم تستطع التصديق!

قالت: رَايُو إنها أنتِ المَلِكة!

غمزتها رايوس قائلة: اخفضي صوتكِ ولا تُخبري أحدًا..

فقبلتها أونا وعانقتهَا قائلة: لن أُخبر أحدًا، ثم أخذت تصيح بفرح قائلة صديقتي هي المَلِكة، صديقتي هي المَلِكة رَايُوس.

وقفت رَايُوس بغضب شديد ونادت على شروان وحاذق والوزير هارمان.. فأتوا وهدأ الجميع، تحدثت رايوس بصوت عالي قوي فيه الغضب قالت: أيها الوزير.. وصلني بالأمس أن هذا الرجل الحقير شروان قد نهب الرجل البسيط حاذق، وأنهُ يأكُل أموال الناس رغما عنهم، ولا أحد يستطيع إيقافه أو فعل أي شيء له! وقد أمرت بأن يُجلد مائة جلدة أمام الناس وفي ساحة القصر؛ ليكون عبرةً لهُ ولغيره.. ما رأيك أيُها الوزير هارمان؟!

فتعثر الوزير هارمان وتلجلج وتصبب عرقًا قائلاً: ونعمَ القرار قرارُكِ مولاتي، إنه بالطبع يستحق.

- إذًا فلتاخذ السوط من الحارس واجلدهُ مائة جَلدة!

فنظر إليها في فزع، تمنى لو انشقت الأرض وابتلعته خوفًا من غضبها، وتلجلج مرة أخرى قائلاً: ما.. ماذا؟!

- ألم تسمع؟ افعل ما أمرتك به.

هيا.. أم أنك لا تستطيع أن تجلد أخاك؟!

فنظر إليها الوزير هارمان بتعجُب وحدث نفسه قائلاً: كيف عرفت!

نادت الملِكة على حاذق، وبالرغم من أنه ضعيف، خطواته بطيئة بعض الشيء، ظهره محني، لكنه حاول الإسراع تلبية لنداء الملكة!

فتحدثت رايوس موجهة كلامها لعامة الناس قائلة: حاذق الرجُل الفقير الذي لم يجد من يُنصفه.. خُذ السوط واجلد الوزير هارمان مائة جلدة؛ ليعلم أنهُ لم يتولَ منصب الوزير إلا ليحكُم بين الناس بالعدل، وينصف الرعية ويُعطي الحقوق لأصحابِهَا.

فعلت الأصوات.. كيف للوزير أن يُجلد؟ لكنهم أيضا يعلمون عظمة مَلِكتهُم وعدلها، فهتفوا: تعيش الملِكة رَايُوس ملِكة البلاد.

هارمان: سامحيني مولاتي أرجوكِ.

- لا، لن أُسامحك.

فنادت بأعلى صوت لها وهي في غضب شديد قائلة: حاذق.. اجلدهُ مائة جلدة، وإن أردت أن تُزيد زِدناك، وإن تعِبت سيقوم الحارس مكانك بجلدهِ؛ كي يعلم الجميع أن من يفعل خيرًا نؤته خيرًا، ومن يفعل الشر نُجزيه العذاب الأليم، ولا فرق عندي بين سيد وعبد، وبين غني وفقير.

ثم وجهت كلامها إلى الحراس: بعد جلدهما ألقوا بهما في وسط المدينة؛ ليعلموا كيف كانوا وكيف أصبحوا، وأُريدكُم قبلها أن تتجولوا بهُم في المملَكة؛ ليعلم من لم يحضر بما حدث! ويكونوا عبرة للجميع.

ظل الشعب يهتف: تعيش الملِكة رَايُوس ملكة البلاد.. غادرتهُم عائدة إلى داخل القصر متجهة إلى غُرفتِها، وعندها قدم لها نبَّاز ثِمار التُفاح التي تعشقَها..

رَايُوس: إنها لذيذة جدًا

- أهي لذيذة كتُفاح نِعمَار؟

- نعم، إنها تُشبهها كثيرًا..

انتظر.. كيف عرفت؟

- أنتِ شُجاعة، وفيكِ من العدل ما لم أجده في غيرك.. هل سأترُكك تُغامرين خارج القصر وحدكِ وأنا الذي وعدتك أن أكون حارسًا وحاميًا لك!

- أكنت معي نبَّاز؟

- طوال الوقت مولاتي.. لن تُغيبي ولن أغيب عنك أبدًا.

- نعمَ الصديقُ أنت، لكن ماذا عن جنياس؟!

- لابد أن أذهب الليلة للبحث عنها، وربما سأحتاج أيامٍ عِدة.

- وكيف سأتحمل بُعدكَ هذا؟

لا يُبدي نبَّاز مشاعرهُ لرَايُوس، لكن بداخلهُ يُجيب: بل كيف سأتحمل أنا بُعدكِ هذا وأنتِ نبض قلبي وقواي المفقودة رَايُوس!

فنظر إليها، وأخذ يتأمل ملامحها في صمت، يُريد أن يُشبع ناظريه بها قبل الذِهاب.

نظرت إليه وفي قلبها الخوف؛ خائفة من أن تفقده! فنزلت دمعة من أعيُنِها فمسحها قائلاً: كيف لمَلِكة في شموخك أن تبكي؟

- لا تعرف معنى الفُقدان.. أن يغيب عن ناظريك من تعودت على رؤياه! هذا ما شعرت به أنا عندما ذهبت أول مرة.

أتعلم.. لولا جنياس والأمر مصيري، مُتعلق بحياتك ما كنت سمحت لكَ بالذهاب أبدًا.

- سأعود.. سأعود.

ودعته رَايُوس، ونظرت إليها مانيشا قائلة: أأنتِ بخير مولاتي؟

- نعم بخير.. أعتقد، لكن نبَّاز قد غادر، شيء ما يؤلمني بقلبي يا مانيشا.

- أحقًا تعتبرينه صديقًا مولاتي؟!

- ماذا تقصُدين مانيشا؟ بالطبع صديقًا ووزيرًا وأقرب من يكون إليّ، فقد ظل معنا هنا كثيرًا، وأثبت لنا ولائه.

ذاع صيت المِلكة رَايُوس كُل الأرجاء عن عدلِها وحكمتِها وتوليها الأمور صغيرةً كانت أم كبيرة!

وفي صباح يوم ما، وكان قد مرعلى رحيل نبَّازعدة أيام.. وصل إلى المَلِكة رَايُوس رسالة استغاثة يحملُها إليها تيجاروش قائلاً: مولاتي وصلت إليكِ هذه الرسالة.

فتحتها وبدأت تقرأ: "تحيةً طيبة مُباركة إلى مَلِكة البِلاد رَايُوس أما بعد..

نحُن شعب مملِكة "هارمارنت" نستغيثُ بكِ أيتُها المِلكة العظيمة من حاكمنا الظالم "سفيوراس" أنتِ المِلكة العادلة انصفي شعبنا نكُن رعيتك.

رَايُوس: هذه الرسالة ليست استغاثة من عامة الناس، إنها من داخل قصر المِلك نفسه!

- كيف علمتي بهذا مولاتي؟

- نوع الحبر المكتوب بهِ الرسالة.. ليس إلا حبر مَلِك، أو الوزراء.

تعجب تيجاروش من قوة مُلاحظة المِلكة، ثم قال: وماذا يعني هذا الأمر مولاتي؟

- إن أحسنا الظن فإنهُ شخص قريب من المَلِك.. والمَلِك حقًا ظالم، وهو يرى ظُلمه ويُريد الخير للشعب.

- وإن لم نحسن الظن؟

- إن أسأنا الظن فهي حتمًا مكيدة إما لمَلِك هارمارنت "سفيوراس" أو مكيدة لنا.

- وماذا ستفعلين يا مولاتي؟

- سأذهب إلى مملَكة هارمارنت؛ لأرى بنفسي ماذا هُناك، ولأرى المَلِك وشعبه.. ستأتي معي تيجاروش أنت وبعض من الجنود كزيارةٍ ودية، ومنها يُحدد مصيره ومصير شعبه إن كان ظالمًا أم مظلومًا!

تيجاروش.. أُكتب رسالة إلى المَلِك سفيوراس بلغه بزيارتنا لهُ وللمملكة..

- أمرُكِ مولاتي.

استقبل الملِك سفيوراس رسالة المَلِكة رَايُوس، وعلم بقدومِهَا إليهُم في زيارةٍ ودية تحمل السلام بين المملَكتين، فتحدث إلى وزيره "سُقمنتوس" ساخرًا: رَايُوس.. المَلِكة الرجل التي ذيع صيتها في المعارك والحروب، التي تُحارب العدو كالأسد، وتهجُم عليه كالذئب، وتمكُر بهِم كالثعلب، وتعدل بين الناس وتُعلن السلام كأنها اليمام.. ستأتي دون كُل النساء ترتدي ثياب رجال الحرب! لن تُميزها رجُلٍ كانت أم امرأة! ستتعجب عما قريب عند رؤيتها، سيعُم الظلام المملَكة.. المًلِك رَايُوس لن أقول الملِكة.

سقمنتوس: هل أطلب من الخدم أن يُجهزوا للمَلِكة مكان للإقامة بالقصر؟ غُرفة أم جناح!

- لا تشغل بالك كثيرًا، فأي مكان سيكون مُناسب للمَلِك رَايُوس، فالرجال كما تعلم يستطيعون التأقلم في أي مكان.

وظل يسخر من المِلِكة رَايُوس ويهزأ بها، عندما علم بقدومِها إلى مملَكته.

كانت مانيشا تُحدث المِلِكة وهي قلقة قائلة: هل ستتركي المَملَكة مولاتي وستتركيني؟!

- سأترك المَملَكة عدةً أيام؛ لأنقذ شعبًا لجأ إليّ إن كان حاكمه حقًا ظالمًا، وسأترك رسالة إلى نبَّاز أن يتولى شئون المملَكة لِحين عودتي. أما عنكِ فهل أستطيع أن أذهب إلى مكان بدونك؟

ففرحت مانيشا قائلة: هذا يعني أنكِ ستأخُذينني معكِ مولاتي؟

- نعم، فأنتِ لستِ خادمة! أنتِ صديقتي مانيشا والأقرب إليّ.

- أحبكِ كثيرًا مولاتي.. هذا شرف عظيمُ لي.

- هيا اذهبي وجهزي لنا ما سنحتاجهُ للرحلة.

- أمرُكِ مولاتي.

مرت عشرة أيام على غياب نبَّاز، والمِلِكة رَايُوس في قلق عليه، لقد اشتاقت له حقًا. كان كل شيء يُجهز؛ لذِهاب المَلِكة إلى مملَكة هارمارنت بصُحبة قائد الجيش تيجاروش، وألف جندي، ووصيفتها مانيشا. وقفت رَايُوس تودع المَلِكة الأم "سوفينا" ووالدها المَلِك "ماجدونيس"..

رَايُوس: أمي.. أبي.. المملَكة في أمانتكُم انظروا في أمر الرعية ومن جاء في مظلمة انصفوه.

المِلِكة سوفينا: رَايُوس.. ابنتي إنني خائفة عليكِ، كوني حذرة.

- أمي أنتِ دائمًا قلقةُ عليّ.. لا تقلقي إنها أيام قليلة وسأعود.

الملك ماجدونيس: ابنتي.. أثق في عدلك وحِكمتك.. كوني على حذر.

- لا تقلق أبي.. إن عاد نبَّاز فليتولى أمر الناس، واطلب منهُ ما شئت، واعطِه الرسالة هذه.

- حسنًا يا بنيتي سأفعل.. سأفتقدُكِ كثيرًا.

- وأنا كثيرًا يا أبي.

عانقوا بعضهم البعض، ثم ذهبت رايوس مستعدة للرحيل.

وصلت الملِكة رَايُوس إلى السفينة في أسطول عظيم، فقبل الرحيل نادت على تيجاروش قائلة له: ابقَ بجوار المَلِك والمَلِكة، لا أعلم متى سيأتي نبَّاز، أنتَ من أثق به وأثق في ولائه لي، كُن بجوارهِم واحمِ المَملَكة.

- مولاتي.. كيف سأتركك وحدكِ تذهبين؟

- افعل ما أمرتك به، لا جِدال في ذلك.

- لكن مولاتي هذا أمرٌ خطير!

هي لا تُحب الجدال الكثير خاصة في أمر قد قررته بالفعل، فنظرت إليه قائلة: تيجاروش.. اذهب وعُد إلى القصر، وكُن هُناك إلى أن يأتي نبَّاز.

تيجاروش بحُزن شديد وقلق علي الملِكة: أمرُكِ مولاتي.

غادرت السفينة، وخلفها سبع سُفن مُحملَة بالجنود. مرت عدة أيام وهُم بالبحر ومن وقت لآخر تنظُر رَايُوس إلى الماء وتُحدث الموج قائلة: أيها الموج كيف الحال! تُرى هل المملَكة بخير، وهل ستكون بخير؟ هل صديقي نبَّاز بخير؟ هل عاد أم لم يعد؟ لا أدري هُناكَ شعور بداخلي بالخطر على نبَّاز! أيها الموجُ كيف السبيل؟ فلم أجد لهُ أثر أو دليل!

أتت مانيشا إليها قائلة: مولاتي ماذا بكِ؟

– لا شيء.. ظننت أنني سألتقي بنبَّاز قبل ذِهابنا، ظننتهُ سيعود ولكنهُ تأخر وأنا قلقة عليه.

– لا تقلقي مولاتي سيكون بخير.

– أتمنى.

– ماذا عن المَملَكة التي نحن في طريقنا إليها، وماذا عن المَلِك سفيوراس وشعبه؟!

– سيتضح لنا كُل شيء عندما نصل إلى هُناك.. سنجد مَلِكًا سمينًا قصيرًا أقرع، حجمه يزن أضعاف طوله، أما بطنه فهي كالمرأة الحامل في عشرة أطفال، لديه شاربا خفيفا يكادُ لا يُذكر أنهُ شارب، عيناه صغيرتان، مغرور مُتكبر يعشقُ النساء.

فعلت ضحكات مانيشا قائلة: ياله من وصف مولاتي!

ظل المِلِك سفيوراس يسخرُ من رَايُوس، وعلى الجهة الأخرى كانت رايوس تسخر منه أيضًا قبل أن يلتقيا، وبعد أيام وصلت المِلكة رَايُوس وموكبها إلى مملَكة هارمارنت، وذهب المِلِك سفيوراس علي مضض إلى أبواب القصر؛ ليستقبلها هو والوزاراء.. وعندما وصلت على أبواب القصر تعجب من شِدة جمالِها، كانت ترتدي فستانًا غاية في الجمال، جن جنونه فقد كان يظنها على عكس ما رأى تمامًا، وعندما اقتربت منهُ نظر في عينيها لا يتحدث إلى أحد لكنهُ يُخاطب نفسه قائلاً: هل هذه هي رَايُوس! أحقًا هي؟

ثم نسي نفسه وقال بصوت سمعته رايوس: يا لغبائي!

فتعجبت رايوس، فأسرع سُقمنتوس يعرفهما على بعضهما البعض قائلاً: مولاتي المَلِكة رَايُوس هذا مولاي المِلِك سفيوراس.

تعجبت أيضًا رَايُوس فقد وصفته وصفًا سيئًا، لكن ما رأته غير ذلك تمامًا؛ فقد كان سفيوراس جميلاً، طويلاً، جسده ممشوق، شعر رأسه بني، كثيف وناعم، أبيض البشرة، له لحية بنية تزين وجهه وتزيده جمالاً.. فمد الملِك سفيوراس يدهُ للسلام، وقبل يد المَلِكة رَايُوس قائلاً: مولاتي.. قد أضاءت المملَكة عندما أتيتي.

فتعجب سُقمنتوس من قوله هذا، واقترب من المَلِك هامسًا لهُ: أضاءت المَملَكة! ألست من قال: سيعُم الظلام عند مجيئها مولاي!

سفيوراس: أصمت سُقمنتوس.

رَايُوس: هل سنظل واقفين؟!

سفيوراس: عذرًا مولاتي.. سرحتُ في جمال عينيكِ.

سلبتي مني عقلي، وأخاف على حياتي.

- تُجيد الغزل أيها الملِك.

- لم أكن أجيده، لكن عند رؤيتكِ نزل بقلبي السحر فنطق بهِ لساني.

وكان وزيره سُقمنتوس مُتعجبًا قائلاً في نفسه: أليست هي نفس الملِكة التي كُنت تسخر منها من قبل! ماذا حدث لمولاي؟

تجاهلت رَايُوس الملِك سفيوراس، ونادت على مانيشا: مانيشا أين أنتِ؟

- بجانبك يا مولاتي.

- عُذرًا سفيوراس أُريد أن أرتاح قليلاً.

- بالطبع مولاتي.. أخمون جهز للمَلِكة جَنَاحِي الخاص حالاً.

رَايُوس: ولم جَنَاحك الخاص؟

- لأنهُ أجمل ما في القصر، فلا يليق بكِ إلا كل جميل.

- أشكُرك على حُسن ضيافتك لنا.

ذهبت إلى الجناح، وكاد سُقمنتوس أن يُجن، قال: مولاي جَنَاحك! لَمَ أعطيتها جَناحك الخاص؟

- لا أدري.. ثم أشار إلى قلبه قائلاً: قد فعلت هذه المَلِكة شيئًا ما ها هُنا.

- من لحظاتٍ قليلة فقط مولاي!

- نعم، لا أدري وكأنها بها سحر خاص، اترُكني واذهب سُقمنتوس.

- أمرُك مولاي.

وعندما دخلت رايوس قصر الملك سفيوراس دُهشت من جماله! سُحرت روحها حيث كان القصر بأكمله تحفة أثرية، ليس كأي قصر من قصور الملوك في عصره، فريد من نوعه، لم ترَي رايوس في حياتها شيئًا يخطف القلوب والأبصار كهذا!

كل شيء بداخله مميز؛ الجدران بيضاء اللون، والنقوش التي كانت عليها نقشت بالذهب، فكان كل جدار كلوحة فنية مستقلة مبدعة! تفقدت رايوس جناح الملك سفيوراس الذي وجدته أجمل مما تتخيل بل وأروع من كل ما رأته في القصر فوجدت الزهور الخلابة بألوانها المختلفة التي تُذهب العقول، وعطرها الذي يخطف الأنفاس تملأ الجناح، والتي كان يهتم بها الملك يوميًا بنفسه. كانت متواجدة بكل ركن من أركانه. الأرضية زجاجًا شفافًا، بل الجناح كامًلا كان محاطًا بالزجاج من كل جانب دونًا عن بقية القصر، يُرى ما بخارجه ولا يُرى ما بداخله، وكأنه جناح سحري معلق بالهواء!

على اليسار في زاوية من زوايا الجناح يكمن سرير الملك الدائري، والذي تميز بأنه مثبت على شيء يشبه الأسطوانة يفصل بينه وبين الأرض محرك؛ ليجعل السرير يلتف بحركة دائرية بطيئة. كان الغطاء حريرًا خالصًا، ينزل من أعلاه ستائر رقيقة بها فصوص من اللؤلؤ مثبتة على شيء ما بالمنتصف لتنزل منسدلة تغطي السرير بأكمله فيصبح هو داخلها. في منتصف الجناح هناك نافورة مياة بيضاوية الشكل رخامية، أمامها على بعد خطوات كانت الشرفة التي بجوارها أرجوحة صغيرة أعجبت رايوس كثيرًا تشبثت بها وكأنها طفلة عندها أربع سنوات! بداخل الشرفة زهور تزينها، أنواع أخرى غير التي بالجناح، وفي ركن على اليسار توجد أريكة مريحة رمادية اللون. كانت الشرفة مطلة على الحديقة، وكان هناك مسبح صغير تقف على حافته الطيور تشرب منه المياه، حوله شجر به ورود بنفسجية اللون تعكس لونها على المسبح فتزيده جمالاً فوق جماله. بالشرفة على اليمين كان هناك سلم يأخذك إلى الحديقة، وهناك شجر التفاح التي تحبه رايوس، وأشجار أخرى كثيرة.. وهناك أيضًا الطيور التي لا تشبه الطيور التي بخارج القصر وكأنها بها سحر ما!

رَايُوس: يا للروعة!!

مانيشا: يبدو أنهُ مِلِكٌ رائع مولاتي.. ليس كما وصفته.

- تريثي ولا تتسرعي بالأحكام مانيشا.. نعم ليس كما وصفته، لكن جمال المظهر لا يعني أيضًا جمال الطباع والأخلاق! فنحن لا ندري ما وراء هذا الجمال!

- يبدو أنهُ قد أُغرم بكِ مُنذُ أول وهلَة مولاتي.

- لا تأتي الأمور هكذا أبدًا ألم أقُل لكِ إنهُ يعشقُ النساء! هذا أكبر دليل.

- مولاتي أحسني بهِ الظن.

فغضبت رَايُوس من مانيشا، وبنبرة غضب قالت: ماذا تُريدين مانيشا؟ هل أتيت إلى هُنا وتركت مملَكتي؛ ليتغزل بي مَلِك هذه المملَكة، أم لأنصف شعبها؟!

- آسفة مولاتي.

- اعطِني بعض الماء فقد جف ريقي.

- أمرُكِ مولاتي.

نظرت رَايُوس من شُرفة جِناحها الملَكي، لفت انتباهها الخيول فنزلت مسرعة ناحيتهم.. وفوجئت بأن الملك سفيوراس يُنظفهم بلُطفٍ..

سفيوراس: أهلاً بالملِكة رَايُوس.. أيتُها الخيول الجميلة، قد أتت من هي أجمل منكُم رحبوا بمن شغلتني عنكم اليوم.

تجاهلته قائلة: ماذا تفعل؟

- أُنظف الخيول.

- ولِمَ تُنظفها أنت! أليس لديك خدم؟

- بلى لدي الكثير، لكني أُحب الخيول أكثر من نفسي، وأُحب أن أهتم بهِم وحدي وهُم يحبونني.

- إذن أنتَ رحيم بهِم؛ لذا يُحبونك وتُحبهم.

شرد قليلاً ثم تحدث بحزن: لم أجد الحب والوفاء إلا فيهِم!

- أأنتَ بخير؟!

- نعم، فلتختاري واحدًا منهُم سأُعطيه لكِ هدية.

نظرت رايوس إلي الخيول التي بُهرت بها أشد الانبهار؛ هناك الأبيض ناصع البياض، والأسود مائل للحمرة، والأسود شديد السواد الذي به غرة بيضاء، والأحجل والاشهب..

- هل ستُفرط في حبيب لديك؟

- ومن قال أنني سأُفرط فيه! هو حبيب لكنه سيذهب إلى شخص يبدو أنه أصبح ذا مكانة عندي.. كما أنني أثق أن هذا الشخص سيكون رحيمًا به أكثر مني.

- من أين أتيت بهذه الثقة؟

أشار بسبابته إلى ناحية قلبه، ناظرًا إليها قائلاً: من هُنا أتيت بكُل هذه الثقة.

فأحست رَايُوس بالحرج، فأسرعت تغير الموضوع قائلة: سأختار الفرس الأبيض وسأُسميه مُهر على اسم فرسي الذي في المَملَكة.

سفيوراس: إنه فرسي المفضل، وهو لكِ الآن رايوس.

- لم أكن أعرف أنه فرسك المفضل.. سأختار واحدًا غيره.

- لا، ستأخذينه فهو يليق بجمالكِ وهيبتكِ. ونظر للفرس قائلاً: يالكَ من فرسٍ محظوظ، فلقد اختارتك الجميلة رَايُوس بنفسها.

فابتسمت رايوس في حياء وشكرته على هديته العظيمة.

وكان الحصان الذي اختارته رايوس أشهبًا، يعد أفره الخيول. والخيل الأشهب عدة أنواع ومنها هذا الذي كان لونه مزيجًا بين الأبيض والأسود، لكن غلب عليه البياض. وقيل أن "الحصان الأشهب يعد من المراكب الفاخرة" واشتُهر بأنه حصان عِلية القوم؛ لذلك حرص علية القوم على اقتنائه.

أخذت رَايُوس الفرس وذهبت، وذهب معها سفيوراس يتحدثان سيرًا في حديقة القصر..

رَايُوس: أشكرك سفيو على الفرس الجميل هذا.

- ماذا؟ سفيو؟ من أين أتت كُل هذه الرقة! قد ظلمتُكِ حقًا.

- ظلمتني! كيف؟

- عندما وردتني منكِ الرسالة بزيارتكِ لنا سخرتُ منكِ كثيرًا، ظننت أنني سأجد رجُلاً أمامي مُفترسًا، ولكن الحقيقة هي أنني وجدت امراة غاية في الجمال، لم أرَ كجمالاها أبدًا.

فتبسمت رَايُوس ابتسامة أفقدت سفيوراس صوابه من جمالها، وفي نفس الأونة عادت مانيشا بالماء، فبحثت عن رَايُوس فلم تجدها، نظرت من الشُرفة فوجدتها مع الملِك سفيوراس يتحدثان، ورأت رَايُوس تضحك.. فابتسمت مانيشا وظلت تنظُر إليهِم..

سفيوراس: ياهذه الضحكة التي شقت قلبي نصفين!

- أتعلم أنني قد سخرتُ منكَ أيضًا! أخبرت مانيشا أنك شخص قصير وسمين، لديك عين صغيرة وأنف طويل، وأشياء سيئة سامحني سفيو.

- أنف طويل! قصير وسمين! لا عليك رَايُوس سامحتكِ.. سامحتكِ، لأنني أحببت اسمي الجديد.."سفيو".

- حسنًا.. سأذهب؛ لأنني أُريد أن أنام.

تركته رَايُوس، ومن ثم أسقط نفسه على كومةً قشٍ قُرب الخيول، كان سعيدًا، لا يعرف ماذا فعلت به هذه الفتاة! لقد أصبح تائهًا هائمًا من لحظة وصولها، شيء ما جعل قلبه يتحرك تجاهها، أصبح يخفق بقوة.

عادت رَايُوس إلى مانيشا، فحدثتها مانيشا قائلة: أتيتُ إليكِ بالماء ولم أجدُكِ.. يبدو عليكِ السرور مولاتي.

نعم قليلاً.. فقد أضحكني سفيو.

- أتقصُدين المَلِك سفيوراس!

- وهل هُناك غيره؟!

حسنا مانيشا أريد أن أرتاح قليلا.

- ليلة هنيئة مولاتي.

أشرقت شمس اليوم التالي، كان هُناك طرق على باب الجناح، فتعجبت مانيشا عندما وجدته المَلك سفيوراس!

مانيشا: مولاي!

- أين رَايُوس؟

- نائمة.

- أيقظيها بسرعة.

فذهبت مانيشا؛ لتيقظها قائلة لها: إن لم تستيقظي لا أستبعد أبدًا أن يأتي بنفسه لإيقاظك!

رايوس: من!

مانيشا بابتسامة: وهل هناك غيره!

رايوس: تقصدين سفيوراس!

مانيشا: نعم، الملك الولهان

رايوس: اجلبي لي ردائي فورًا.

ارتدت رايوس وخرجت تقابله، حيث كان واقفًا عند الباب من الداخل، فقطف وردة حمراء وقدمها لها في لطف قائلاً: تفضلي أيتها الجميلة رايوس.

آهٍ لو تعلمين ماذا فعلتِ في قلبي منذ أن رأيتكِ!

- شكرًا لك، لكن ماذا هناك؟!

- لا وقت للنقاش.. هيا تعالي معي الآن.

- الآن! أجننت؟

- وكيف علمتي؟

أخذها ناحية شرفة الجناح، وكانت متعجبة لما يفعله، ثم وقف قائلاً لها: انظُري..

نظرت رَايُوس وانبهرت بما رأت، وحدثته قائلة: يا للروعة! ما هذا الجمال سفيو!

- شروق الشمس من هنا غاية في الجمال.. عندما تحتضن أشعة الشمس ماء البحر تصبح خيالاً، وعندما تُلامس الأشجار بإمكانك أن تشاهدي دُنيا أُخرى، بل هي جنة! هذا سحر الطبيعة وجمالَها، هذا عالمي الخفي.

- لم أرَ منظر كهذا من قبل.

ثم جلس على الأريكة وتحدث بنبرة حزن وألم، واغرورقت عيناه بالدموع قائلاً: كانت أمي تأتي بي إلى هنا كُل يوم عند شروق الشمس؛ لتملأ روحي بيوم جديد به الكثير من التفاؤل والأمل.. اشتقتُ لأُمي حقًا.

جلست رَايُوس بجانبه كي تواسيه قائلة: قد تركت مَلِكًا قويًا طيب القلب، شُجاع.. فلا تحزن.

- تركتني أُمي وحيدًا.. لي أعباء ومسئوليات، تركتني وعمري سبع سنوات، لا أحد يحنو عليّ، أصبحت أعيش بمُفردي، أُظهر القوة لأنني مَلِك وإن تهاونت سقط كُل شيء! أُدير المَملَكة بحكمة بالغة، لكن بداخلي فراغُ عظيم تركتهُ أمي بعد موتها.

- كُل هذا بداخلك!

هون عليك.. من يراك يظن أنك سعيد، ضحكاتٍ متتاليات، لا تعرف سوى المزاح!

- أُخفي أوجاعي وآلامي بالضحك ومجاراة الأمور، وهل يجب أن يعلم الجميع ما في داخلي؟

أتعلمين رَايُوس! من يضحكَ كثيرًا فحتمًا بداخلهِ ألمُ كبير ككبر الجِبال.

حزنت رَايُوس لأمره، ودت لو أن أخرجته من هذا الألم الذي بداخلهِ وفقدانهِ لأُمهِ، شعرت أنه قد مر بالكثير من المُعاناة.

فتحدثت قائلة: وأنا أيضًا بداخلي ألـمُ كبير.. لم آكل التفاح منذُ أن دخلت قصرك! أين كرم الضيافة أبخيلُ أنت؟! هل ستأتي معي لنقطُفها سويًا؟!

فابتسم لها سفيوراس قائلاً: بالطبع لكِ البُستان بأكمله مولاتي.

تطاير شعر رَايُوس الذي كان مُنسدلاً على جبينها، كان يُخفي جمال عينيها، اقترب ضوء الشمس من عينيها.. فلمحها سفيوراس قائلاً: هُناك منظر آخر اكتشفته، فالشمس حين تُشرق تُشرق من بين عينيكِ.

فابتسمت رَايُوس خجلاً من كلِماتهِ، ونظرت في الأرض حياءً، ثم نظرت بعيدًا في بُستان التُفاح فهُناك زهرة صفراء غاية في الجمال!

رَايُوس: هيا لنأكُل التفاح، ونقطف الزهرة الصفراء المميزة من بين تلك الزهور الصفراء الجميلة.

فذهبا سويًا إلى بُستان التفاح المُحاط بالورد الأصفر.. قَطف سفيوراس الوردة الصفراء التي أشارت عليها رَايُوس ووضعها في شعرِها فزادتها جمالاً فوق جمالها، ثم أعطاها التفاحة قائلاً: ها هي التُفاحة كما طلبتِي.

- إنني أعشق التفاح.

- يا ليتني كنت تفاحًا!

فضحكت رَايُوس وقضمت أول قضمة منها فأخذها سفيوراس وأكلها! وقطف لها واحدة أخرى وتكرر نفس الموقف! لكن رايوس لم تسمح له بأخذها هذه المرة متعجبة من فعله قائلة: لا لن أجعلك تأخذها هذه المرة! ماذا تفعل، ولماذا تأخذها مني؟

- فقط أحببت أن أتناول التفاحة التي أكلتي منها.

- ألم أقل لك من قبل أنك مجنون!

- بكِ أيتُها الملِكة، ثم أسرع قائلاً: سأذهب خارج القصر اليوم أتاتين معي؟

- بالطبع فأنا أُريد أن أرى المملَكة، لكن لم ستذهب بالخارج؟

- لأنظُر في أمر الرعية، هل هُناكَ مَن في حاجة لشيء منهُم أم لا.

فدخل السرور قلب رَايُوس مما سمعتهُ من سفيوراس وتساءلت: هل هو صادق، أم لا؟ على أي حال سنرى.

عادت إلى غُرفتِهَا.. قالت لها مانيشا: مولاتي.. ما رأيك أن تتركي العشق يدخُل إلى أعماقكِ! طيري بالأجنحة في سماء الحُب وحلقي.

- عم تتحدثين؟

- مولاي المَلِك سفيوراس.. فهو عاشق لكِ مُنذُ أول وهلة!

- وكيف عرفتي؟

- أشعر بهذا.. لكن لنقل مُنذُ أن حدثكِ عن فُقدان أُمهِ، عند شروق الشمس.

- أتتنصتين علينا!

- أبدًا مولاتي لم أقصد، لكن الصوت كان واضحًا ومسموعًا.

ثم أخذت تفكر رَايُوس وقالت: هل نبَّاز بخير؟ هل عاد إلى المملَكة!

- اتركي أمر نبَّاز مولاتي، فرُبما حصل على الزهرة وحصل على قواه وعاد إلى مملَكته.. مولاتي إنهُ من الجن لما تهتمي لأمره هكذا؟ قد نسيكِ.

- أتمني أن يكون الأمر كما تقولين؛ أنه حصل على الزهرة وعادت لهُ قواه، ولكني أعلم أنهُ لن ينساني أبدًا فقد وعدني أنهُ سيظل بجانبي، ولا تنسي أنهُ وزيري.

- مولاتي اترُكيه لمصيرهُ فهو من عالمٍ آخر، ويجب أن تعيشي أنتِ عالمكِ.. اعشقي وتزوجي وأنجبي الأطفال فقدٍ ذهب نبَّاز ولم يعد!

جاءت الأخبار من المملَكة أن نبَّاز لم يعُد، فحدثت رَايُوس نفسها قائلة: هل صحيح ما قالته مانيشا! نبَّاز ذهب ولن يعود! لا، حتمًا سيعود.

وعلى الجانب الآخر كان نبَّاز يُحارب وحوشًا عظيمة وهو في طريقهِ للوصول إلى الزهرة، كان يفقد قواه أكثر فأكثر.. سقط على الأرض جريحًا والشمس حارقة بعد أن قاتل طيلة الليل وحوشًا من وحوش عمِه زَنيم.

نبَّاز: يبدو أنني على وشك الفناء رَايُوس. لقد افتقدتكِ كثيرًا ليتكِ

معي، أُطيب جراحي بكِ، وأُشبع ناظري منكِ، لمَ لم أُخبرُك بحُبي لكِ! نعم أنا أحبكِ، أعلم أنهُ لن يفيد لأنني من الجِن وأنتِ من البشر! يا لهذا الحظ المؤلم نبَّاز.

فقد وعيه تمامًا وهو وحدهُ في أرض يابسة لا يُنبت بها زرع ولا بها شربة ماء!

وبعد الظهيرة استعد المَلِك سفيوراس للذهاب، وكانت هُناك "شوبا" ابنة الوزير "نِمراج" التي تعشق المَلِك سفيوراس بجنون وهو لا يهتم لأمرها ولا يُحبها.

نظرت إلى رَايُوس وهي تُداعب فرسِهَا وفي قلبها الغيرة قائلة: أهذه الملِكة رَايُوس! إنها حقًا جميلة كما قالوا عنها الخدم.. هذه من أعطاها المَلِك جَنَاحه الخاص وأهداها أفضل الخيول عنده!

ثم التفتت شوبا ناظرة إلى موكب الملِك، فوجدته في استقبالَ الملِكة رَايُوس.. فجن جنونها من قُرب رَايُوس له، وأنهُ أخذها معهُ في موكبهِ، كانت شرارة الغضب في عينيها تلتهب التهابًا، حدثت نفسها قائلة: ماهذا؟ هل سيأخُذها معهُ في جولته! لقد طلبت منه أنا وأبي مرارًا وتكرارًا أن يأخُذني معهُ ورفض! لم هي؟ هل بدأ يُحبها؟ لا، لن أسمح أن يحدُث هذا أبدًا.

ذهب الملك ومعه الملكة رايوس، والمملَكة جميعها تُرحب بها، فشعرت بسعادة كبيرة تغمُرها كما شعرت بأنهَا بين شعبها ورعيتَهَا فهُم يبادلونهَا الحب كمَا يُبادلهَا شعبِهَا.

رَايُوس: سعيدة جدًا سفيوراس والفرحة تغمُرني برؤية المَملَكة والشعب.

- هُم شعبُكِ وأهلُكِ، وهي مملَكتُكِ أيضًا رَايُوس.

ففرحت بقوله، وكانت في غاية السعادة. وحينها قال لها سفيوراس: فلنقف هُنا نأكل البطاطا المشوية بالتوت والمانجو وعسل النحل من "أبنيس" إنها أكلتي المُفضلة خارج القصر، ستُعجبِكِ وستعشقينها.

- ولِمَ هي المُفضلة خارج القصر، لمِ لا تأكُلها داخل القصر؟!

- لأن لا أحد يستطيع أن يُقدمُها بهذا الجمال غير أبنيس الرجُل البسيط الطيب، فلها مذاقُ منهُ مُختلف، يُقدمهَا بحُب وإخلاص نية.

تذكرت رَايُوس من كلامِه تفاح نِعمَار الذي أكلتُه خارج القصر؛ فهي تعلم جيدًا أن الجمال الحقيقي في بساطة الأشياء والأشخاص، ولولا بساطتهُم وحُسن نيتهم وحُبهِم وكرمهِم وعطائهِم سواء بمُقابل أو بغير مُقابل لما خرجت من أيديهِم الأشياء حلوة المذاق.

سفيوراس: أبنيس.. جئتُ إليك مخصوص من أجل البطاطا.

- أمرُكَ مولاي.. سأُجهزها لكَ في الحال.

- فلتجهز واحدة أخرى هذه المرة.. أترى تلك الملكة الجميلة! إنها لها.

نظر أبنيس ناحية رايوس، فلوحت لهُ بيديها مُبتسمة، فهمس أبنيس في أُذن سفيوراس قائلاً: مولاي إنها حقًا جميلة.

- أعلم أعلم.. لقد سلبت مني عقلي أبنيس، ثم تنهد قائلاً: هيا أبنيس.

ثم عاد إليها قائلاً يغازلها: لا بد أتعبكِ التجوال في خيالي طوال الوقت.

فقالت: بل أتعبني حديثك المستمر، ألم تكف ولو قليلاً! أريد البطاطا

وكان أبنيس قد انتهى من التحضير وقدم لهما البطاطا قائلاً لها: شرفتي المملَكة كُلِهَا مولاتي.

- شكرًا لكَ أبنيس.

- أمرُكِ مولاتي.

- إنها لذيذة حقًا، لقد أحببتها.

- أُحبها مُنذُ الصِغر.. كُنتُ أتسلل خارج القصر؛ لأتناولها.

- أكُنت تتسلل خارج القصر!

- نعم، فأنا أحب الحرية والناس.

فحدثت رايوس نفسها متعجبة مما تسمعه من سفيوراس قائلة: إنه مثلي تمامًا!

نظرت إلى مُعاملته للشعب بمحبة، ومعاملتهم لهُ بمحبة، ومداعبتهُ للأطفال ومرحه معهُم، فرحت محدثة نفسها: إنهُ ليس كما قيل عنهُ في الرسالة.. إِذن إنها مكيدة! يجب أن أُعلمه بأمرها.

- فيم شردت الملِكة؟

- فيك.

- حقًا! يا لكَ من محظوظ سفيوراس، أن تُفكر فيك الملِكة العظيمة رَايُوس.. سآخُذكِ إلى مكان جميل أُحبه.

أخذها وذهب بها إلى مكان يُحيط به البحرمن كُل جانب.. مياهه صافية، تستطيع أن ترى الأسماك المُلونة والصخور الصغيرة بوضوح من كثرة صفائه.

رَايُوس: يا لجمال هذا المكان! كُل مرة تُفاجئُني بمكان أجمل من الذي قبله!

نظر إليها وكان فرحًا بفرحتها وابتسامتها التي تزيدها جمالاً، ناظرًا في عينيها وهي تتحدث..

رَايُوس: في أي شيء شردت، ولم تنظُر إلي هكذا؟!

- شردت في جمال عينيكِ.

- دعك منهما وانظُر لجمال البحر.

- عيناكِ هُما البحر، لكن ليس البحر المالح، بل الماء العذب كالنيل، من يغوص فيهما يغرق، وأخشى على قلبي أن يميل.

فلستُ للعشقِ سيدا ولا العشقُ لي جميل..

ولكن بعد رؤياكِ بدأ في قلبي التهاليل.

تنهدت رايوس تنهيدة طويلة.. بدأ قلبِهَا يخفقُ ويخفق، تسارعت ضرباته، نظرت إليه وجدته ناظرًا إليها فقالت له: هل هُناك أماكن لم أرها؟

- الكثير..

- لنجعلها في وقتٍ آخر.

- أتعِبت مولاتي؟!

- لا.. أنا بخير، من هذا الذي يتعب بعدما رأى كل هذا الجمال!

- هُناكَ بائعون خلف القصر من الجهة الأُخرى نتطمئن عليهُم ونعود على الفور.

- حسنًا كما تُريد..

كانت رايوس تُحدث نفسها وهي تنظُر إلى سفيوراس خِلسة قائلة: لم يغفل عن رعيته حتى الباعة خلف القصر! إنهُ حقًا رائع.

عادا إلى القصر سويًا، وقال لها قبل أن تعود إلى جناحها: أشكركِ رَايُوس؛ لأنكِ وافقتي على الخروج معي وتفقُد الرعية.

- بل أنا التي عليها شُكرك، يكفي أنك أخذتني معك وجعلتني جزءًا منكَ ومن شعبك.

- غدًا اجتماع لي مع الوزراء للبحث في شئون المملَكة، أُريدُكِ أن تحضريه.

- كيف؟ هي أمور خاصة بك وبمملَكتك، ولا يجوز أن يطلع عليها غيرك ولا يجب أن يعلمُها غريب.

- صدقتي، لكن أين الغريب!

فابتسمت رَايُوس.. فقال: سأنتظرُكِ، في كُل جلسة ستكونين معي رَايُوس.

- أراك غدًا سفيو.

- فليأتي الغد سريعًا أيتُها الجميلة.

- هل ستأتي عند شروق الشمس؟

- لم يمر يوم مُنذُ صُغري أترُكها تشرق دون أن أراها، لكنني الآن أراها تشرق من بين عينيكِ.. ثم أزاح شعرها المُتطاير خلف أُذُنيها، فأسرعت رَايُوس قائلة: تصبح على خير.

- أصبح على نور وجهكِ وابتسامتكِ الرقيقة.

عادت رَايُوس إلى غُرفتها، قابلتها مانيشا قائلة: مولاتي أراكِ سعيدة، أحقًا ما أراه؟

تنهدت رَايُوس قائلة: نعم مانيشا سعيدة جدًا، وهذا الشعور الذي بداخلي لا أستطيع أن أصفهُ لكِ.. أتركيني أنام وغدًا اجتماع لسفيو ووزرائه ويريدُني أن أحضرهُ معه.

- دمتي بسعادة كبيرة مولاتي.. تصبحين على خير.

وعند شروق الشمس أتى سفيوراس إلى رَايُوس التي كانت تنتظر قدومه لكي يُشاهدان معًا المنظر الخلاب الذي أوجدتهُ الطبيعة، فقال لها قبل مغادرته: لا تنسي اجتماغ اليوم قبل الظهيرة.

رَايُوس: لن أنسى.

غادر سفيوراس الشُرفة والجناح وقفزت رَايُوس على فِراشها فرحة ينتابها شعور لم تعرفهُ من قبل! مذاق للسعادة مُختلف، نسيمٌ لامس قلبها، بلسمُ يُحرك مشاعرها، شيء ما اهتز لهُ الكيان.

أقبلت رَايُوس إلى مكان الاجتماع ورأتها شوبا التي أسرعت وأوقفت الملكة رايوس قائلة لها: مولاتي أين تذهبين؟

- ومن أنتِ؟

- شوبا ابنة الوزير نِمراج.

- أهلاً شوبا.. إنني ذاهبة إلى اجتماع سفيو.

فغضبت شوبا من نطقها سفيو بدلاً من سفيوراس، لكنها حاولت ألا تُظهر غضبها أمام رَايُوس قائلة: سفيو!

- نعم، سفيوراس.

- وهل الملِك يعلم بحضوركِ؟

- هو من دعاني.

فاشتعلت غيظًا، وشعرت أنها تكاد تقتُل رَايُوس.

رَايُوس: أهُناكَ أسئلة أُخرى يا.. عذرًا ماذا كان اسمكِ؟ شبا..

شوبا بغيظ شديد تحاول إخفائه لكنها لا تستطيع، فكان غضبها يفضحها بالرغم من محاولاتها لإخفائه..

- شوبا مولاتي، شوبا ولستُ شبا.

- نعم نعم، شوبا.. أهُناك ما تحتاجينه؟

- لا مولاتي.. شكرًا لكِ.

ذهبت شوبا في غيظ شديد، وعلمت رَايُوس من حركات شوبا أنها تكيدُ لها من أسئلتها التي لا دخل بها من الأساس، ومن عيناها اللذان بهمِا من الحقد ما يُفجر بحارًا، فتبسمت رَايُوس ودخلت الاجتماع ولم تُبالِ.

دخلت رَايُوس ورآها سفيوراس وفرح بوجودِها، فقام ليستقبلها وحيوها الجميع. بدأ يتكلم الملِك عن سياسة الدولة، وعدالة الأفراد، والحقوق والواجبات، وتقليل الضرائب عن عامة الشعب، وتوزيع الدخل، وحِرصه على التعليم كان واضحًا لعامة الشعب جميعًا صِغارًا وكِبارا.

أُعجبت رَايُوس بطريقة تفكيرِهِ وإدارتِهِ للحُكم، وفِطنته، وجده، وحرصِهِ على شعبه، فكان يعلو في نظرها مرة بعد مرة.

ظل سفيوراس يسأل رَايُوس ويأخُذ بمشورتِهَا في أمور الزراعة والتجارة وبعض المشاكل التي تواجه مملَكتهِ، فأتته رَايُوس بالحل الذي أُعجب بهِ كثيرًا هو والوزراء أيضًا..

انتهى المجلس وخرجا سويًا في حديقة القصر يتجولان ويتحدثان..

سفيوراس: جميلة وذكية وقوية جمعتِ الشمائل أنتِ يا رَايُوس. قطفتُ لكِ ثمر التفاح تفضلي.

- شُكرًا سفيو.

- ماذا بكِ؟ مُنذُ أن خرجنا من الاجتماع وأنتِ لستِ على ما يرام.. ما الذي يشغلُ بال مليكتي؟

- هُناك من يُدبر لكَ أمرًا ما!

- ماذا؟ ماذا تقصُدين؟

- كما سمعت سفيوراس، هُناك من يُدبر لكَ أمرًا ما.

فقد وصلتني رسالة استغاثة من هُنا، من مملَكتك منذُ مدة؛ بأنك ملِكُ ظالم تظلم الرعية، تسيئ للبلاد! فقررت بعدها أن أستعد على الفور وأرسلنا لك رسالة لا نُعلمك فيها حقيقة الأمر؛ لأرى بنفسي هل هذا حقيقي أم لا! وعرفت أن الرسالة التي وصلتني هي من داخل قصرك! لأنها كُتبت بحبر ملَكي.

فقاطعها سفيوراس مُتعجبًا غاضبًا: ماذا تقولين؟

- أقول الحقيقة.. وها أنا قد اقتربت على أن أتم شهرًا هنا ولم أجد إلا مَلِكًا كريمًا وشعبًا مُحبًا لهُ.

فجلس سفيوراس على أحد أسوار الحديقة مُتعجبًا لما سمع وفي نفس الوقت مصدومًا يتساءل: من يدبر لي مكيدة؟! من يخونني!

- جئتُ اطبق العدل، إن رأيتُك ظالمًا حاربتك، وإن رأيتك مُخلصًا ساعدتك.

فقام سفيوراس من مكانه ناظرًا إليها قائلاً: شكرًا لكِ.

ثم تنهد وقال: أُحبكِ رَايُوس، بل أعشقكِ عشقًا لا حد لهُ.

فابتسمت رايوس، وخفق قلبها من شدة سعادتها قائلة: ماذا؟

- أعشقُكِ حد الجنون رَايُوس، حد السماء، أعشقُكِ فوق عشق العاشقين عشقًا يا مليكتي.

وكانت شوبا قد مرت صُدفة وسمعت ما قالتهُ رَايُوس للملِك عن أمر الرسالة، تنصتت عليهمَا وانفجرت غيظًا وحسدًا عندما اعترف الملك بحبه الكبير لرايوس، وحينها أيقنت أنه وقع في غرامها حقًا.

شوبا: لابد أن أفعل شيئًا أُنهي بهِ هذه العلاقة، سأُدمرُكِ رَايُوس.

أمسك سفيوراس رَايُوس من يدها وذهب بها إلى الجهة الأُخرى من القصر وبالتالي بعدوا عن أنظار شوبا، ولم تستطع ملاحقتهِم أوالتنصُت عليهُم.. ذهبت بعدها تُفكر في مكيدة لرَايُوس!

رَايُوس: لابُد أن نعرف كُل شيء عن هذه المكيدة سفيو.

- لا تقلقي سأعرف.. قريبًا سأعرف.

نظرت رَايُوس على إحدى الأشجار الجميلة ورأت طائرًا يقتربُ منها؛ طائر غاية في الجمال، يشبه الحمامة في حجمها، ورأسه متوج بالألماس، وجسمه مفروش بالأبيض البراق اللامع، وكأنه يشبه العروس في فُستان زفاف عصرنا هذا، أما الذيل فهو مجموعة من الألوان اللواتي مُزجت بشكل فني مُبدع.. سُبحان من أبدعها وسواها.

رَايُوس ماهذا الطائر الجميل.. إنه جميل جدًا سفيو لم ترَ عيني بجماله قط!

- ولم ترَ عيني كجمَالِك.

- أحببتُ هذا الطائر.

- وأنا أحببتُكِ.

- أصمُت قليلاً سفيو.. ألا تتوقف بعض الشيء عن مُغازلتي!

- لن أصمت، ولن أتوقف.

فابتسمت رَايُوس، هي بالفعل تشعر بسعادة بالغة، حاولت أن تُمسك بها فكانت تقترب منها ولامستها بيدها، وظلت تُداعبها بلُطفٍ حتى اقتربت منها وكأنها شعرت بالحنان والأمان.

سفيوراس: يبدو أنها هي أيضًا أحبتك رَايُوس.

- وأنا أحببتها.. ماذا أُسميها؟

ظلت تنظر إليها وتفكر في اسم لها، ثم قالت: سأُسميها فيورا.

- لَمَ فيورا؟ ماذا يعني الاسم؟

- جمع بين أواخر أحرف اسمك (فيو) وأول اسمي (را).

ماذا لو كانت فيورا كبيرة حجمًا وتـأخُذنا على جنَاحها وتطيرُ بنا في السماء بين السُحب!

سفيوراس ضاحكًا: هيا فيورا افعلي ما تأمُرك به الملِكة!

فضحكت رَايُوس.. وبعدها لمحت سفيوراس شاردًا وبدا الحزن على ملامحه.

رَايُوس: أأنتَ بخير؟

- كُل ما هو جميل ترينه هنا كان خرابًا من قبل رَايُوس، لم يكُن هُناكَ طائر يستطيع العيش على هذه الأرض!

تعجبت رَايُوس قائلة: أي خراب سفيو!

- الأقارب رَايُوس؛ الأقارب هُم من يضعون لنا السُم ونحن دومًا نثق بهم! لا يريدون إلا أن يرونك أسفل السافلين، ومهما حاولت الوقوف

وضعوا لكَ العثرات والأشواك لتقع، كُرهًا وحقدًا وحسدًا.. شر ما مُتمركَز في قلوبهِم الضعيفة، عليهم غشاوة يُظهرون المحبة وهُم العدو، بينَةً من النفاق، فاحذري كُل الحذر من الأقارب رَايُوس فلا تتوقعي منهُم أن يكون جزاء الإحسان بالإحسان فقلوبهِم مُنكِرة، لكُل جميلٍ ناقمة، نفوسهم هاتكة اللذات، وقاتلة للنفس، وجالبة الحسرات.. إن كانوا الأقارب بهذا السوء فالبُعد عنهُم عزة وصلاح ونصر، وما عليكِ وقتها إلا بالهجر الجميل.

- عن أي أقارب تتحدث سفيوراس! ماذا حدث معك؟

- لا عليكِ رَايُوس.

- كما تشاء.. لكن عليك أن تعلم أن هُناكَ أقارب ليسوا بهذا السوء! فهُناكَ أقارب قُربهُم نعيم، وودهُم هداية، وفرحهم سعادة، ومشاركتهم رضا، وأُنسهم بهجة.

- نعم رَايُوس.. محظوظ من لديهِ أقارب مثل ما تقولين، لكن مع الأسف ليس الجميع كما ذكرتي، فلا تُعاملي كُل الناس بهذه الطيبة رَايُوس، فالعواطف الزائدة تُكسر القلب! ولا تدري رُبما هُناكَ من هُم أقرب ما يكون إليكِ من وجهة نظركِ تُكني لهم كل الخير وتعامليهِم بالمعروف وهُم في الأصل يكيدون لكِ كيدا لِيُطيحوا بكِ أرضًا.. مريضة قلوبهم، فاجعلي تعامُلك مع الجميع مُعاملة سطحية لا تتعمقي إياكِ والتعمق فهو قاتل، ولا تتعلقي فالتعلق مُر.

ما مررت بهِ من الحياة دليل.. وضع أبي أقاربه فوق كُل شيء وأمي كذلك، أعطوهُم كُل الحُب والاحترام، أسكنوهُم و أطعموهُم وأكرموهُم.. فماذا فعلوا؟! تحالفوا جميعهُم مع أعداء المَملَكة؛ ليُطيحوا بنا جميعًا ويتولوا الحُكم! قُتل والدَاي على يد من أكرموهُم طوال حياتهِم.. لكن الخير دائمًا مُنتصر وإن طال الزمن.

نزلت دمعة من سفيوراس وهو يقص لرَايُوس حكايته وعن مقتل والدايه، فحزنت رَايُوس أشد الحُزن وربطت على كتفه قائلة: لا تحزن أيها الملِك العظيم فالعواصف لا تدوم، لا تحزن على ما فات.. فما فات قد مات! ونحن الآن في جديد، جديد من كُل شيء.. أنا بجانبك دائمًا سفيو ألا يكفيك؟

- بل يكفيني عن العالم والمُلك والطعام والشراب وكُل شيء، أنتِ أعظم انتصاراتي رَايُوس، أنتِ الريح الطيبة بعد العواصف المُميتة. لم أعلم أن جزاء الصبر جميلٌ هكذا كجمال وجهكِ.. أُحبكِ رَايُوس حبًا لن ينسى العالم ذِكرهُ.. كنتُ وحيدًا لا أحد لي بالرغم من أن الكُل يُريد التقرب إليّ ومُحاباتي.. لكن أنا لم يكن لي إلا الخيول والرسم يُخرجاني من وحدتي قليلاً، ثم جئتي أنتِ وسلبتِ مني روحي وجعلتي للحياة طعمًا ومعنًا جميلاً.

سعدت رَايُوس بما سمعته، كاد قلبها يطير فرحًا، ثم أخذ سفيوراس الألوان وبدأ يرسم على حجر..

رَايُوس: ماذا تفعل سفيو؟

- تمهلي قليلاً وسوف ترين.

تركته يرسم ووقفت تتأمل الشجرة ذات الزهور الصفراء وتشم رائحتها، وكان شعرها يتطاير وكُل اهتمامِها مُركز على جمال الزهور.. وعلى غُصن الشجرة وقفت فيورا، فابتسمت رايوس ثم قالت: سفيو.. هيا بنا لنعود.

- كما تريدين رَايُوس، لكن ألا تحبين أن تنظري ماذا رسمت؟

- بالطبع اُحب، أرني ماذا رسمت؟

نظرت رَايُوس إلى الرسمة فوجدت سفيوراس قد رسمها وأوراق الشجرة تُداعب وجهها الجميل، تقف لا تستطيع الكلام من روعة وجمال الرسمة، سقطت دمعة فرح لها وقالت: لم أكُن سعيدة في حياتي لحظة واحدة

إلا عندما دخلت أنتَ قلبي سفيوراس! لم أعلم أن للحياة طعم إلا بك، ولا للروح حياة إلا معك.

ففرح بكلامها، وأجلسها..

رَايُوس: ماذا ستفعل سفيو؟

- سأرسم على يديكِ الجميلتين رسمةُ خالدة.

- ماذا سترسم؟

- فيورا.. سأرسم فيورا، نصفها على يدكِ ونصفها على يدي.. ستكون الرسمة مُكتملة عندما تكون يدي بيدكِ.

أنهى سفيوراس الرسمة على يد رَايُوس ويديهِ، أبدت رَايُوس إعجابها الشديد بها، فقد كانت حقًا جميلة، ودعت سفيوراس وعادت رَايُوس إلى جَنَاحِهَا العظيم حيث كانت تنتظرها مانيشا.. فأمسكت رَايُوس مانيشا وعانقتها والتفت بها في سرور قائلة: مانيشا مانيشا..

إنني عاشقة، بل غارقة بحُبهِ مُتعلقة.

كيف يكون قلبي مفتون بحبه لهذه الدرجة مانيشا!

- مولاتي هذا أمر لا يُصدق، مولاتي الملِكة مُغرمة حقًا!

- نعم مانيشا.

استلقت رَايُوس على فِراشها ممسكة بالوردة التي قد قطفها لها سفيوراس ونامت رَايُوس نومة هادئة، قلبها شغوف بالحُب لكن السعادة لا تدوم، ولا يدوم الحُزن، هُناكَ ما يأتي ينتزع الفرح، وما يأتي ينتزع الحُزن!

رأت رَايُوس في المنام نبَّاز يُحارب وحوشًا، وتحول إلى ثُعبان ضخم

مناديًا عليها.. رَايُوس رَايُوس.. فقامت من نومها فزعة!

رَايُوس: نبَّاز.. نبَّاز

مانيشا: ماذا بكِ مولاتي؟ اشربي الماء.

كانت رايوس تتحدث بصوت عالي وبخوف ورعب شديد قائلة: نبَّاز ليس بخير.. ليس بخير وقد أصبح ثُعبانًا ضخمًا، ونفس الخِتم الذي على رقبتهِ أصبح موجودًا على جسده وهو ثعبان! أشعر أنهُ ليس بخير.. هذا يعني أنهُ لم يجد الزهرة حتى الآن مانيشا.

- مولاتي اهدأي قليلاً.. إنهُ مُجرد حُلم لأن عقلكِ مشغولٌ به، عودي إلى النوم ولا تشغلي بالك بشيء.

- أين أنتَ نبَّاز.. وكيف حالك؟ لابد من أن أعود إلى المملَكة ثم أذهب وأبحث عن نبَّاز وأساعده مانيشا.

- مولاتي.. المملَكة بخير وقد بلغنا الرسول بهذه الأخبار عن المملَكة.

- نعم المملَكة بخير، لكن نبَّاز ليس بخير مانيشا.. مكثتُ هُنا كثيرًا لابد من العودة.

- وماذا عن مولاي سفيوراس؟!

وكأن مانيشا ضغطت على نقطة الضعف لديها، فرقَ قلبها وجلست أرضًا في حُزن وألم مما يحدُث بين قلبها وعقلها، صراع يدور في عقلها بين الواجب والمسئولية، وبين الحب والصداقة.. كانت تردد: سفيوراس.. نبَّاز.

لم يغفُ لها جفن، ولم تنم وظلت مستيقظة إلى أن جاء سفيوراس؛ ليشاهد معها شروق الشمس قائلاً: اليوم مليكتي مُستيقظة ويبدو أنها لم تنم! هل هُناكَ ما يُشغلها؟

- نعم، قلقة على أمر المملَكة.. أشعر أن هُناكَ أمرُ سيء قد حدث أو سيحدُث!

- لا تقلقي لن يحدُث للمملَكة أي شيء.

كان الرعب يتملكها، وقد بدا على ملامحها الفتور.. قالت: أتمنى سفيو.. أتمنى.

- ها هي تشرُق الشمس وأنتِ معي، دمتي لي حبيبة وكُل شيء رَايُوس، لم تعد تهُمني كما يهُمني أمر مولاتي، فشمس عينيكِ توجت الكون بين عيني رايوس.

فابتسمت رَايُوس لهُ، لكن الخوف ما زال يحاوطها والقلق يدُق أوصالها، تُحاول إخفاء ما بها عن سفيوراس.

سفيوراس: نعم هذه الابتسامة التي انتظرُها، دعي كُل أمر ولا تقلقي من شيء فأنا بجانبك.. سآتي إليكِ قبل غروب الشمس أُريكِ شيئًا جميلاً.

- سأنتظرُك.

ارتدت رَايُوس ثوبًا فضي اللون فزادها جمالاً فوق جمالها لقد أهداها إياه الملِك سفيوراس.. وعندما أتى سفيوراس ورآها جن جنونهُ بها أكثر. قال: ما هذا الجمال الذي اختصُكِ دونًا عن العالم وأصبح لكِ وحدك؟

- هذا جمال حُبك.

- بل جمال قلبك وابتسامتك.

أخذ سفيوراس الملِكة رَايُوس إلى مكان به شلالات الماء المُثيرة، أصواتها جميلة مُنعشة..

سفيوراس: أأعجبك هذا المكان رَايُوس؟

- جميلٌ إلى درجة لا توصف.

وما زال أمر المملكة يُشغلها، وأيضًا قلقة على أمر نبَّاز، فلم تعُد تستطيع التلذذ ما دام فكرها مشغول بهما هكذا! كان سفيوراس يشعر بقلق وتوتر رَايُوس، لقد كان واضحًا جدًا.

رَايُوس: أُريد أن أشرب الماء سفيو.

فناولها سفيوراس كأس الماء، فشربت.. وأمسك سفيوراس بالكأس واقترب منها قائلاً: أعشقُ نورًا يسكُن بين عينيكِ، أعشقُ كأسًا لامس شفتيكِ، أعشقُ روحي التي تهواكِ.

فأخبريني مولاتي!

أي سماءٍ أمطرتك؟ وأي ريحٍ حملتك؟ وأي عشقٍ هو لك؟

أنتِ الهُيام والإلهَام، أنتِ النور ودونكِ الظلام، روح أنتِ لي وريحان، مِسكٌ أنتِ لي وزعفران.

كان يتحدث وهو يقترب منها وينظر في عينيها، وكان كل تفكيرها في المملكة ونبَّاز.. أصبح قلبها وكأنه بالمملَكة، ذابت كذوبان الشمعة المُحترقة من ناحية على المَملَكة ومن ناحية أخرى عِشقًا، كاد سفيوراس أن يقبلها فدفعتهُ بعيدًا عنها، وبغضب قالت: سفيوراس.. لا تقترب أكثر هكذا مرةً أُخرى!

كان الغضب يتملكها، زاد توتُرها، وأيضًا لم يكف عقلها في التفكير في الحلم الذي حلمته، لقد شغلها كثيرًا.. كما أنها لم تكن لتخون مبادئها حين شعرت أن ما كان سيحدث من سفيوراس فهو خطأ، لهذا نبهته كي يحافظ على مسافة بينهما حتى لا يحدث شيئًا خاطئًا يتنافى مع مبادئها.

سفيوراس بعد فترة قصيرة تحدث قائلاً: حسنًا.. أغمضي عينيكِ سآخُذكِ إلى مكان لا مثيل لهُ.

ردت رَايُوس في محاولة منها أن تكون طبيعية: أما زال هُناك ما ليس لهُ مثيل!

- نعم.

ثم قام بوضع قطعة من الحرير على أعين رَايُوس حتى يُفاجئها، وعندما وصلوا نزع قطعة الحرير من على أُعيُنيها، فوجدت غُرفةً كبيرة بها مسبح ماء كبير بمنظر رائع وخلاب، وسرير مفروش بالورد، وستائر من حرير، وعطر يُذهب العقل من جمالِه، وجُدران عليها نقوش مُذهبة قد رسمها سفيوراس بنفسه، كُل ما في الغُرفة يُثير الدهشة ويُصيب القلب والعقل جنونًا لما بهِ من سحر وجمال.

رَايُوس: يا للرووعة! ما هذا الجمال سفيو؟! لمن هذه الغُرفة، ولمن هذا الفراش الجميل؟

- لنا مولاتي.. فهذه الليلة سنُقضيها معًا على فراش واحد لا تُفارقيني ولا أُفارقك!

غضبت رَايُوس غضبًا شديدًا، وقامت بصفعه قائلة: ماذا تقول سفيوراس؟ أزوجتك أنا، أم جاريتك ولم أعرف؟! يبدو أنني قد تهاونت معك كثيرًا أيُها المَلِك، فأنا لستُ زوجتك ولا جاريتك!

ثم علا صوتها من شدة غضبها وقالت بكبرياء: أنا المَلِكة رَايُوس.. ملِكة البِلاد، هل فهمت! مَلِكة.. أنا مَلِكة ولستُ جاريتك!

تركته وغادرت وسفيوراس من صدمته لم ينطقُ بكَلمة واحدة! فقد غضب من صفعة رَايُوس له، وقرر أن يردُ لها ما فعلتهُ فيه من غضب.

عادت رَايُوس إلى جَنَاحهَا غاضبة فرأتها مانيشا وأسرعت تسألها: مولاتي ماذا بكِ؟ و لم كُل هذا الغضب الذي يبدو عليكِ!

- صفعتُ سفيوراس على وجهه.. لم يكُن عليّ أن أفعل هذا، كان يجب أن أُحدثهُ على مهل، ولكن قلقي على المَملَكة ونبَّاز أتعبا تفكيري، و لم أتمالك نفسي من الغضب مما كان يُفكر بهِ! فما يُفكر فيه خطأ.. خطأ مانيشا، وأخذتني الجلالة والعِزة وتكبرت بأنني المَلِكة ولستُ جاريتهُ.. أعلم أنهُ بحُبٍ زاد عن حدهِ أرادني، لكنني لي مبدأ، كما أنني ملِكة تُحتَرم، ولا ينبغي لها أن تقع في أمر سوءٍ كهذا! ما كان عليه أن يُفكر هكذا مهما كان مقدار حُبهِ.. لابد أن أعتذر لهُ عن الصفعة وأُعلمهُ أن ما طلبهُ لا يُعد إلا خطيئة عندي.. دعيني أتحمم أولاً بالماء البارد فجسدي كالنار المغلي وكدتُ أفقدُ صوابي.

- أمرُك مولاتي.

ساعدتها مانيشا في أخذ حمام بارد، وحاولت رَايُوس الاسترخاء..

مانيشا: أرجوكِ اهدأي قليلاً مولاتي.. سوء تفاهُم وسيمُر، رُبما المَلِك لا يعلم بعاداتنا، وتعامل بعاداتهِ وعاداتهم هنا، لكني أريد أن أسألكِ مولاتي.. لم رفضتي ما طلبهُ وأنتِ تُحبينه؟!

رشت رَايُوس الماء على وجه مانيشا وصرخت في وجهها قائلة: أغبيةٌ أنتِ! أتريدينني أن أوافق على أمرٍ كهذا؟ أي عادات تتحدثين عنها؟ في أي مكان وأي زمان ما طلبهُ يعد خطيئة ولولا أنكِ خادمتي المُفضلة لقطعت رأسك على قولك هذا.

- آسفة مولاتي.. آسفة لم أقصُد إهانتك.

- عليه أن يعلم أن الحُب ليس شهوة، بل رباط مقدس؛ رباط دائم لا مُنقطع.

صفعتهُ ونحن في كرم ضيافتهِ بئس ما فعلتُ أنا، وبئس ما طلب هو.. لمَ سفيوراس.. لمَ! ضعي الماء عليّ أكثر مانيشا.

وكان سفيوراس قد جهز حفلاً كبيرًا، ونادى على خادمتهِ نيجارا..

سفيوراس: نيجارا..

- أمرُكَ مولاي.

- فلتذهبي ولتُخبري الملِكة رَايُوس أن الملِك سفيوراس يُجهز حفلاً سيختار فيه جارية ليُمضي معها الليلة.

فسمعت شوبا ما قالهُ وفرحت قائلة في نفسها: عظيم.. يبدو أن المَلِك غاضب من المَلِكة.. إنهُ لأمر رائع حقًا!

انتهت رَايُوس من حمَامِها، قالت لمانيشا: مانيشا إنني ذاهبة؛ لكي أعتذر من سفيوراس مما فعلتهُ له.

فطرقت نيجارا الباب في نفس اللحظة، فسمحت لها الملِكة رَايُوس بالدخول.

دخلت وألقت التحية عليها وقالت: مولاتي .. مولاي المَلِك سفيوراس يُجهز حفلاً الليلة؛ ليختار جارية يُمضي معها ليلة كاملة.

فصرخت رَايُوس في وجهها قائلة: ماذا! ماذا تقولين؟

ذهبت رَايُوس غاضبة إلى سفيوراس، الذي كان جالسًا وحوله الجاريات! قالت: سفيوراس ما هذا؟

فقام سفيوراس من مكَانهِ ووقف أمامها وجهًا لوجه قائلاً: أتغارُ المِلِكةُ من الجواري؟

فغضبت رَايُوس، لكنها لا تُبدي غضبها.. وردت عليه ببرود أعصاب ولا مبالاة وابتسامة باردة قالت: لا.. فالمَلِكاتُ مَلِكات، أنتَ الذي لا يليقُ بكَ إلا الجواري.

وأدارت ظهرها له وذهبت، فألقى سفيوراس الكأس من يدهِ بغضب وصرخ في وجه الجاريات قائلاً: اذهبن من هُنا جميعًا.. لا أُريدكُن لا أُريدكُن.. وفي داخلهِ بحُزن شديد يقول: أُريدُها هي.. هي فقط لا غيرها.

قابلت رَايُوس في طريقها شوبا.. فاقتربت شوبا هامسة في أُذن رَايُوس قاصدة الشماتة لما حدث بينها وبين سفيوراس قائلة: لو كنت مكانُكِ لقبلت أن أكون جاريتهُ ولو ليلةٍ واحدة.

- إذن اذهبي وكوني جاريتهُ! فأنا مَلِكة لست جارية.

وابتسمت وغادرت بلا اهتمام، لكنها تتساءل كيف علمت شوبا بالأمر!

غضبت شوبا من رد فعل رَايُوس عليها وإهانتها لها، فحدثت شوبا نفسها والغضب والحقُد يأكُل فيها: من أي شيء أنتِ؟ ولم كُل هذا العشق من سفيوراس لكِ!

عادت رَايُوس إلى غُرفتها غاضبة حزينة، أخذت تقول: أحمق.. كيف يُفكر هكذا.. هل يُريد امرأة غيري حقًا! لا، لن يفعلها.. أحمق.. أحمق.

مانيشا: مولاتي أرجوكِ اهدأي.

- اتُركيني بمُفردي.. اذهبي لا أُريد أحدًا.. اذهبي.

- أمرُكِ مولاتي.

عاد سفيوراس حزين مكلوم لما وصل به الحال بينهُ وبين حبيبتهُ رَايُوس، دخلت عليه شوبا ترتدي فُستانًا عاريًا لتُلفت انتباهه.

شوبا: مولاي أأنتَ بخير؟

كانت تحاول أن تقترب منهُ، بينما هو كلما اقتربت كلما ابتعد عنها قائلاً: ماذا تُريدين شوبا؟

- أُريد أن أطمئن عليكَ مولاي.

- أنا بخير، اذهبي الآن.

فتخابثت شوبا على الملِك وتدللت قائلة: لن أترُكك وأنتَ هكذا مولاي.. اقتربت منهُ أكثر فأكثر فأبعدها وألقى بها أرضًا قائلاً: لقد أخطأت في حق رَايُوس كثيرًا، لابُد أن أذهب لها وأعتذر منها، وأطلُبها للزواج ولتصبح زوجتي فأنا لا أستطيع البُعد عنها فالشوق يزداد ويزداد، هي قُرة عيني، هي الحياة.

زاد كلام المَلِك غضب شوبا وحقدها وفي نفسها كانت تقول: رَايُوس.. رَايُوس.. رَايُوس، ألا يوجد هُناك غيرها! لم لا تراني أبدًا سفيوراس! لن أدعك تتزوجها أبدًا.

قام سفيوراس كي يذهب ويعتذر من رَايُوس.. فأوقفته شوبا قائلة: مولاي انتظر لآخر الليل؛ لنعد لها هدية تليقُ بها وأذهب معك وأعتذر مِنها أنا أيضًا فقد تعاملت معها معاملة سيئة لأنها أغضبتك مولاي.

فكر سفيوراس في الأمر وابتسم مبديًا إعجابه بالفكرة، فقال: أعجبتني فكرة الهَدية.. اذهبي وجهزي أجمل الهدايا لها.

وكانت شوبا في الأساس تُفكر في مكيدة لرَايُوس، فحدثت نفسها قائلة: نعم، أجمل الهدايا.. ستكره رَايُوس إلى الأبد بعدها سفيوراس وتصبحُ أنتَ لي فقط!

عادت مانيشا إلى غُرفة رَايُوس، لكنها لم تلحظُها فهي تفكر في كُل ما يُحدث.

رَايُوس: أتمنى أن تكون المَملَكة بخير؟ أين أنتَ نبَّاز؟ هل قضى سفيوراس الليلة مع جارية حقًا! لمَ أُفكر فيه! دعيه رَايُوس فهو أحمق.

مانيشا: مولاتي.. أمازلتي غاضبة؟

- مانيشا.. آسفة غضبتُ في وجهكِ أنتِ أيضًا.

- لا عليكِ مولاتي.. مولاي سفيوراس لم يختر أحدًا لأن قلبُهُ معلق بكِ وعقلهُ مشغول أيضًا بكِ وحدك.

- حقًا مانيشا حقًا؟!

- أثق أنهُ سيأتي ليعتذر، إذن فلنتركهُ يأتي.

خططت شوبا لمكيدة لتوقع بين رَايُوس وسفيوراس؛ أن يراها سفيوراس خائنة!

وعندما حل الليل طرقت فِرنا خادمة شوبا باب جنَاح رَايُوس قائلة:

مولاتي رَايُوس.. مُهر فرسكِ مريض هيا لتري مابه.

ذهبت رَايُوس مُسرعة هي ومانيشا إلى الأسفل تجاه مكان الجِياد؛ لترى ما بهِ! مُهر فرسِها الغالي الذي أهداه لها سفيوراس.

وهُنا دخلت الخادمة الثانية لشوبا، وارتدت ملابس رَايُوس التي أهداها لها سفيوراس، ومن بعدها دخل رئيس الخدم.. وعندما تأكدت شوبا من إحكام الخُطة ذهبت لسفيوراس قائلة: هيا بنا لنذهب مولاي؛ لتعتذر من الملِكة فقد أخطأت أنتَ في حقها كثيرًا.

- شُكرًا لكِ شوبا، لن أنسى معروفك هذا أبدًا، وهذه الهدية الجميلة التي أعددتِها لرايوس.

- هيا حتى لا نتأخر وتنام الملِكة.

كان رئيس الحرس " أسونر" يُراقب الوضع.. فتبعًا للخطة عندما يرى الملِك يقترب إلى جنَاح المَلِكة يذهب ويقوم بما عليه فعله.

رأت رايوس مُهرًا مُلقى على الأرض.. فصرخت قائلة:

ماذا حدث لُمهر! افعلوا شيئًا.

وفي نفس الأونة كان سفيوراس قد اقترب من الجناح، وكاد أن يدخُل فسمع صوتًا وهو عند الباب ولم يكُن الباب مُغلقًا بالكامل.

أسونر: هنيئًا لنا المَلَكة نجحت خِطتكِ في الوقوع بسفيوراس.

ثم قبلا بعضهُما البعض..! فلم يصدق سفيوراس ما رأى، ولم يستطع تحديد هوية هذا الرجل؟ لكنهُ رأى الثياب التي أهداها لرَايُوس فتأكد أنها هي! فصدم ولم يشأ أن يعلمهُم بالأمر فقد تذكر عندما أخبرتهُ رَايُوس بأمر الرسالة، وعلم أن كُل ما حدث خُطة من رَايُوس لتُوقع بهِ وتستولى على مملِكته! فحدث نفسه قائلاً: لذا كُلما اقتربت منها أبعدتني عنها وترفضني!

تحدثت شوبا لتزيد الأمر اشتعالاً: ما هذا مولاي؟ إنها حرباء خائنة!

- هيا بنا لندعهُم يُخططون ولنأخذ حذرنا.

وذهب وهو يقول: خائنة رَايُوس.. خائنة.

أيقنت شوبا حينها أن سفيوراس قد بلع الطُعم وأيقن أن رَايُوس خائنة.

مات مُهر فرس رَايُوس، وبكت عليه كثيرًا وقبل شروق الشمس عادت على أمل أن يأتي إليها سفيوراس كعادة كُل يوم، لكن هذا أول يوم لم يأتِ إليها الملِك وكأن الشمس لم تُشرق لرَايُوس!

نظرت على سور شُرفتِها رأت فيورا فابسمت لها ومدت لها يدها فوقفت على يدها بالفعل.. فحدثتها رايوس قائلة: لقد اشتقتُ إليكِ كثيرًا فيورا.. سفيوراس لم يأتِ هل هو بخير؟

طارت فيورا وأتت مانيشا إلى رَايُوس داخل الشُرفة، فوجدت رَايُوس تبكي على موت مُهر، وحزينة لأن سفيوراس لم يأتِ بعد.

رَايُوس: مانيشا.. سفيوراس لم يأتِ.. هل حدث لهُ هو الآخر أمر ما! أنا قلقة عليه.. لابد أن أُخبرهُ بما حدث لمُهر.

ذهبت رَايُوس إلى غُرفة سفيوراس مُسرعة قلِقة، وعندما دخلت قال لها: كيف لكِ أن تدخُلي دون أن أسمح لكِ بالدخول.

نظرت لهُ بتعجُب قائلة: ماذا! أعلم أنك غاضب من الصفعة.. لكن مُهر مات سفيو.

فرد عليها بلا مبالاة وهو يدير ظهره عنها قائلاً: مات، أم قُتل؟

- قُتل! ماذا تقصد؟!

- ألم تقتليه؟

نظرت إليه رَايُوس في ذهول تام، لا تفهم شيئًا مما يقولهُ..

سفيوراس: ألم تقتليه بحُبكِ كما قتلتيني أيتُها الخائنة!

- خائنة! من الخائنة؟ سفيوراس أهذا وقت المزاح!

فأمسكها بقوة من كَتفيها ونظر إليها بغضب قائلاً: لا أمزح.. لم تتقبليني بقُربكِ وعندما أردت التقرُب منكِ صفعتيني! والآن قتلتي مُهر أحب الخيول عندي! ثم أخذ يضحك ضحكات متعالية يسخر من رَايُوس.

- لم أفهم شيئًا سفيوراس.. تحدث معي بجدية، لم أفعل شيئًا لمُهر.

- يا للبراءة! عودي إلي مملَكتك أيتُها الملِكة قبل أن ينفدُ صبري.

دخلت شوبا قائلة: مولاي أدعوتني؟

- نعم، ستصبحين زوجة المَلِك فلتعلم المملَكة كُلها بهذا الخبر.. أنتِ من تستحق بوفائها لي أن تكون زوجتي وملكة البِلاد!

فاندهشت رَايُوس مما قالهُ على عكس شوبا التي فرحت كثيرًا.. لكن رَايُوس قابلت الخبر بحُزن وأسى قائلة: سفيو.. سفيوراس!

شوبا: شُكرًا لكَ مولاي.. سأُخبر الجميع، وسيكون احتفالاً عظيمًا، لا أُصدق نفسي.

تركت رَايُوس غُرفة سفيوراس واتجهت إلى جنَاحها تُحدث نفسها: أيُمكن أن يكون كُل هذا من أجل موت مُهر لأنني لم أُحافظ عليه ومات! ألِهذا يدعونني بالخائنة.. لابُد أن أعود إليه وأفهم ما يحدُث.. أعلم أنهُ لا يُحب شوبا فلم يتصرف هكذا! بالأمر شيء ما.

ذهبت رَايُوس إلى غُرفة سفيوراس ولم تجدُه..

رَايُوس: أيُها الخدم أين المَلِك؟

- مولاتي رَايُوس.. مولاي الملِك في مجلسهُ مُجتمعًا مع الوزراء والقاضي.

- في مجلسهُ ولم يدعونني؟ ولم القاضي!

ذهبت رَايُوس وهمت بالدخول فمنعها الحارس قائلاً: عذرًا مولاتي منعنا مولاي الملِك أن نسمح لكِ بالدخول.

- هل سفيوراس منعني من الدخول؟

- نعم مولاتي.

حدثت الحارس بكل هدوء وبابتسامة تحمل التهديد والوعيد: إذن اغرب عن وجهي وافسح لي الطريق للداخل قبل أن أشُقكَ إلي نصفين! فأفسح لها الحارس الطريق خوفًا منها فكانت غاضبة جدًا.

دخلت رَايُوس المجلس فتعجب الجميع..

رَايُوس: أيُها القاضي احكُم بيننا.. ها هو ظالمٌ ومظلومٌ أنا

أشقاني الهوى.. وفي البُعد قلبي انطوى

فليتهُ يعود، ويُحيي بقلبي ذبول الورود

أيُها القاضي احكُم بالشهود..

فليشهد الماء الذي في البحور، وليشهد العطر الذي في الزهور، ولتشهد الفرحة التي بالطيور، بأني عشقتهُ عشقًا لا يبور

أيُها القاضي احكُم بالأدلَة..

قد هان عليه الود وتركني في عِلَة

أيُها القاضي..

أيُها القاضي لا تحكُم بجفا..

ففؤادي المُحب لظُلمِهِ قد عفا

فتحرك قلب سفيوراس إلى رَايُوس، لكنهُ يُكابر ويغلق على عِشقه مسامع الوجدان وصرخ قائلاً: أُخرجي لا أُريد أن أراكِ مرة ثانية.. عودي من حيثُ أتيتِ.

عادت رَايُوس إلى جنَاحها وهي تحترق ألمًا على مُعاملة سفيوراس لها أمام الجميع! بينما سفيوراس فض الاجتماع حزينًا على ما فعله، خلا بنفسه وحيدًا في غرفته، بكى، أمسك فرشاة الرسم والألوان ورسمُ رَايُوس مرةً أُخرى بمرارة القلب ووجعه وانكساره، فقد عشقها عشقًا أُغلق القلب عليها وحدها وباتت رَايُوس أسيرةٌ بين أضلُعه.

وصلت رَايُوس الجناح منادية على مانيشا: مانيشا أعدي كُل شيء للرحيل سنعود إلى مملَكتِنا، سنُغادر اليوم أخبري الجُند.

- مولاتي كيف! وهل ستتركين مولاي سفيوراس؟!

- هو من تركني، وهو من طلب مني الذهاب.

- ماذا! مولاتي..

قاطعتها رَايُوس قائلة: مهلاً مانيشا..

فقد رأت رايوس شخصًا ما يتسلل خارج القصر مُتخفيًا، فأُثيرت الشكوك في قلب رايوس قائلة: من هذا؟ ثم قامت وأخذت وشاحًا لتغطي وجهها وتُخفيه؛ لتذهب خلفه..

مانيشا: مولاتي إلى أين؟!

ظلت تركض وراء الشخص المتخفي حتى سكن وهدأ، ونزل من على فرسه والتقى بمجموعة من الرجال، الذين كان عددهم سبعة أفراد يشبهون قطاع الطرق، ثيابهم رثة متسخة، ويبدوا أنهم غير أسوياء في حديثهم وطريقة كلامهم وإيماءاتهم! اقتربت رايوس ببطئ شديد، كانت حريصة على ألا يلاحظها أحدهم، وعندها سقط الغطاء من على رأس الشخص أرضًا، لكن رايوس لم تتعرف عليه؛ لأنه يعطيها ظهره! وعندما اقتربت رايوس واستدار هذا الشخص كانت في صدمة بالغة عندما نظرت فوجدتها شوبا!

قالت: أيعقل أن تكون شوبا هي الخائن! ماذا يحدث ومن هؤلاء!

وعندما كانت الكثير من التساؤلات في فكرها.. حدث شجار بين شوبا والرجال، وتهجم عليها أحدهم وكاد يقتلها ورايوس لا تدري ماذا يحدث! انقضت عليهم تقاتلهم واحدا تلو الآخر، ولم تعطهم فرصة فهي

ماهرة في فنون القتال، استلت سيف أحدهم لتخيفهم به فلا نية لديها للقتل حتى أسقطتهم أرضًا، وأنقذت شوبا إلى أن جاء أحدهم من خلف رَايُوس خِلسةً وضربها على رأسها فأُغشي عليها.. نزعوا الغِطاء عنها ليعلموا من الذي حاربهُم جميعًا بكُل هذه القوة، فعلموا أنها امرأة، لكنهُم لم يعلموا أنها مَلِكة! صدمت شوبا حينها عندما عرفت أن التي أنقذتها وفدتها بنفسِهَا هي المِلِكة رَايُوس، ظلت تقول: المَلكة! المَلِكة رَايُوس.. المِلِكة هي من أنقذتني من الموت!

حُبست رايوس في غُرفة صغيرة هي وشوبا ولم تفق من الإغماء إلا بعد مُدة، وكان رأسها ينزفُ كثيرًا.. حاولت أن تفتح عينيها وببُطءٍ شديد قاومت وجلست قائلة: أين نحن؟

- لا أدري مولاتي.

- من هؤلاء؟

كانت شوبا خجلة جدًا من رايوس، تتعثر في الكلام قائلة: رجال قتلَه، اتفقت معهُم على قتلُكِ مُقابل الذهب! لكن لن يفيدني قتلُكِ الآن فالمَلِك أمر برحيلك كما أنني لن أستطيع توفير الذهب المُتفق عليه، فرجعت إليهم؛ لكي ألغي الخطة، لكنهم غضبوا وحاولوا قتلي أنا، ثم جئتي أنتِ وأنقذتيني.. لمَ مولاتي! لم أنقذتي من كانت تنوي قتلك؟

- لأنه لا يجوز أن أرى ضعيفًا يحتاج مُساعدة وأترُكه! كما أنني أشعر أن بداخلكِ خير، وكُل ما تفعلينه ما هو إلا مُجرد غيرة لحُب هام به قلبُكِ، كما أنكِ زوجة المَلِك قريبا.. سفيوراس طيب القلب، ضعيه في عينيكِ وأعطِه الحُب والحنان.

كانت رَايُوس تتحدث والدموع تملأ عينيها، فبكت شوبا قائلة: قد أخطأت في حقكِ.. عرفت الآن لم وقع المِلِك في غرَامُكِ.. أنا لا أستحق أن أكون زوجة المِلِك، أنا خائنة.

- ماذا تقولين؟

- المَلِك لا يعشقُ غيرُكِ، لايتحدث إلا باسمُكِ مولاتي، لا يأكل ولا يشرب ولا يقوم بمهامِه بسبب عشقهُ لكِ وتفكيرهُ الدائم بكِ، حتى إعلانه لزاوجنا لم يكُن إلا ليُحرق قلبكِ!

- يحرقُ قلبي! لمَ كُل هذا؟

- لأنهُ ظن أنكِ خائنة لهُ ولمملَكتهِ.

- شوبا لم أفهم شيئًا.. وضحي لي الأمر.. صرخت رايوس فجأة قائلة: آه، ما هذا!

شوبا: لا أعلم، تشبه البعوضة، لكنها غريبة الشكل.. مولاتي أأنتِ بخير؟

- نعم، إلى حدٍ ما.. أخبريني ماذا في الأمر شوبا؟!

- سأُخبركِ مولاتي، لكن عديني أنكِ ستعفو عني.

- أعدُك..

- حاولت التقرب من المَلِك سفيوراس مراتٍ عديدة من قبل أن تأتي، وبعدما جئتي أيضًا لكنهُ في كُلِ مرةٍ يُبعدني عنهُ، كُل مرة كنت أحاول فيها التقرب إليه أجد عقلهُ مشغولاً بكِ! كُنت أكره حديثه عنكِ المُستمر وتكراره اسمُكِ رَايُوس.. رَايُوس.. وعندما كنت بغُرفتهِ بعدما حدث خِصام بينكُما قرر الملِك سفيوراس أن يذهب إليكِ ويعتذر منكِ ويطلُبكِ للزواج، فاشتعلت الغيرة في قلبي، لم أرَ نفسي إلا وحشًا قاتلاً، أردت التخلُصَ منكِ، ليس فقط مُجرد التخلُص بل كسر ثقة الملِك فيكِ وكُرهه لكِ، أعطيت مُهر السم و..

فقاطعتها رَايُوس قائلة: ماذا؟ أنتِ قتلتِ مُهر؟ يا لقسوة قلبك!

- أعترف بالخطأ، لكنك وعدتيني بالغُفران.

وقفت رَايُوس، وأدارت ظهرها لها حُزنًا على مُهر.. قالت دون أن تنظر إليها: أكملي..

- وضعتُ السُم في الماء الذي يشرب منهُ مُهر؛ لنشغلكِ بعض الوقت وتتركي الجَناح.. وحدث بالفعل، ووعدت رئيس الحرس " أسونر" و " نوجيا " الخَادمة بأنني أُقدر قِصة حُبهما وإن فعلا ما سأطلبهُ مِنهُم سأزوجهُم وأعطيهمُ الكثير من الذهب، فارتدت نوجيا ملابسك التي أهداها لكِ الملِك، وطلبت من أسونر رئيس الحرس أن يقول: "هنيئًا لنا المملَكة، نجحت خُطتك في الوقوع بسفيوراس" وقد كُنت سمعتكِ من قبل عندما كُنتمَا تتجولان بحديقة القصر تتحدثان عن الرسالة التي بُعثت إليكِ وأن هُناك خائن، ففكرت وجعلتُكِ أنتِ الخائن مولاتي.

وعندما أقبل المَلِك وسمع ما قاله أسونر وقبّلا كُلاً منهُما الآخر! احترق قلب سفيوراس، وزاد غضبه ناحيتُكِ، وظننت أنه كرهِك، لكن من يعشقُ لا يحمل قلبهُ كُرهًا أبدًا؛ فكُلما دخلت عليه الغُرفة وجدته يتألم ويصرخ باسمك رَايُوس.. رَايُوس لم خُنتي قلبًا أحبكِ! قلبًا عشق تفاصيلك وملامحك وكُل شيء فيكِ! كان يبكي على خيانتك له.. غُرفتهُ جُدرانها أنتِ.

كانت رَايُوس تستمع لَمَا تقولُه شوبا وترد بلا مُبالاة، لكن حُزنًا وألمًا بقلبٍ موجوع مكسور، فقالت: وصدق أنني خائنة! نجحت خَطتُك شوبا هنيئًا لكِ.. لابد لنا أن نَخرُج لكي نحتفل بزواجكُما.

ثم حدثت رَايُوس نفسها قائلة: إن لم تكن شوبا الخائن الذي بعث الرسالة فمن يكون!

- مولاتي أي زواج! أنا لا أستحق.. أنتِ من يُحبُها المِلك حقًا.

- خطأ.. قد أحببتُ الشخص الخطأ.. لمَ يُصدق أنني خائنة؟ لمَ لم يبحث عن الحقيقة! لمَ عاملني بهذه القسوة وما قدمت له إلا كل الخير والحب!

- مولاتي سأُخبر المِلك بكُل شيء.. أعدكِ.

- لن يُفيد.. سأعود إلى مملَكتي ورعيتي، جئتُ إلى هُنا كي أُحرر شعبكُم من مَلِكٍ ظالم، لكن سفيوراس ليس بظالمٍ لشعبهِ، بل ظالمٌ لَمَلِكة واحدة فقط! والمَلِكة قد غفرت وستعود وهي مُطمئنة على مملَكة هارمارنت بوجود ملِك كسفيوراس طيب القلب، مُحب لرعيتهِ، ومُهتم لأمورهِم.

ثم قالت في نفسها: جئت أُحرركُم منه وقعت أنا في أسر حُبهِ!

- ماذا فعلت أنا! مولاتي لا تذهبي.. فالمِلك يُحبُكِ.

فابتسمت رَايُوس لها ابتسامة تحمل الكثير من الحزن والأسى، لقد كُسر قلبها.

حاولا الهرب ونجحتا كِلتاهُما، وعادت رَايُوس وشوبا إلى القصر.

مانيشا: أين ذهبتِ مولاتي؟

رَايُوس: أنقذت شخصًا ما من الخطر!

هيا سأُجهز معكِ الأشياء فقد مكثنا هُنا كثيرًا.. أين أنتَ نبَّاز؟

ذهبت شوبا إلى سفيوراس.. حكت له القصة كاملة، فاستحقرها واستحقر ما فعلته بهِ وبرَايُوس، وأخبرته أن المِلكة ستُغادر المملَكة على الفور! فأسرع سفيوراس إلى جناح رَايُوس..

مانيشا: مولاتي هل ستذهبي وتترُكي المِلك؟

رَايُوس: نعم.

- وهل قلبُكِ راضٍ عن هذا القرار؟

- نعم.

تعلم مانيشا عظمة الحب بين رَايُوس وسفيوراس، لكنها أرادت أن تستفز الملِكة؛ لتبقى من أجل حُبها!

فقالت لها: إذن مولاتي أنتِ لا تُحبين الملِك سفيوراس كما توقعت.. أنتِ تُحبين نبَّاز.

فتعجبت رَايُوس قائلة: ماذا تقولين مانيشا؟

- أقول الحقيقة مولاتي.. تأثرتي كثيرًا ببعد نبَّاز وها أنتِ لا يهُمك ترك سفيوراس! طوال الوقت تُفكرين في نبَّاز وترينه في أحلامُكِ، وينتابكِ القلق عليه دومًا، كُل مرة تذكُرينه وتشتاقين إليه وتتمنين عودته.. حُبكِ يكمُن في نبَّاز، كلما حاولتي البعد عن التفكير به كلما اقتربتي إليه أكثر واشتاقتي إليه أكثر وأكثر! هو أيضًا مولاتي يعشقُك أنا على يقين بهذا.. وأعلم أن مولاي سفيوراس كسر بخاطرك ولا أعلم لمَ فعل كُل هذا! وأعلم أيضًا أنه يعشقُك فأنتِ الآن بن عِشقين مُختلفين؛ مَلِك من الجن ومَلِك من البشر! فأيُهما يميل إليه قلبُك؟! أنا أرى أنه نبَّاز.

كانت رايوس تستمع إليها، فاستندت فجأة على الحائط، فلاحظت مانيشا أنها ليست على ما يرام..

مانيشا: مولاتي ماذا بكِ؟

- لا أعلم أشعر بدوار..

- ما هذا! حرارتُكِ مرتفعة جدًا.. سأجلب لكِ الماء البارد.

أحضرت مانيشا الماء وعندما وصلت وجدت رايوس مغشيًا عليها، وفي نفس اللحظة أتى سفيوراس وشوبا فسمعا صراخ مانيشا..

مانيشا: مولاتي.. مولاتي!

دخل سفيوراس فرأى رَايُوس ملقاه على الأرض، فارتعد جسده خوفًا عليها، فصرخ فزعًا قائلاً: رَايُوس.. رَايُوس!

فزعت شوبا ومانيشا، بينما سفيوراس فانفجر غضبًا قائلاً: استدعوا الحكيم في الحال.. رَايُوس حبيبتي ستكونين بخير.. وعندما جسَّها وجد حرارتها مُرتفعة، فحملها ووضعها على الفِراش، جلس بجوارها يُحدثها باكيًا ويُقبِّل يدها قائلاً: مولاتي ومليكتي وحبيبتي وعِشقي وهُيامي.. ماذا حدث بيننا؟ وماذا حدث لكِ؟ أرجوكِ أفيقي أُريد أن أعتذر لكِ سامحيني.

أتى الحكيم وفحصها، ثم قال: حرارتها تزداد شيئًا فشيئًا..

وحينها نظر الحكيم إلى رقبتها فوجد أثر لدغة ما.. فقال: ما هذا؟ أهناك شيء قرصها؟

شوبا: نعم، هناك شيء يشبه البعوضة قرصها، لكنها كانت بخير.

قال الحكيم: مولاي الملك.. أعتذر منك، ليس بمقُدورنا عمل شيء! يبدو أنها بعوضة سامة وخلال أيامٍ قليلة ستُفارق الحياة.

فقُذف في قلب سفيوراس الرعب، وكأنه ضرب بصاعقة! لا يدري بنفسه غير أنهُ كان يصرُخ كالمجنون، وكانت مانيشا تبكي حزنًا على ملكتها ورفيقة دربها.

سفيوراس: لا تقول مثل هذا الكلام، لا ينبغي لها أن تموت، لن أعيش بدونِها افعل شيئًا أيُها الحكيم أرجوك، سأُعطيك الذهب والأموال.. خُذ كُل ما تُريد واجعلها تفيق، خُذ المُلك والعرش.

ثم سقط أرضًا يبكي بجانبها قائلاً: رَايُوس أرجوكِ عودي إليّ، عودي إليّ حبيبتي لا تُفارقيني.. عودي لنرى شروق الشمس معًا، عودي وسأقطف لكِ الكثير من الورود الصفراء، عودي أرجوكِ حبيبتي.

بكى كثيرًا، بكى وقلبه يحترق ألمًا وحزنًا عليها، ثم التفت ثانية إلى الحكيم قائلاً: أرجوك أيُها الحكيم أفعل شيئًا، لماذا تقف هكذا!

الحكيم: مولاي.. أمامنا فرصة وحيدة، لكنها صعبة وخطيرة..

- أخبرني بها على الفور.

- يوجد زهرة؛ تسمى زهرة الشفاء بالقرب من النهر الأصفر غرب الصين، لكن هُناكَ مُنحدرات وعثرات ولا أحد ينجو، كُل من ذهب لم يعُد مولاي.. فُقدَ وهلك!

- أنا هالك وفي هلاك بدونها.. سأذهب.

ولم يكن يعلم سفيوراس مدى صعوبة ومخاطرة ما سيفعله حيث يبلغ امتداد النهر من الشرق إلى الغرب حوالي ١٩٠٠ كيلومتر، كما أنه غيَّر مجراه خلال الثلاثة آلاف سنة الماضية ٢٦ مرة. وسمي النهر الأصفر بهذا الاسم لأن مياهه تميل إلى الصفرة، بسبب تآكل التربة، ولقب أيضًا ب«يوغونا الصين» حيث كان هناك الكثير من الفيضانات المدمرة التي يحدثها، لذا كان من الصعب العثور علي زهرة الشفاء.

اقترب سفيوراس من المَلكة وهي مُستلقية على فِراشها تُصارع الموت قائلاً: سأذهب ولن أعود إلا بهذه الزهرة، فإما الحياة سويًا، أو الهلاك بدونك.. أُحبُكِ رَايُوس.

ثم قبَّل رأسها واستدعى وزيره سُقمنتوس قائلاً له: المَملَكة في أمانتك إلى أن أعود، لا أثق إلا بك هُنا، وأعلم أن هُناكَ خائن بيننا، تصرف بحكمةٍ بالغة.

- مولاي لا تذهب بمُفردك.. خُذ بعض الجنود.

- لا.. سأذهب بمُفردي لن أُضحي بأحد! ثم التفت إلى الحكيم وسأله عن المدة التي سيصل فيها إلى هناك، فقال الحكيم: سبعة أيام.

- هل ستتحمل رَايُوس كُل هذه المُدة! سبعة أيام ذهاب وأخرى عودة؟!

- لا أدري مولاي لنأمل خيرًا.. لدغة البعوضة هذه قوية والمِلِكة تُعافر من أجل البقاء، سنضعُها من حين لآخر في ماءٍ بارد لنُخفف الحرارة إلى أن تعود بسلام مولاي.

- افعل ما تراه خيرًا لها.

- أمرُكَ مولاي.

ذهب سفيوراس مُمتطيًا جوادهُ، كان خائفًا عليها، لقد فزعه ماحل بها، فقال في نفسه: هل سألحق بكِ رَايُوس، أم سيقتُلنا القدر فِراقًا!

مرَت الأيام والليالي وسفيوراس في طريقه الوعِر، يحارب الطقس والرياح والجوع والعطش من أجل أن يجد الزهرة، كان يتسلقُ الجِبال، يسقُط مرة ويتسلقُها مرةً أُخرى ويسقُط..! ظل يعافر من أجل أن ينجح ليُنقذ حبيبته إلى أن أصيب وسالت الدماء منه، واستلقى على الأرض كالقتيل.. نظر إلى السماء وإلى علو الجبل قائلاً: لا بأس، لن أُبالي سأُكمل من أجلكِ رَايُوس، لن أعود إلا بها، وإلا فلن أعود مطلقًا فالحياة من غيرُك موت.

وصل سفيوراس إلى النهر الأصفر الذي عندها أحدث فيضانًا عظيما عركل مسيرة سفيوراس في البحث، وظل يبحث ويبحث عن الزهرة في كُل مكان، لكنه لم يجدها! فجلس على صخرةٍ كبيرة باكيًا عاجزًا.. نظر حوله بعد يأس بدأ يتخلل إلى جوارحه فوجدها على مقربة مِنه فكأن الحياة عادت إليه،

وعندما قارب على الإمساك بِهَا.. ظهر لهُ ثُعبان ضخم على جسدهِ كُله نقش باللون الأزرق!

فسحب سفيوراس سيفه؛ ليقتل الثُعبان.. فأقاه الثُعبان أرضًا بعيدًا عن الزهرة، حاول وقاوم وحارب الثُعبان وكلما اقترب من الزهرة كان الثعبان يدفعه بعيدًا.. إلى أن التف الثُعبان حول سفيوراس، ظل يُصارع الموت، كان يصرخ والكلمات تخرج منه بصعوبة من الاختناق، كان يردد: رَا.. رايُو.. رَايُوس!

سمع الثُعبان اسم رَايُوس فألقاه أرضًا وتركهُ. ظل سفيوراس يلتقط أنفاسه والثُعبان أمامه، ينظُر سفيوراس إلى الجُرح الذي سببه له الثُعبان وحاول الوقوف مجددًا قائلاً: سأُنقذك رَايُوس.. سأُنقذُك مهمَا كلفَ الأمر! فديتُكِ روحي يا روحًا وحياة.

فتحول الثُعبان عندما ذُكر أمامه اسم رَايُوس إلى بشري، وعندما التف سفيوراس وجد رجُلاً أمامهُ!

سفيوراس: أين الثُعبان؟ من أنتَ أيُها الرجُل؟ ولم يبدو عليك الوهن والضعف؟

- نبَّاز.. ماذا كنت تقول؟ رَايُوس؟ من تقصُد برَايُوس؟

- إنها ملِيكتي، وملِيكة قلبي وحبي وعشقي مَلِكة البلاد العظيمة وروح قلبي المفتور.. تُصارع الموت ولا سبيل لها إلا هذه الزهرة، زهرة الشِفاء!

- رَايُوس..! رَايُوس بخطر؟ ماذا تقول؟ ثم سقط على رُكبتيه حزينًا صارخًا باسمها بأعلى صوت له قائلاً: رَايُوس..

نزع الزهرة التي ظل يبحثُ عنها كثيرًا، والتي عندما وجدها كانت هي نفس الزهرة ستنفذ شخصًا أحب إليه من نفسه! وقد قارب هو الآخر على

فُقدان حياتِهِ، فقدمها إلى سفيوراس قائلاً: اذهب بها سريعًا إلى رَايُوس وأنقذها. كان يُحدثه وهو يسقُط على الأرض يبدو عليه الضعف أكثر..

سفيوراس: أتعرفها؟ وماذا يحدثُ لك؟

- اذهب الآن.. لا يوجد وقت للنقاش، رَايُوس ستفقد الحياة، وسيأتي الآن زَنيم وهمَّاز لأخذ الزهرة! عليكَ بالذهاب.

لم يفهم سفيوراس شيئًا غير أن هُناك خطر من كُل الاتجاهات!

نبَّاز: الطُرق وعِرة، ستأخُذ أيامًا إلى أن تعود، لن تتحمل رَايُوس سأنقلُك بالريح إلى هُناك بما تبقى لي من قوة.

بدأ نبَّاز يُسخر الريح، وجعلها تنقل سفيوراس إلى الملَكة، وكان سفيوراس مُندهشًا مما يحدُث معهُ! سقط نبَّاز ضعفًا، سقط من فوق جبل عالٍ لم يملك من القوة شيئًا يساعد به نفسه، كان يلفظُ كلماته الأخيرة قائلاً: رَايُوس.. لنا اللقاء في هذا الوجود فحُبكِ يُعلن بقلبي الخلود.

رأت رَايُوس نبَّاز في منامِها وهي تُصارع الموت؛ رأته وهو يسقط من أعلى جبل وهو يُردد كَلِماته لها..

عاد سفيوراس إلى القصر بسُرعة لم يتوقعها الجميع قائلاً: أين الحكيم؟

شوبا: مولاي!

مانيشا: مولاي هل جلبت الزهرة؟

- نعم، استدعوا الحكيم على الفور.. أهي بخير؟

أتى الحكيم مُتعجبًا من سرعة وصول سفيوراس قائلاً:

مولاي.. كيف جئت بهذه السرعة؟!

- حدث شيء غريب معي.. لا يهُم، الآن أنقذ رَايُوس.

أخذ الحكيم زهرة الشِفاء الصفراء، قام بطحنِها إلى أن أصبحت كالدقيق الناعم، ثم خلطها بالماء ليُشربها للملِكة رَايُوس، وبعد مُدة بدأ تأثير الزهرة وبدأت تفيق رَايُوس وتُتمتم بالكلام والكُل حولها قائلة:

نَبَ..اا..ز

سفيوراس: ماذا تقول؟

مانيشا: أعتقد أنها تقول نبَّاز.

- لقد سمعتُ هذا الأاسم، لكن أين؟ نعم.. لقد تذكرت إنهُ هو الرجل الذي ساعدني وأعطاني الزهرة!

مانيشا: ماذا؟ أهذه الزهرة هي..

وأثناء حديثهُم.. قامت رايوس تصرخ بأعلى صوت لها قائلة: نبَّاز.. نبَّاز.

سفيوراس: اهدأي رَايُوس.. اهدأي.

مانيشا: مولاتي.. تمهلي أنتِ مريضة.

- لستُ مريضة، أنا بخير.. ماذا حدث؟ لَمَ جميعكُم هُنا؟ وأين نبَّاز؟ قد رأيتهُ يسقُط من فوق جبلٍ عالٍ، رأيتهُ يموت! أنا قلقة عليه.

سفيوراس: من هو نبَّاز؟

- صديقي المُقرب، ووزيري، وحارسي، وكُل شيء.

- كُل شيء!

- نعم كُل شيء سفيوراس.

- أتُحبينه رَايُوس؟ لِمَ كُل هذا الاهتمام لهُ والقلق عليه؟

نظرت رَايُوس إليه وهي تعلم أنها تُحبه فعلاً كأحد المقربين لها؛ تحبه كصديق ووزير تثق فيه ليس أكثرُ من هذا.. فقالت: سفيوراس.. ماذا حدث؟

- عندما تم خطفُكِ مع شوبا لدغتكِ بعوضة سامة، مرضتي وكُنتِ ستموتين، لم يكُن هُناكَ إلا أملُ واحد، أخبرنا الحكيم أن هُناكَ زهرة شفاء غرب الصين بقُرب النهر الأصفر هي الوحيدة التي تستطيع إنقاذك.

نظرت رَايُوس له بفزع وهي جاحظة العينين قائلة: وماذا حدث سفيو أكمل.. أتمنى ألا يكون ما أُفكر فيه صحيحًا!

سفيوراس: صارعت الموت من أجلِكِ، ظهر لي ثُعبان ضخم على كامل جسدهِ نقش أزرق به نور، قاتلنيٍ وقاتلتهُ إلى أن نطقتُ اسمُكِ تركني..! وعندما التفت للوراء وجدت رجُلاً عاديًا ولم أجد الثعبان! تعجب الرجل من ندائي لاسمُكِ فسألني من رَايُوس؟ وأخبرته مَلِكة البلاد وحبيبة الفؤاد وكُل شيء، فسألني ماذا بها فأخبرتهُ أنكِ تُصارعين الموت وزهرة الشفاء حياتُكِ، فسقط أرضًا على رُكبتيه وصرخ باسمُك رَايُوس.. كنت متعجبًا من فعله فهل يعرفُك؟

سمعت رَايُوس الحديث، وبكت، وبوهن وحُزن قالت: أكمل سفيو، أكمل..

- نزع الزهرة وأعطاها لي، وبدأ عليه الضعف والوهن وبدأ يسقُط وأخبرني أن أذهب إليكِ سريعًا؛ لأعطيها لكِ قبل أن يأتي..

فقاطعته رَايُوس بحُزنٍ وبُكاء قائلة: قبل أن يأتي زَنيم وهمَّاز.

- نعم، هذا ما قالهُ كيف عرفتي؟! لقد كان أمامي سبعة أيام للعودة،

لكنهُ سخّر قواه لي؛ لكي تحملني الريح إلى القصر ليتم إنقاذك.. لكن من هُما زئيم وهمَّاز؟!

- لا وقت.. لابد أن أنقذ نبَّاز.

- لا تذهبي رَايُوس الطريق خطرٌ عليكِ.

- سأُضحي كما ضحى من أجلي.

- وتترُكينني!

- هل تعلم ما فعلهُ نبَّاز من أجلي! لقد ضحى بمُلكهِ وفضل أن يخدمُني ويخدُم مملَكتي، فهو مَلِك من ملوك الجن، هو أيضًا ذلك الثُعبان الأسود الذي رأيتهُ أنت، هل تعلم ماذا فعل؟ أعطاني زهرة ظل خمسمائة عام يبحثُ عنها، فيها قواه المسلوبة منهُ وقوى والدهُ ووالدته..

ثم صرخت رَايُوس قائلة: ضحى بقواه من أجلي، والآن يُضحي بحياتهِ من أجلي! لكن أنت سفيوراس ماذا فعلت؟! أنتَ جعلتني خائنة، وقاتلة، وعاملتني معاملة سيئة، ظلمتني.. فهل تستويان؟ بالطبع لا لا تستويان.

- قد علمت الحقيقة، وأعتذر منكِ، سامحيني حبيبتي.

شوبا: مولاتي أنا المُخطئة وليس مولاي، أنا السبب.

أرادت رَايُوس أن تُعلّم سفيوراس درسًا، فقالت: نعم شوبا أنتِ أخطأتِ وعلمتِ خطأُكِ.. أنا أيضًا عرفت خطأي؛ عرفت أنني أحببتُ الشخص الخطأ.. إن كان يتملكهُ حبي حقًا لكان نظر في حقيقة الأمر، كان من المفترض أن يتمهل في الحُكم قبل اتهامي بالخيانة!

- أرجوكِ سامحيني رَايُوس.

سقطت دموع سفيوراس، قلبه حزين يتألم، نادمًا على ما فعل فهو حقًا

يحبها، فنظرت إليه رَايُوس وقد رق قلبها بعدما لقنته درسًا لن ينساه طيلة حياته، وعندما رأته يتوسل إليها وهو بحالة سيئة قررت أن تعطيه فرصة أخرى قائلة: كيف لا أُسامحك وقلبي لم يعشقْ غيرُك سفيوراس.. كيف؟ لكنك جرحتني ونزعت من قلبي الأمان.

نظر سفيوراس إلى عينيها وهو مُجهش بالبُكاء قائلاً:لا تقولي هذا، سامحيني.. خِفتُ أن أفقدكِ رَايُوس.

- لا تقلق عليّ، فأنا أحملُ سلام عِشقكَ، لن يُصيبُني أذى أبدًا وأنتَ معي.. لكن لا وقت لديّ ولابد أن أنقذ نبَّاز قبل أن يضيع من بين يدي ويهلك! أدارت وجهها تحدث الحكيم قائلة: أيها الحكيم ماذا أفعل لأنقل تأثير زهرة الشفاء لأحدٍ آخر؟!

- هذه الزهرة مفعولها لمن يتناولها فقط مولاتي.

- لكنها ليست زهرة عادية.. إنها جنياس بها السحر والقوة.

- مولاتي.. يمكن أن يُنقل الشفاء بها لشخص واحد ومرة واحدة فقط، لكن لا أعلم شيئًا عن نقل السحر.

- أخبرني الطريقة.. رُبما تفلح هي أيضًا في نقل القوة

- هذه الطريقة ستُبقي مفعول الزهرة بداخلِكِ، لكنك ستنقلينها أيضًا للشخص الآخر، وسيظل مفعولها بنفس القوة بداخلكُما أنتُما الإثنين.

- أخبرني سريعًا.. لا وقت لدي.

- وضع القليل من دمائك على جبين الشخص المريض، ولابد من التقاء الأنفاس ببعضها البعض؛ لنقل فاعلية الزهرة..

فصاح سفيوراس قائلاً: ماذا؟ لا تذهبي رَايُوس، وقام ماسكًا يدها ليوقفها..

غضبت رَايُوس منه قائلة: لا تكُن أنانيًا سفيوراس.. سأذهب وسأنقذه إن استطعت وإن لم أستطع فسأكون قد فقدت طعم الحياة للأبد بلا نبَّاز!

- لهذه الدرجة تُحبينه!

- لم أعلم مقدار حبي له إلا الآن! أكن له كل الاحترام، هو صديقي المقرب.. ليس كما تظن سفيوراس.

- سآتي معكِ، لن أترُكَكِ تذهبين بمُفردك.

- لن تأتي.. سأذهب بمُفردي ولا تقلق سأعود من أجل حبنا، أُحبُكَ سفيوراس

فابتسم سفيوراس، لكنه كان خائفًا حزينًا على الفراق مرة أخرى، قلبه يشتد به الخوف أكثر فأكثر يخشى ألا يراها مرةً أُخرى! قال: أُحبُكِ رَايُوس بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أحبكِ.

قامت رَايُوس بالنداء على فيورا قائلة: فيورا.. ابسطي جناحيكِ وخُذيني إلى نبَّاز.

لم تعلم كيف قالت هذا، وكيف ستنقلها فيورا الصغيرة من الأساس! أدركت أنها زلة لسان لأمنية كانت بقلبها، لكنها فوجئت بأن فيورا أتت بالفعل!

دُهشت رايوس، كيف لها أن تسمعني!

لم تنتبه أنها قوة الزهرة بداخلها، ووجدت فيورا تقترب منها باسطة جناحيها.. صدمت رايوس عندما وجدت حجمها يزيد أصعافًا مضاعفة، لقد أصبحت فيورا عملاقة!

فرحت شديدًا، وتعجب الجميع لما حدث أمامهم وكأنهم داخل حلم ما.. صعدت على ظهرها مستعدة للرحيل فقال لها سفيوراس: سآتي معك.

- لا، مملَكتك في خطر، هُناكَ من يدبر لك مكيدة! لا تغب ولا تغفل واحذر.. احذر سفيوراس.

سفيوراس بحزن: عيديني أنكِ ستعودين لي.

ابتسمت له ابتسامة كُلها شوق قائلة: كيف لا أعود ولي قلبًا ينبضُ عِندك!

- سأنتظرُكِ.

طارت فيورا بالمِلكة رَايُوس، وكانت مانيشا واقفة من صدمتها لم تصدق ما حدث فقالت: ما هذا؟ كيف!

الحكيم: إنها قوة الزهرة، فقد أصبحت القوة بداخل الملكة رَايُوس الآن.

جلسَ سفيوراس على رُكبتيه باكيًا على ذِهاب رَايُوس وعلى خوفه عليها، واشتياقه لها وهي معهُ، فكيف وهي ليست معه!

شوبا: مولاي آسفة.. أنا من فعلت كُل هذا.

- أُغربي عن وجهي شوبا لا أُريد أن أراكِ.

شوبا: مولاتي رَايُوس سامحتني.. ألن تُسامحني أنتَ أيضًا؟

- أسامحتكِ رَايُوس! حقًا لا عجب في ذلك.. إنها رَايُوس التي ليس لها مثيل، كان عليها أن تُعلقَكِ شنقًا، لكن بها رحمة لم توجد في مخلوقٍ سواها.

كانت فيورا تحلق في السماء بالمِلكة رَايُوس، وكانت رايوس في حالة غريبة لا تعرف أتفرح لأنها تحلق في السماء، أم تحزن على نبَّاز وتفكر في حاله، أم تفكر في حال سفيوراس!

كانت تحدث فيورا قائلة: يا ليتَ سفيوراس معي الآن حُلمي تحقق فيورا، أنا الآن أطير في السماء.. هل اقتربنا؟

فردت فيورا: نعم مولاتي اقتربنا.

صدمت رَايُوس من تحدُث فيورا لها قائلة: أنتِ تتحدثين فيورا!

فيورا: جنياس مولاتي، جنياس.

انتبهت رَايُوس للقوة داخلها، وفكرت في جنياس قائلة: يالها من قوة! ثم نظرت إلى يديها تتساءل: ما هي القوة التي بداخلي وكيف أستخدمُها! أتمنى أن يكون نبَّاز بخير.

فيورا: وصلنا مولاتي.

هبطت فيورا، ونزلت رَايُوس من على ظهرِهَا مُسرعة إلى نبَّاز، الذي كان مُستلقي على الأرض لا حول له ولا قوة! نبضات قلبهُ تكادُ تقف، أنفاسه تختفي شيئًا فشيئًا..

رَايُوس: نبَّاز نبَّاز.. أتيتُ إليك لن يحدُث لكَ شيئًا.

- لِمَ أتيتِ رَايُوس!

- أتراني أترُكك، يستحيل نبَّاز.

- فديتُكِ بروحي، وأنتِ الروح التي تسكُن بي.. اذهبي رَايُوس وعودي من حيث أتيتِ.

- لن أذهب إلا وأنتَ معي، لن أسمح أن يحدُث لكَ شيئًا.

- أرجوكِ رَايُوس اذهبي، عيشي مع سفيوراس، هو يُحبك وحارب بكُل ما أوتي من قوة من أجلِكِ، من أجلِكِ فقط رَايُوس.

- أعلم، وأنتَ أيضًا حاربت من أجلي وفقدت كُل شيء من أجلي.

صرخت من الحُزن والخوف على حالته تلك، تابعت وهي تبكي قائلة: لَمَ أعطيته الزهرة! لم ضحيت بزهرة أفنيت عمرك بحثًا عنها، لم نبَّاز؟!

تحدث نبَّاز بصوت ضعيف كاد يختفي، كان يُخرج الكلام بصعوبة بالغة قائلاً: لأنني أُحبُكِ رَايُوس.. لم أرَ غيرُكِ ولن أعشقُ غيرُكِ، في كُل حياة لي أحياها سأظل أحبكِ وأحمَيكِ.. ثم فقد وعيه.

رَايُوس: تُحبني!

وصرخت قائلة: نبَّاز نبَّاز..

قامت رَايُوس مسرعة بنزع فرع شجرة كانت بجوارها، جرحت بهِ نفسِهَا، فسالت الدمَاء منها، ثم أخذت من دمائها ووضعتها على جبين نبَّاز كما قال الحكيم. كانت خائفة من ألا تستطيع إنقاذه، بكت بحرقة.. تحول نبَّاز من بشري إلى ثعبان أسود ضخم ملتف حول رايوس، وجهه بوجهها، فخرجت القوة من فم رايوس واستقبلها نبَّاز، وكانت المسافة شبرًا بين فم الإثنين، وبعدها أصبح النقش عليهما معًا، لقد ازدادت طاقة الهالة ثم بدأ يختفي هذا النقش ببطئ من عليهما، وتحول جسد الثعبان الأسود إلى اللون الذهبي، وسقطا كلاهما أرضًا وأغشي على نبَّاز وكان على هيئته البشرية. كانت رايوس تتألم، ثم نظرت بجانبها إلى نبَّاز وبكت قائلة: نبَّاز.. لم يفلَح الأمر، لا تترُكني.. نبَّاز!

ظلت رايوس تبكي وتصرخ على فُقدانه، مستلقية على الأرض ضعيفة، هزيلة لا تستطيع النهوض بسبب تأثير الهالة عليها.. فحدثها نبَّاز بصوت ضعيف قائلاً: رَايُوس..

فنظرت إليه فرحةً قائلة: نبَّاز.. أنتَ حي!

أمسك يدها وهي مُستلقية أرضًا لا تقوى على الحِراك وكذلك هو، ثم قال لها: لم يعد هُناك وقت رَايُوس.. اذهبي وأنقذي المَملَكة فزَنيم وهمَّاز يجوبان المملَكة خرابًا لأنكِ ساعدتيني، ولأنك الآن تحملين بداخلكِ القوة.. أصبحتي عدوتهُم وأصبحوا هم أعداؤك.

- ماذا؟ المَملَكة!

- اذهبي أولاً؛ سفيوراس..

ردت رَايُوس بقلق من كل هذه الأحداث قائلة: سفيوراس..! ماذا به؟!

نظر لها نبَّاز نظرة وداع، لم يتحدث، ولم يُكمل لها ما بهِ سفيوراس، كان مبتسمًا لها قائلاً: رَايُوس.. لنا لقاء آخر.. حتمًا لنا اللقاء.. أُحبُكِ.

ومن ثم اختفى نبَّاز، ظلت رَايُوس تنادي عليه باكية، كان صوتها ضعيفًا، قلبها ينفطر حزنًا قائلة: نبَّاز.. نبَّاز! أين أنت؟ ألم تصبح بخير! ألم تُحدُثني! ألم تُمسك بيدي! أين ذهبت نبَّاز؟

وماذا بهِ سفيوراس؟ ماذا حل بالمملَكة نبَّاز؟ وماذا حل بك يا أعز رفيق! أين أنتَ نبَّاز.. أين أنت؟!

***

الفصـــل الثالث

ظلت تصرخ باسم نبَّاز إلى أن استيقظت على سرير في المستشفى مُعلق لها المحاليل، فصرخت رحمة قائلة: نبَّاز.. سفيو..

كانت سالمة بجانبها، ووالدتها، والطبيب والمُمرضات.. الجميع حاولوا أن يُمسكوا بها لإعطائها مهدئًا، لكنها كانت تدفعهُم بقوة كبيرة وبصعوبة شديدة أخذته ثم نامت.

الدكتور: مين نبَّاز ده يا جماعة! ومين سفيو؟! وإيه الأسامي الغريبة دي؟ هي بتعاني من حاجة غير السُكر!

سالمة: لا هي كويسة والله بس مش عارفين مالها وإيه حصل لها من وقت مالقيناها.. مُمكن أسامي أفراد العصابة اللي كانوا بيطاردوها!

الدكتور: طيب انتوا قولتوا عندها سُكر وجبتوها هنا على إنها في غيبوبة سُكر.. عايز أقولكُم إن دي المرة الـ ١٢ نقيس فيها السُكر ويطلع طبيعي جدًا مافيش عندها سُكر ولا حاجة! عملنا كل التحاليل اللازمة برده مافيش.. الغيبوبة اللي هي فيها من أربع أيام دي مش سببها السكر! وحقيقي أول مرة تُقف قدامي حالة كده مش لاقي ليها تفسير.

سالمة: غريبة! إزاي مافيش في التحاليل إن عندها السُكر!

والدة رحمة: يا دكتور أنا بنتي بقالها ١٤ سنة عندها سُكر من النوع الأول ايه اللي بتقولهُ ده؟

الدكتور: لو زي ما بتقولوا كده يبقى مُعجزة من عند الله يا أُمي ونحمد ربنا كُلنا على إنه شفالك بنتك.

والدة رحمة: الله أكبر، يارب لكَ الحمد كُله.

سالمة: قادر ربنا على كُل شيء.. ماما روحي انتي وأنا هبات معاها، ماتقلقيش الحمد لله إنها فاقت.

- لا، مُستحيل.. هبات مع بنتي.

- يا أُمي بقالك ثلاثة أيام بايته معاها، الحمد لله احنا أهو اطمنا عليها، وهي بقت بخير وفاقت روحي انتي وارتاحي أخوات رحمة والكُل محتاجك.

- تفتكري هرتاح لو روحت وسيبتها؟ خليني لحد بالليل يمكن تفوق ونطمن عليها وأتكلم معاها.

حل المساء، واستيقظت رحمة من نومِهَا، كانت تتحرك قليلاً، أزعجتها أضواء الغُرفة، فتحت عيناها ببُطء شديد تنظُر يمينًا ويسارًا، وجدت أيديها الاثنتين مُعلق بهما المحاليل! قائلة: مانيشا..

سالمة: من نبَّاز لسفيو لمانيشا..! هي رحمة مالها!

والدة رحمة: ربنا يستُرها مُمكن أثر المياة اللي غرقت فيها مُدة طويلة، أو يمكن ناس قابلتهُم! أنا مش فاهمة حاجة.. حتى موضوع السُكر ده كمان اللي راح فجأة! طبعًا الحمد لله، بس مش قادرة أفهم حاجة!

- فعلاً لو راح تبقى مُعجزة يا ماما.

وبصوت لطيف حدثت سالمة رحمة قائلة: رحمة وحشتيني، أنا سالمة وماما هنا كمان.

رحمة: سالمة.. ماما.. حصل إيه؟

سالمة: يا بنتي حمد الله على السلامة.. أخيرًا فوقتي!

والدة رحمة: يارب لكَ الحمد، قلبي اترعب عليكي.. الكُل قال إن رحمة ماتت إلا أنا قلبي كان حاسس إنك عايشة!

كانت رحمة تستمع إليهم باستغراب، لم تفهم عن أي شيء يتحدثون!

رحمة: مُت إزاي مش فاهمة؟

سالمة: يا بنتي أنتي نسيتي العصابة اللي كانت بتجري وراكي!. يا رحمة الفيديو اللي صورتيه جوة الكَافيه وفضلت العصابة تلاحقك.

- العصابة! آه آه افتكرت.

- بعدها طلعتي على برنامج المواهب الشهير وغنيتي واتشهرتي، وبعدها هربتي والعصابة جرت وراكي، خَبطتك عربية اترميتي من فوق الكوبري، والشرطة فضلت تدور عليكي كتير.. وغواصين كتير وماحدش عرف يوصلك! بعدها بشهرين جالنا اتصال من الشُرطة إن في أُسرة في بورسعيد لقيتك.. جبناكي هنا من أربع أيام لأنك كُنتي في غيبوبة، ومافوقتيش غير انهاردة.

- لحظة واحدة.. يعني أنا كُل المُدة دي في البحر! شهرين وماتحللتش ولا حصل حاجة! وبورسعيد إيه! لا لا، مُستحيل أنا ماكُنتش هنا أصلاً!

والدة رحمة: يا بنتي مافيش مُستحيل على ربنا.

سالمة: أمال كُنتي فين؟

شردت رحمة قليلاً تحاول أن تتذكر، ثم تتمتم قائلة: كُنت في مملَكة هارمارنت مع سفيوراس وبعدها اختفى نبَّازيوس..

سالمة: نعم!

والدة رحمة: بتقولي إيه؟

كانت رحمة تعاني من شدة التعب، وارهقها التفكير أيضًا؛ فهي في حيرة كبيرة مما حدث لها تكاد تُجن، قررت أنها لن تُخبر أحدًا فلن يُصدقها أحد! حتى أنها خشيت ألا تُصدق نفسها.. وظلت تُفكر.. أيعقل أن يكون كُل هذا مُجرد حُلم طويل مُنذُ سقوطها في الماء!

سالمة: بتفكري في إيه؟

- مافيش، وحصل إيه للعصابة؟

- اتقبض عليهُم.. واتشهرتي جدًا، والقناة بتاعتك بقى عليها مُتابعين كتير.

- مُتابعين قناة لواحدة ميتة! ما علينا أخبار البنات إيه؟

تلجلجت سالمة في الكلام ثم قالت: بخير.. فاكرة يوم الحادث كُنا مستنينك نفطر معاكي، كُنتي صايمة.

- آه فاكرة.. هي أسماء عاملة إيه؟ ونورا، وغادة، وعبير هُم فين؟!

نظرت سالمة لوالدة رحمة، ونظرت الأم لسالمة وبعدها نظرت كُل منهُما إلى الأرض في حزن.. لاحظت رحمة فقالت: في إيه.. خير؟

نظرت سالمة لرحمة في حُزن شديد قائلة: رحمة.. أسماء ماتت!

فزعت رحمة وكأن قلبها انتُزع من مكانه..قالت: إيه؟ إزاي! حصل إيه؟

- بعد ما الأخبار كُلها والبحث أكد أنك مُوتي بعدها بأسبوع من الخبر كانت بتصلي.. كنت سامعاها عمالة تدعيلك، قلبي وجعني عليكي أكتر.. لما طولت أوي وشوفتها لقيتها مابتتحركش! عرفنا بعدها إنها ماتت، ماتت وهي ساجدة يا رحمة.

- يا الله، الله أكبر.. الله أكبر

إنا لله وإنا إليه راجعون.. اللهم أحسن خاتمتنا جميعًا.. ربنا يرحمك يا حبيبتي، ويجمعنا في الجنة يارب.

سالمة: آمين.

- روحي أنتي البيت يا ماما، أنا بخير وسالمة هتكون معايا.

- الصُبح هكون عندك بإذن الله.. خلي بالِك عليها يا سالمة هتابعكُم بالتليفون.

رحمة: ونورا فين وعاملة إيه؟

سالمة: نورا فقدت بصرها تاني من كتر الحُزن والبكاء عليكي.. ماحدش كان قادر يستوعب إنك مُوتي، وجوزها بعد ما اتعمت جه من السعودية أخدها وسافر بيها لندن يعالجها. غادة سقطت الطفل في نفس اليوم اللي عملتي فيه الحادثة.. كُل دول كانوا مُرتبطتين بيكي وكأنك كُنتي علاجهُم.. أصابهم اليأس.. إلا أنا كُنت على أمل إنك بخير وهترجعي بالسلامة.

صعقت رحمة مما سمعته، انفطر قلبها حزنًا على ما حدث لصديقاتها، ظلت تبكي فعانقتها سالمة وحاولت أن تجعلها تهدأ قليلاً.

رحمة: لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

وضعت رحمة رأسها على وسادتها التي امتلأت بالدموع، مكلومة حزينة على ما تعرض لهُ الأصدقاء، وسالمة تنام على السرير الآخر يمين رحمة..

لم تستطِع رحمة النوم، ظلت تفكر وتُحدث نفسها: أنا مُتأكدة إن اللي حصلي ده مش خيال ولا حلم.. ده كان حقيقة! مُتأكدة، يارب اديني علامة

إني صح.. وبكت حتى سمعتها سالمة فقالت لها: رحمة أنتي لسه صاحية؟ أنتي بتعيطي!

- لا، هعيط ليه؟ أنا بس عايزة أدخُل الحمام.

- أساعدك؟

- لا أنا زي الفل تسلمي..

أوقفت رحمة المحلول ثم نزعته من يدها وقامت ودخلت الحمام، أغلقت عليها الباب بشدة فكادت أن تسقُط المرآة، وعندما حاولت الإمساك بها، وجدت نارًا تخرج من يدها! ففُزعت وسقطت المرآة التي أحدثت ضجيجًا.

رحمة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

سالمة: رحمة أنتي كويسة؟ في إيه؟

رحمة: أنا بخير المراية وقعت بس..

كانت في صدمة من الذي يحدث معها، النار في يدها ولم تُحرقها! حاولت أن تخمدها لكنها لم تستطِع.. فأخذت تقول: بتطفي إزاي دي! مافيشماية في الحنفية كمان! كملت.

حاولت رحمة مرة أخرى وأيضًا لم تستطِع، فجربت النفخ فخرجت من فمها ريح قوية كسرت زُجاج الحمام كُلهُ وحدث صوت عالي وكأنه انفجار ما!

سالمة: رحمة إيه الصوت ده؟ افتحي؟

ورحمة تحاول استيعاب ما يحدث لها، وكلما حاولت فعل شيء تجد خرابًا أكثر.. حتى خرج من يدها ثلجًا عندما فعلت حركة ما لا تعلم كيف فأخمدت النار به!

خرجت بعدما قُلب الحمام رأسًا على عقِب، كانت مُحدقة في الأرض مصدومة، جسدها يرتعد، لا تتحدث.. نظرت إليها سالمة ونظرت إلى الحمام وجدته مُدمرًا.

ثم ابتسمت رحمة فقد أتتها الإشارة، وتيقنت الآن أن ما عاشته لم يكُن حُلمًا!

سالمة: يا الله! هو إيه اللي بيحصل بالظبط!

دخلت المُمرضة كوثر لتطمئن على رحمة قائلة: رحمة الجميلة عاملة إيه؟

فأشارت رحمة بالعين لسالمة حتى تغلق باب الحمام حتى لا ترى المُمرضة ما حدث فيه!

رحمة: الحمدُ لله بخير.

كوثر: بصي يا حبيبتي احنا عملنا ليكي تحاليل سُكر كتير وطلعت النسبة طبيعية جدًا، وغيرنا كذا جهاز يمكن العيب منه لقينا النسبة طبيعية برده، بس أهلك وصحابك بيقولوا إن عندك سُكر، والتحاليل كُلها بتثبت إنه مافيش سكر!

فابتسمت رحمها قائلة في نفسها: جنياس.

ثم عادت وحدثت المُمرضة كوثر قائلة: آه أنا الحمد لله بخير، شكرًا لتعبكُم.

- هاتي إيدك..

فصرخت المُمرضة كوثر عندما أمسكت يد رحمة لعمل التحاليل قائلة:

إيه ده؟ أنا اتلسعت منك أنتي مولعة نار!

- نار إيه أنتي بتهزري!

وحدثت القوة بداخلها قائلة: ابردي.. ابردي بسرعة أرجوكي.

فجاءت المُمرضة منَال عندما سمعت صراخ زميلتها قائلة: في إيه؟

- مسكت إيديها أقيس السُكر اتلسعت.

- اتلسعتي إزاي يعني!

فأمسكت المُمرضة منَال يد رحمة وقامت بقياس السكر لها قائلة:

ما البت كويسة أهي! لا بتلسع ولا بتحرق، أنتي بتدلعي يا كوثر، النتيجة ٨٥ كويس جدًا.. بس في ريحة حريق ولا أنا شامه غلط!

رحمة بابتسامة تُنقذ الوضع: شامه غلط.. مافيش حاجة.

- تمام يا رحمة بُكرة إن شاء الله خروج.

- خبر رائع.

غادرت المُمرضة منَال والمُرضة كوثر غرفة رحمة فأسرعت سالمة وأغلقت الباب، وقالت: بقولك إيه.. احكيلي إيه اللي بيحصل بالظبط.. أرجوكي يا رحمة!

- مش عارفة يا سالمة.. لكن في زمن ما وحضارة معينة أنا المِلِكة رَايُوس مَلِكة البلاد! اتوليت قيادة الجيش، حاربت معاهُم وانتصرنا مرة واتهزمنا مرة، وفي طريقنا اتعرفت على أحد ملوك الجن اسمُه نبَّازيوس..

نبَّازيوس ده اتسلبت منه قوته، وعمهُ زَنيم قتل والده ووالدته عشان يحكم هو عالم الجن، زَنيم وهمّاز ابنه بيدوروا على نبَّاز عشان يمحوه وياخدوا قواه وتكون ليهم السلطة، وقواه اتحبست جوا زهرة الشفاء جنياس.. رجعنا بالنصر بفضل نبَّازيوس وفكرته العظيمة في الحرب، وتُوجت أنا مَلِكة للبلاد وبقيت مسئولة عن الشعب كله! وكان نبَّاز من المقربين جدًا ليا والأكثر ثقة فعينتُه وزيري الأول..

واستغاثت بيا مملَكة تانية اسمها هارمارنت من مِلكها الظالم اللي اسمه سفيوراس، واتضح بعد كدة إنها مكيدة وإنهُ مش ظالم نهائي، حصلت أحداث كثيرة أُغرم بيا سفيوراس وأُغرمت بِه، جمعتنا قصة حب عظيمة.. بعدها لدغتني بعوضة سامة، مرضت وكُنت هموت والسبيل كان زهرة الشفاء! حارب سفيوراس عشان يجيبها، حارب ثُعبان ضخم عليه نقش أزرق نقدر نقول عليه في زمنا وشم، الثُعبان ده هو نبَّاز اللي فضل حياتهُ كُلها بيدورعلى جنياس اللي هي الزهرة أكتر من ٥٠٠ سنة! ولما عرف من سفيوراس إن الزهرة ليا وإني بصارع الموت عطاها ليه، وقالهُ روح بسرُعة لرَايُوس وانقذها.. وبالفعل أنقذني.. ولما فوقت عرفت اللي حصل من سفيوراس، عرفت إن نبَّاز ضحى بقوته عشاني، جريت على نبَّاز ألحقه وأنقلُه القوة بأي وسيلة زي ما قالنا الحكيم اللي عالجني، وبعد ما وصلتله اعترفلي بحُبه العظيم ليا، وكان عايز يقولي حاجة عن سفيوراس، وإن مملكتي في خطر من همّاز وزَنيم لأنهم عرفوا إني ساعدته، وقالي إني بقيت عدوتهُم من بعد ما حصلت أنا على القوة.. مالحقتش أفهم منهُ حاجة وفجأة اختفى وصحيت لقيتني وسطكُم!

قلقانة على سفيوراس، وهموت وأعرف إيه حصل لنبَّاز، والملَكة كمان في خطر، والقوة اللي جوايا أتصرف بيها إزاي؟ وأرجع إزاي أصلاً؟ وروحت هناك إزاي! وسفيوراس هعيش إزاي من غيرُه هو ونبَّاز!

كانت سالمة تستمع لرحمة وهي في حالة من الذهول التام! لا تتحدث.. وبعد فترة قصيرة قالت: رحمة حبيبتي أنتي أكيد تعبانة دلوقتي، وراسك أكيد اتخبطت في صخرة ولا حاجة، وده كله أكيد حلم طويل من لما كُنتي في الغيبوبة.

فنظرت لها رحمة بغضب وامسكت يدها بشدة قائلة: أنا مش تعبانة!

- آه.. آه، رحمة دراعي!

- آسفة سالمة، ماعرفش بيحصلي إيه!

- أنا بدأت أخاف منك.

- مش مصدقة اللي حكيتهولك؟ طيب.

وحدثت رحمة نفسها قائلة: أعمل إيه.. أوريها القوة إزاي اللي أنا أصلاً مش بعرف أستخدمها؟ فقالت لها: بصي هناك لسريرك كدة.

فنظرت سالمة.. وقامت رحمة بالنفخ فيه فارتفع معلقًا في الهواء!

نظرت سالمة في دهشة قائلة: إيه ده يا رحمة! خلاص خلاص صدقتك والله خلاص.. بالرغم من إن عقلي مش قادر يستوعب بس صدقتك.

- عارفة.

- طيب ده كُله حصل إزاي؟

- ماعرفش.. آخر حاجة فاكراها من هنا لما خبطتني العربية.

- يعني أنتي اتنقلتي لزمن تاني؟

- مش عارفة حاجة، ولا فاهمة حاجة يا سالمة.

- طيب ارتاحي ونامي وبُكرة الصُبح نتكلم مش هضغط على أعصابك دلوقتي.

- روحي أنتي نامي، أنا هستنى شروق الشمس، خلاص كُلها نص ساعة..

- ليه؟!

رحمة بحُزن وشرود: سر يا سالمة.. سر.

حزنت سالمة على حال صديقتها.. قبلت رأسها وتركتها وذهبت إلى سريرها الذي هو بجانب سرير رحمة. قامت رحمة من على فراشها وفتحت نافذة الغرفة ونظرت إلى شروق الشمس قائلة: كيف للشمس أن تشرُق وأنتَ لستُ معي سفيوراس؟ اشتقت إليك والقلب بين يديك أحس واستفاق! عُد فأنتَ الماضي والآتي وقلبي بدونِكَ هالك لا محال، أين أنت سفيو؟ أين أنت؟

سمعت سالمة صوت بكاء رحمة، وسمعت حديثها فبكت لحالها، وقامت؛ لتقف بجوارها تحاول أن تخفف عنها قائلة: رحمة عشقانة! يابختهُ والله الأُستاذ سفيوراس ده.

ابتسمت رحمة، فقالت سالمة: نبَّاز بيحبك وسفيوراس كمان بيحبك! أنتي بقى بتحبي مين فيهم؟

- الإثنين..

وهنا كانت رحمة في حيرة شديدة فمقدار حبها لنبَّاز لا يمكن وصفه! وحبها لسفيوراس أيضًا كبير، لكنها كانت تحاول إقناع نفسها دائمًا أن نبَّاز ليس إلا صديق مع أن قلبها لا يؤمن بهذا!

وعادت تكمل حديثها مع سالمة قائلة: نبَّاز من الُمقربين، حُبهُ مش زي حُب سفيوراس، نبَّاز من الجن يا سالمة، نبَّاز صديقي الُمخلص.. سفيوراس من البشر، سفيوراس هو العِشق، نبَّاز فيه هيبة ووقار، حبيت كُل ما فيه؛ حبيت خوفه وقلقه عليا، وحمايته ليا، ماكُنتش أعرف إنهُ بيحبني! فيه مُميزات لا تُعد ولا تُحصى، وهو آية في الجمال. سفيوراس جذاب ليه كاريزما خاصة كلامهُ كُله أشعار بيعشق تفاصيلي، دايمًا بيتأمل فيا، ذكي وقلبُه أبيض، خفيف الظل وحاكم عادل ومُحارب قوي بس معايا كأنهُ أضعف مخلوق.. رُبما هو الحُب، دايمًا الحُب هو نُقطة الضعف يا سالمة.

كانت رحمة تبتسم وهي تحكي لسالمة وبعدها بكت قائلة: أنا تعبت من التفكير هتجنن، إيه بيحصلي؟ وليه حصل كده؟

- أكيد في حكمة يا رحمة.

- أكيد.. فاكرة الثُعبان الأسود اللي كُنت بشوفه دايمًا في أحلامي وحد بيموت بعدها؟!

- آه طبعًا فاكرة، لحظة واحدة.. الثُعبان ده نبَّاز!

- آه هو.. كان بيحميني طول الوقت يا سالمة، وكان معايا.

تذكرت رحمة كُل ما مرت به؛ تذكرت إنقاذ نبَّاز لها عندما كادت تسقط من شُرفة المستشفى حيث فرش لها جسدهُ تستند عليه كي لا تقع! تذكرت إنقاذه لها من خالِهَا وتدبيره! والمُدير صبري منعدم الخلق! وإسماعيل مسئول الخَزينة.. تذكرت كُل شيء، وكأن كل الاحداث تمر أمامها على شريط وهي تقصها لسالمة.

وعندما انتهت شردت قائلة: نبَّاز.. سفيوراس..

ثم نظرت إلى السماء وحدثت سالمة قائلة: يالا الوقت أخدنا خليني أروح أصلي الضحى وننام شوية عشان هنخرج من هنا كُلها كام ساعة.

- يالا يا حبيبتي.

وفي الصباح جاءت والدة رحمة ووالدها يقبلانها..

والد رحمة: بنتي حبيبتي حمد الله على سلامتك.

رحمة: الله يسلمك يا بابا.. هخرج النهاردة إن شاء الله.

والدة رحمة: الحمد لله.. جبتلك النظارة.

- تسلمي يا أمي مش محتاجاها.

- ليه يا بنتي؟

فابتسمت رحمة قائلة: شفاني الله ومابقتش في حاجة ليها.

- الله اكبر ولله الحمد.

تجهزَ الجميع للعودة إلى منزل رحمة، وهُم بالطريق قالت رحمة: هو ليه الناس كُلها في الشوارع لابسة كمامات!

سالمة: في فيروس مُنتشر.. فيروس مُميت ومُعدي جه من الصين.

رحمة: الصين!

وتذكرت أن زهرة جنياس كانت بقُرب النهر الأصفر في الصين..

رحمة: وإيه مُشكلتُه الفيروس ده؟

سالمة: فيروس مُعدي، وظهرت حالات كتير في العالم، وبيقتل ناس كتير، فاكرة حلم الشعراوي يا رحمة اللي حلمتيه؟

- طبعًا فاكرة.

- المساجد اتقفلت، واتمنعت العُمرة، والحرم بقى فاضي زي ما قولتي بالظبط .. قولتي الناس بتُرفُض تصلي بإرادتها وبتغفل يا خوفي من بُكرة تكون إرادة الله إنه يمنع الناس من مصلاه.. وده حصل بالفعل يا رحمة.

فنزل الخبر على رحمة كالصاعقة، فقالت: لا حول ولاقوة إلا بالله.. سلم يارب.. سلم. وصل الجميع إلى المنزل، جلست رحمة والجميع بُقربها.. رأت في التلفاز الكعبة وهي فارغة تمامًا من المُصلين والمُعتمرين فبكت وهي تُردد: لا حول ولاقوة إلا بالله، اللهم صبرًا يا أكرم الأكرمين.

رن هاتف سالمة؛ فأجابت: ألو خالو إزيك .. وحشتني جدًا.

بشير: إيريني حبيبتي، عاملة إيه؟

- ياه نسيت اسم إيريني ده، الحمد لله.

- بصي أنا بقيت مُحافظ الأُقصُر.

- بجد يا خالو! ألف مبروك تستحق كُل الخير يا حبيبي.

- عارف إن وضع البلد صعب بسبب الفيروس بس تعالي اتفرجي على الأُقصُر ومتاحفها ومعابدها الجميلة والدنيا هادية كده!

ففكرت سالمة بُرهة.. وفي نفسها قالت: فرصة أروح وآخُد رحمة تغير جو، هي بتحب التاريخ الفرعوني والأثار وغيره..

- ماشي يا خالو هاجي وهأكد عليك.. ينفع أجيب صاحبتي معايا؟!

- آه طبعًا.. قوليلي وأحجزلكُم تيجوا على الأحد.

أنهت سالمة المكالمة مع خالها، وقالت لرحمة: رحمة إيه رأيك نطلع رحلة للأقصر! كان نفسك تروحيها.. ها إيه رأيك؟

ابتسمت رحمة قائلة: الأُقصُر!

والدة رحمة: والفيروس المُنتشر! مش هينفع.

سالمة: هناخذ احتياطتنا، كده كده السياحة واقفة وكُله واقف مش هيكون في اختلاط ولا زحمة هنكون لوحدينا و دي أحلى حاجة.

والد رحمة: خليهُم يروحوا.. رحمة محتاجة تغير جو ونفسها تشوف الأُقصُر من زمان.. هتسافروا امتي؟

سالمة: الأحد بإذن الله.

والدة رحمة: طيب النهاردة الخميس قُدامكُم فُرصة ترتاح رحمة وتجهزوا لرحلتكُم تغيروا جو بس خلوا بالكم.. أنا قلقانة والله.

رحمة: ماتقلقيش ياست الكُل.. أنا فعلاً محتاجة الرحلة دي.

ثم شردت رحمة قليلاً.. وقالت لسالمة: عايزة أزور نورا مش قولتي إنها رجعت!

- بُكرة بعد صلاة ظُهر الجمعة نروح نزورها.. هتفرح أوي هيكون تأثير زيارتك ليها إيجابي.

- لعلُه خير.

ذهبت سالمة ورحمة إلى نورا، والتي كانت في حالة يُرثى لها.. دخلت تُسلم على والدتها.. ففرحت كثيرًا برؤيتها وأدخلتها غُرفة نورا..

رحمة: نورا..

التفتت نورا إلى الصوت بدهشة ونطقت بعد غياب: مين!

- للدرجة دي كان البُعد! ونسيتي صوتي! طيب قربي والمسي وشي هتعرفيني هتلاقي منخير طويلة بس مُميزة.

فضحكت نورا وأسرعت تعانق رحمة قائلة: رحمة.. رحمة..

لامست بيدها وجه رحمة، كانت تبكي فرحًا.

رحمة: ها نفس المنخير الطويلة صح؟

- آه هي.. هي رحمة.. روحتي فين وسبتينا!

نظرت رحمة بشفقة إليها قائلة: ماعرفش والله روحت فين وإزاي! كُل شيء مُقدر بقدر.. خلينا نعوض الألم اللي فات تيجي معانا الأُقصُر نغير جو؟

- أنا مش بشوف يا رحمة هيفدني بإيه السفر!

رحمة: حسي.. تمتعي بالإحساس، شوفي بقلبك، خروجك هيغير كتير من اللي كُنتي فيه يا نورا.

- طيب أنا جاية معاكُم.

فابتسمت رحمة قائلة: طب الحمد لله.. سالمة خُديني لقبر أسماء عايزة أزورها

سالمة: حاضر.

ذهبت سالمة ورحمة إلى قبر أسماء، سلمت رحمة على أسماء ودعت لها..

رحمة: مُشتاقالك كتير بس عارفة إنك في أحسن مكان، يكفي إنك عند الرحمن.. رحمة من الله على روحك الطاهرة.

بكت الفتاتان كثيرًا، وبعدها عادت رحمة إلى منزلها لتجهز حقيبتها للسفر.

جاء موعد رحلة الأقصر؛ مدينة الجمال الفرعوني.. وصلت رحمة والفتيات، وكان خال سالمة ينتظرهُم، رحب المحافظ بشير بالجميع وأخذهم إلى فُندق للإقامة، كان الفندق بهِ الكثير من النقوش الفرعونية الجميلة، تناولن الطعام ومن ثم أخذهن في جولة بالقارب في النيل.. نظرت رحمة إلى الماء وإلى القارب وتذكرت عندما كانت في سفينتها ومعها مانيشا مُتجهين إلى مملَكة هارمارنت؛ مملَكة سفيوراس وعندها كانت تسخر من سفيوراس من قبل رؤيته وتضحك هي ومانيشا.. فتحول وجه رحمة من الفرح إلى الحزن، ولاحظت سالمة فسألتها: رحمة مالك؟ حصل حاجة؟

- لا أبدًا.. يالا نرجع للفُندق.

بشير: فُندق إيه لسه الرحلة طويلة.. هنروح المتحف.

سالمة: الله المتحف.. رحمة كان نفسك تروحي المتحف.

فابتسمت رحمة ابتسامة باهتة وقالت: آه إن شاء الله.

نورا: ياريتني بشوف عشان أشوف الجمال اللي إحنا فيه.

ذهب الجميع إلى المُتحف وهُناك تعرفوا على الأُستاذ "سلامة السيد" الذي تكفل بجولتهُم؛ ليشرح لهُم كُل شيء من آثار وتاريخ، وبينما الكُل في طريقهُم داخل المُتحف حيث كان يشرح الأُستاذ سلامة.. أحست رحمة بالعطش فذهبت لشراء زُجاجة ماء من الكانتين وهُنا وقفت سالمة أمام رسمة ما وهي في صدمة!

سالمة: الرسمة دي تشبه رحمة.. دي هي رحمة بالظبط!

فاقتربت لترى ما المكتوب، لكن كان بلغةٍ ما لم تعرفها، وعندما عادت رحمة وجدت سالمة تنادي عليها قائلة:

رحمة بُصي كده.. الرسمة دي شبهك.

نظرت رحمة إليها، وتذكرت أنها الرسمة التي نقشها سفيوراس حُبًا لها على حجر عندما كانت تُداعب أوراق الشجر خُصلات شعرها! فدمعت عيناها قائلة: سفيوراس.

نظرت إلى الرسمة متعجبة تُحدث نفسها قائلة: الرسمة دي رسمها سفيوراس في القصر في مملَكة هارمارنت إيه جابها مصر؟

سالمة: أُستاذ سلامة لو سمحت إيه المكتوب على الرسمة دي؟ ولمين؟

- دي الملكة رَايُوس أعظم ملوك مصر الفرعونية وأقواهُم!

نظرت سالمة إلى رحمة، التي كانت تنظر إلى الرسمة ولم تُبعد ناظرها عنها، فقالت سالمة في نفسها: رَايُوس! رحمة كانت بتتكلم جد.

ما زالت رحمة تنظر إلى الرسمة المنقوشة وتلامسها بأيديها كأنها تحتضنها..

سالمة: طيب يا أستاذ سلامة إزاي مَلِكة فرعونية بالعظمة دي وعمرنا ما سمعنا عنها؟

- لأن الكُل مُعتبرها أُسطورة، ولأنها ماكنتش مَلِكة عادية.. كانت مَلِكة بقوة خارقة أحبت الملِك سفيوراس، وحبها ملِك من الجن اسمه نبَّازيوس وهو اللي عطاها قواه الخارقة.

سالمة: نفس ما اللي حكته رحمة!

أتى بشير خال سالمة قائلاً: إيه الأخبار يا بنات؟

لم يرد عليه أي أحد..

سالمة: أُستاذ سلامة كمل.. وفين المعلومات عن الملِكة رَايُوس ألاقيها فين؟

- محفوظة في مكان سري اسمهُ التاريخ المجهول، بمكتبة هنا في الأقصر أو الإسكندرية بس ماعرفش مكانها بالظبط.

استمعت لهُ سالمة، ورحمة، وكان بشير واقفًا متعجبًا من حال الفتيات! فأدارت رحمة ظهرها وهمت بالخروج..

سالمة: وإيه حصل للمَملَكة وللمَلِكة رَايُوس وللملِك سفيوراس؟

- ماعرفش تفاصيل غير إن تقريبًا يقال إن نبَّازيوس اختفى! عشان كده بيقول الكُل عليها أُسطورة، وحسب الأُسطورة إنهُم كُلهُم اختفوا وانتهت القصة باختفائهم!

كانت رحمة تستمع إلى ما قاله الأُستاذ سلامة.. وبعد أن قاربت من الخروج وقفت والتفتت ناظرة إليهُم حيث كان يخرج من عينيها ضوء أزرق خافت، واتسعت عيناها وبابتسامة ممزوجة بالثقة والرفعة والشموخ قالت: لم تنته القصة بعد.. إنها فقط البداية!

"تمت بحمد الله تعالى"

الكاتبة: يسرا الكيلاني

***

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339